وثار الياسمين

خواطر ثورة ٢٠١١-٢٠١٢

إيمان محمَّد

اسم الكتاب : وثار الياسمين
إيمان محمَّد

الطبعة الأولى ٢٠١٥
حقوق الطبع محفوظة

مركز التفكير الحر

مؤسسة للنشر تعنى بكل ما هو جديد وعصري
ومنفتح وينتمي للثقافة ويمجد الإنسان

العنوان : دمشق – سوريا

للتواصل عبر الايميل :

freethinking@windowslive.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من أسكنه ويسكنني..

وطني الغالي...

سوريَّة..

وثار الياسمين

إيمان محمَّد

مقدمة

كتبت الأقلام كثيراً عن الثورة، وكتبتُ لها..
الكتابة كانت قدري الذي لم أستطع يوماً الفرار منه، أو الحياد عنه..
عشتُ الثورة السورية بكل كياني، عشقتُ تفاصيلها، وكانت في نبض القلب، ومجرى الدم، وخبايا الرّوح..
الثورة كانت الحدث الأهم الذي أشعرني بإنسانيتي.. حتى عندما قررت التفرّغ لها بالكلّيّة، وهجر القلم.. كانت الحروف تفرض نفسها لتظهر، ولذلك سجلت كل لحظة مررتُ بها لأحفظها، بكل ما تحتويه من مشاعر وأفكار..
وقد سُئلتُ مراراً.. أيهما أهم.. القلم أم السّلاح..
وأغرقني هذا السؤال في دوامة من التفكير، خلصت منها إلا أن القلم لم يكن يوماً إلا سلاحاً قوياً لم نُجد استعماله كما يجب، وبأن السلاح حين يُحمل بالحق، ويعطى حقه.. فإنه لا يلبث يكتب التاريخ بسطور من دماء..
القلم باعث التفكير ومحفز العمل، إن عرف الحق فوجّه وأصلح وقوّم..
أما عن ثَارَ الياسمين..
فلأن الياسمينة هي الشجرة الباقية المكافحة على هذه الأرض قبل أن نولد ويولد أجدادنا..
كنتُ أسأل نفسي ذاتَ يوم.. لماذا اختار الله لهذه النبتة أن تعرّش في أرض الشام وتزهر على أسوار دورها؟
هل حكمته اقتضت أن يكون الياسمين أنيس المؤمنين في لحظات محنتهم؟ أم يكون بلسم الشفاء لجراح أمهات الشهداء في مواكب توديع أبنائهن، حين ينثرنه على الأجساد التي تهيأت لفراق دنيانا..

لولا الياسمين لمات حيز من جمال الشعور في زمن اختفت فيه روح الجمال، إلا من فيض إيمانٍ ملأ قلوباً فبذلت وظلت تعمل لأجل فجر جديد منتظر..
تُدمَّرُ مدينة تلو مدينة، يشوَّه الحلم، يخفت النور، لكن الياسمين صامد، يتحدى كل عوامل قهره..

يعيش في كل الفصول، ويعشق الربيع أكثر..
يصاحب الحالمين في أمسياتهم وهم ينسجون أحلامهم خططاً يترجمونها أعمالاً تقدّم، يعتذرون فيها إلى الله عن تقصير بدا من قبل، ويستغفرونه..
ولو سُئل الياسمين عن هويته لضحك، وقال.. بل أخبروني أين هويّتكم..
بقيتُ حين رحلتم، وكافحت حين تخليتم، وآنست الثكالى والأيتام والمحزونين، وسامرتُ المجاهدين على الثغور، وعُلِّقتُ طوقاً على رقاب اليمام المسافر ضمن حدود الوطن، لأعلن معنى الطهر والبياض، لأخبر عن إيمان الأهم..

ثارَ الياسمين ثورة حق، وثرنا معه..
عن ذلك كلّه نسجتُ حروفاً نشرتها في كتاب الوجه، ومن ثم ارتأيت جمعها ونشرها ثانية على مراحل..

هي خواطر وذكريات، قد تكون منسجمة متناغمة حيناً، أو متنافرة متفرّقة أحياناً، حسبما تستدعيه الحالة وقت الكتابة، وما يفرضه الحدث..
هي حروف حرصت ألا أنمقها ولا أزينها ولا أزخرفها، حتى تصل ويفهمها كل من يعبر بها..

وقد قسمتها على أجزاء حسب الأعوام التي كتبتها فيها..
فإن وفِّقتُ في ذلك فبفضل الله تعالى وحده، وإن أسأت فمن نفسي والشّيطان..
وأسأله تعالى أن تكون قد وصلت لحظتها لمن كتبتها لأجلهم، وأن يعين الله على ما كتبته لأفكر بصوت مسموع لعلي وغيري نصل إلى مخرج..
والحمد لله ربّ العالمين..

وَثَارَ الياسمين..

• ثمّة حياة تتسلّق شرفات العمر لتحييها بالأمل، تتحدى العتمة ببسمتها وتُشرق ألوانها في الروح لتغدو حدائق ذات بهجة..

ثمّة فرح يفرض نفسه على جدران العمر المُتعبة وإن طال الطريق وعصف برد الغُربة في القلب..

هنالك دفء يسري في العروق..

وعلى حبال الغسيل حكايات معلّقة، وصمود ورسالة بقاء..

وللياسمينة فصل متفرّد في كل رواية حمصية..

هنا حمص.. عاصمة الثّورة...

• طيور الحزن تهاجر إلينا من كل أرض..

وأعشاشه تُبنى فوق نوافذنا..

وأجنحته تأبى إلا أن تظللنا..

معذور هذا الحزن.. إلى أين يأوي من صقيع الحياة؟

وهل تراه يجد في الكون مكاناً أدفأ من قلوبنا؟!!

• عائدون إلى حيّنا القديم ..

لنرفع الحجر فـوق الحجـر ..

ونبني بيتنا الذي هدّموه ..

ونكتب على الجدران بعد أن نرفعها ..

سـوف نـبـقـى هـنــا ..

غداً يُزهر الرّبيع

● لا ألم أقسى من شعور العاجز، ومشاهدة العالم يُذبح من خلف شاشة، وأنتَ بعيد.. بعيد.. تستورد صوت الرّصاص، وهتاف المظاهرات، وتتخيّل زفاف الشهداء، وملمس التراب حين تغطيهم به، وحالة الجرح وأنت تداويه.. تتألم أضعافاً مضاعفة عن كل معتقل استشهد تحت التعذيب، تستشهد مع كل قذيفة تسقط، ومع كل طفل ينتقل إلى الرّفيق الأعلى... وتُقتلُ أخيراً بنيرانٍ صديقة، حين يعيّرونك بأنّك مُغترب، وبأنك لم تقدّم للثورة، ولو ذرّة مما يقدمه أهل الداخل... فأيّة حياة سيطيب لك العيش فيها بعد اليوم؟؟ وأيّ هدوء يُرتجى وأنت لازالت تموت في اليوم ألف مرّة، أو تتمنى الموت، لكنّ أملك يخيب دائماً عندما تكتشف بأنك من الأحياء..

جزءٌ من هذا الشعور عايشته في بدايات الثورة، وأنا أعيش في الحيّ الهادئ النائم، والأحياء حولي تُقصف، والأطفال يبكون، والنّاس يعانون.. كان يضّطرني للخروج والسير تحت القصف، ليس لأنني لا أجد ما أصنعه حينها للثورة، بل لأني أريد مشاطرتهم المعاناة، أريد أن تتوحد جراحنا، وأن أخبرهم بأنّي معهم، أتجرّع ذات الكأس وإن كانت مُرّة، الأمر الذي لا يفهمه العقلاء، أو مدّعوا العقل، فمخالفة المنطق في زمن يتبرأ من كل منطق انتحار!! وإن تابعنا بذات المنطق سنكتشف بأن الثورة انتحار، لكن الانتحار الحقيقي هو أن يئد الإنسان نفسه في الحياة، ضمن خانة اللوم ووجع الضمير..

آلام المغتربين أكبر من أن تداويها الأيام، وحرقتهم على الوطن وأبنائه لا تضاهيها حُرقة، كونهم يتألمون بشكل مضاعف، ألم الغربة، وألم المعاناة التي يقاسيها الوطن وأحبابهم فيه...

كثيراً ما رأيتهم يجلدون أنفسهم، أو يتطوّع بعض الحمقى ممن لا يعرفون عن ظروفهم أي شيء بجلدهم، وكأنّ أهل الداخل هم فقط من يقدّمون للثورة..

هم لا يعرفون أن بعض المغتربين قد أسهموا بشكل فاعل جداً منذ اندلاع الثورة بل قبلها أيضا، أسهموا بإنجاحها وإيصالها إلى ما هي عليه..

من يُنكر الدعم الإعلامي والنفسي والمادّي والمعنوي؟ من يُنكر النشاط الرّائع والمحاولات المستميتة للتّظاهر في دول لم تسمع يوماً بالمظاهرات، أو قد سمعت لكنها لم تسمع قط بشعب سوريّ أبيّ يتظاهر لأجل كرامته...

هم لا يعرفون شيئاً عن آلام الضمير التي يعانون منها، والكآبة وأوجاع البُعد وتوقع نقصان أفراد عائلتهم، وأن يعودوا فلا يجدوا أحدا من أصدقائهم، لأنهم استشهدوا جميعاً!!

فأيّ وجع قد يُحتمل؟ وأيّ صبر يمكنه أن يداوي قلوبهم المثخنة بالجراح...

تختفي أسماء كثيرة على قائمة الأصدقاء لديّ من المغتربين، يبتعدون وكأنهم اقترفوا جريمة البُعد بأيديهم.. يعتقدون أنهم بلا حول ولا قوّة، ولو أدركوا كم لوجودهم في الثورة من دور عظيم لتابعوا بقوّة أكبر، ولواصلوا معنا بعزيمة أشد..

أيام النظام على وشك الانتهاء، وغداً يكتب الله لكل طير مهاجر أن يعود، ويلتقي الأحبة يشكرون الله في سجدة على أرض الوطن..

غداً يُزهر الرّبيع.. ويكون للقاء طعم مختلف!

• من يجرؤ على النظر في وجوههم؟؟
إنهم أحياء.. فبأيّة لغة ستخاطبهم؟
بأية حجّة ستعذر منهم؟؟
ماذا ستقول لكل طفل سلبوا حياته
ونحروه بكلّ دم بارد..
وهل هناك كلماتٌ تُقال؟؟
الدّم سال..
وقد عاهدنا الله ألا يذهب دمكم الطاهر هدراً..

• موقنة أن للعودة مكان، للترميم محلّ، للتغيير سبيل...
موقنة ألا شيء في هذه الدنيا محال، سأبقى أنادي للتحرر من الأوهام، لاحترام العقل والفطرة، للعودة لفهم وظيفة الإنسان وحقيقة تكريمه في ديننا العظيم...
واثقة بأن الضياع لن يدوم، وستتسع دائرة التأثير، لنشهد جيلاً جديداً يتحلى بالجدية، يتحلى بأروع الخصال، ليدفن المفاهيم الهشّة، ويبدأ ببناء الحياة بسواعد قوية لا تعرف للوهن ولا للأوهام أي سبيل.

• أجل أتهيب صعود الجبال المزروعة ألغاماً... لكنني سأمضي في ثبات..
فما عدت أطيق حياة الحُفَـر!!

• أرى شموعا تحترق في سبيل إقناع الآخرين بحقيقة واضحة كالشمس، فينتابني حزن وأسف عميق، ماذا لو وحدت تلك الشموع جهودها من أجل هدف واحد، وتجاهلت كلام المعوقين، ألن يصنعوا شمساً أخرى تشبه إلى حد كبير الشمس الحقيقية؟!

- كنت أزين سطح مكتبي بصور الزهور، واليوم أزينه بصور الشهداء...

أصبحت بيني وبين بعضهم علاقة وثيقة، تشبه إلى حد ما الصداقة العميقة
لم أعرف أحداً من أولئك الذين أحتفظ بصورهم في حياتي قط، لكننا تعارفنا بعد وفاتهم، وولادتي من جديد... لقد استشهدوا لنحيا نحن، فارقوا الحياة لنولد نحن من جديد!!

- لن تجف دموعنا على الشهداء... سنذرفها ونسقي بها زهرة الحرية...

- لم يحبوا حمص كفاية، أولئك الذين لم يثقوا بها كفاية!!

- لا تظنوا أن البلاء سيرفع عن حمص بسبب ٤٠ ولي الذين دفنوا في مقابرها

بل بهمة أولياء الحق من الأحياء فيها

- قبل الثورة

كانت هنالك أوثان كبيرةٌ تُعبد
تم تحطيم تلك الأوثان مع أول تكبيرة في الثورة
ماتت وبقي الحطام
من تناثر أجزائه في عقول الناس تناسخت وولدت أوثان صغيرة
القاسي والمؤلم في آنٍ معاً أنها أيضاً – على ضآلتها- تُعبد!!

- باب هود

للثورة هناك نكهة مختلفة
الحجارة السود، مصباح الإنارة الخافت، وجوه الشباب المتأهبة لإطلاق تكبيرة البداية،

الهدوء المترقب، الجدران التي تكاد تنطق إن حدثتها، لون السماء، الطريق الضيقة الممتدة نحو الساحة..
من لم يذق طعم التظاهر في حارة من حارات حمص العتيقة خسر أجمل مشاهد الثورة..

• هناك في سراديب روحي شيء ما أضعته، شيء فقدته، لكنني لم آسف عليه..
اسمه الخوف!

الإرادة المؤمنة

• لا يمكن لمخلوق أن يجعلك له عبداً إلا ملء إرادتك أنت..

بإمكانهم أن يقتلعوا لك عينيكَ وأسنانك وأظفارك وحتى حنجرتك ليرغموك على الانصياع لهم، ليخضعوا العملاق داخلك.. قد تُرهقهم لساعات يقبلون في نهايتها فقط أن تعترف بالولاء لطاغيتهم، ولكنك تأبى وتصرّ على موقفك..

تدركُ تماماً أنّ ثمة شيء في أعماقك لا يمكن لمطارقهم ومشارطهم وسكاكينهم أن تصل إليها، حتى وإن قطّعوك إرباً، حتى وإن نشروك بالمناشير، إنه إيمانك، وحريتك، وكرامتك.. هذه هي أسلحتك الثقيلة التي تجابههم بها، لدرجة أن تفقدهم عقولهم، لدرجة إصابتهم بالجنون..

احتفظ بإيمانك داخلك، فهو أغلى ما يتبقى معك، لن تخسر به، حتى وإن سلبوكَ كلّ شيء، سيمدك بالقوة، ستتعجب من صبرك وتحملك، ستسأل نفسك للحظات؛ هل أنت نادم لأنك وقفت مع الحق؟! وستأتيك الإجابة قوية واثقة.. لا.. لست نادماً أبداً..

الثّمن الذي دفعته باهظ جداً، لكن الحرّية التي قد لا تعيش لتنعم بها، ستمنحها للآخرين على مدى عقود..

أيها الفارسُ الذي يعاني في أقبية الفروع الأمنية..

يا من صرخاته تشق الجدران فتكاد تتهاوى رقّة لحاله..

يا من تخاذل سوط الجلاد أمام عنفوانه..

كُن أنتَ ولا تخضع.. الحرية نلتها يوم أعلنتَ التحدي..

• الثورة سباق مع الزمن، نحاول فيها إنقاذ ما يمكن إنقاذه في عاصفتها، لأن الهدوء اللاحق قد لا يرينا ما رأيناه من خير في الثورة.. لأننا قد لا نحضر رحيل العاصفة... ومن يدري.. فقد نرحل معها أو داخلها..

• نسيتُ المرض في الثورة.. كان صديق الشتاء الدائم في الأعوام الماضية..
هذا العام كان رحيماً بي فقد تركني أعمل حتى نسيت حضوره..
حتى في المدينة، غابت أخبار الأمراض عموماً، والخطيرة منها على وجه الخصوص..
الثورة أشغلتنا بها عن المرض، وفايروسها فقط هو ما نعاني منه حالياً.. الرائع فيه أنه ينتقل بالعدوى، ويقطع القارات، ولا يستقر في بلاد حتى يطرد طواغيتها منها..
اليوم تذكرني المرض قليلاً فلم آبه له..
سأتجاهله قليلاً حتى ينشغل بغيري.. وأعود كي أتفرّغ للهاجس الأوحد الذي يؤرّقني..

• مازلنا نحاول تسيير المركب بمجداف واحد، مازلنا نتغاضى عن الأخطاء بحجة أننا في ثورة، وبأن المركب لن يسير إذا اختلفنا...
لمَ لا نتصارح فيما بيننا مهما كان للكلام من وقع مزعج في نفوس الآخرين..
لأي زمن ندخر كلمة الحق؟؟
وإلى متى نضنّ بمحاولة إصلاح مهما رأيناها عبثيّة!
فلنختلف مادامت صدورنا تتسع للخلاف وتتقبله لمصلحة الجميع...
ولنتصالح بعدها كما نحب، ستسير المركب بثبات أكثر، ستصل بشكل أسرع، سيتعاون الجميع لإيصالها إلى بر الأمان دون أن يحملوا معهم كذبهم وفسادهم وجورهم إلى شاطئ الحرّية..

• منظر تاريخي لركّاب السّفينة وهم في حالة: ((وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً))
سفينة الثّورة تتسع للجميع، لكن لابد من مراقبتها، والأخذ على اليد التي تحاول خرقها..
فالأمر مصيري..

إما غرق محقق بالتغاضي والصّمت والإهمال..
أو نجاة محققة بالحرص والمتابعة ومعالجة الأخطاء..

• اللهم ارزقنا القوة والقدرة على المحافظة على جوهر الإنسان داخلنا حتى لانخون أمانتك ولا نفرط بعهدك ولنستحق تكريمك وتفضيلك لإنسانيتنا عن سائر خلقك.

• اسمحوا لي..
سأكون في الثورة بلا انتماءات لأحد غير الحق والمبادئ التي ثُرنا جميعاً لأجلها..
سأمثّل شباب الثورة فقط، وسأقوم بمساعدة جميع من يطلبون المساعدة دون تمييز..
ودون أن ألتفت إلى اختلافاتنا الآنية...
كما انقلبت مع الثورة المفاهيم وسقطت الأقنعة..
ستنكشف بعد الثورة مفاهيم جديدة
وستسقط أقنعة جديدة... لذلك أفضّل أن أظلّ حرّة عن الانتماء إلا لأغلى ما يجمعنا...

• أي تصعيد يحدث اليوم في الثّورة ابتدأ بقطرة دم أوّل شهيد، وتتالت بعده قطرات الدماء الزكيّة وأسراب الشهادة..
أيّ تقدّم لثورتنا دفع كثيرون ثمنه من روحهم ودمائهم وآلام ذويهم وحسرات أمهاتهم وغُصّة اليُتم في عيون أبنائهم وبناتهم..
أيّ دحر لقوى الظلم والوحشية هو انتقام من الله تعالى يتحقق اليوم على أرض الواقع..
لم يُخلق أبطال الثورة أبطالاً من رحم أمّهاتهم..
بل صنعوا على عين الله، صنعتهم المواقف وصقلتهم التّجارب ليقوموا بأدوارهم بكلّ قوّة وثبات..
النّصر قادم وبشائره لاحت، فلنتذكر من مهّدوا لنا الطريق، ولنكن مع الله في كل مراحله ولحظاته..

● يكتب الشّباب تاريخ نضالهم بأيديهم، بالتفاصيل الصّغيرة في ثورتهم، بكل حرف ينقشونه، بكل عبارة يهتفون بها، بكل شعار يرفعونه، بكل نظرة أو تلويحة، ومع رفع العلم إلى السّماء...

الثورة تتولى تربية شخصية الجيل كما لم يستطع من قبل آباء الشباب أو أمهاتهم، الثورة تصنعهم على عين الله، منظر الشهداء والدّماء يأخذهم إلى الجنّة، فيكونون كالشهداء الأحياء يتجوّلون بين الناس وأرواحهم تحلّق في السّماء..

تصبح المظاهرات من المسلّمات رغم الثمن الباهظ التي يدفعه شبابها، يُعذّب الشّاب المرفّه في السّجون ويخرج ليقول.. كانت بعض الضربات التي أوجعتني في البداية... ثم لم أشعر بها – تقليلاً من شأن التّعذيب–!!

يخرج آخر وهو يعرج على قدمه من أثر الضّرب وحين يُسأل يضحك ويقول:

– لقد تسلينا مع الشّباب وانبسطنا كثيراً..

تتشكل في السجون علاقات ثورية جديدة، يتم التخطيط في ظلماتها لإسقاط النظام... يخرج منها الشاب بروح متجددة ليمسح قلق أهله عليه ويطمئنهم، ثم يتصل بصديقه الثّائر، ويهمس له سرّاً:

– متى موعد المظاهرة القادمة؟!!

● أحتاج لكثير من العقل لأجابه عاطفة تجتاحني وشريط العام يمر أمام عيني كالطائر الأسطوري الذهبي الذي لا يرى إلا في قصص الخرافات فأحاول أن أتمسك بكل لحظاته لئلا أفقده..

أحتاج للعقل متحدا مع الإيمان يؤكد لي أن سنن الله نافذة وبأن القادم أجمل ولن يكون طائرا ذهبيا عابرا بل سيكون عزا ومجدا تحمله طيور خضر في الجنة..

ونجنيه نحن لنجعل أرضنا جنة..

في وداع حمص

• سأجنّ غداً إن لم أصحُ على أصوات القذائف والرّصاص، إن لم أنهض كالملدوغة لأضغط أزرار هاتفي الجوال فأتفقد الأخبار، وأصدم أن الشّبكة لا تعمل، فأركض إلى حاسوبي أضغط زرّ التّشغيل، وأجده هو الآخر لا يعمل، أضربه وأشتمه لأنه يعاندني، وأكتشفُ بعد لحظة أنه بريء، وأن السّبب في انقطاع الكهرباء...
اعتدتُ أن أجمع أسماء الشّهداء في مدينتي - لغير حاجة- فقط لأعبر القائمة بعينيّ، لأحاول حفظ أسمائهم، ولأعيد النّظر مرّات، فيما إن كانت القائمة ليست طويلة كعادتها، فأكتشفُ أسماء سقطت سهواً، أضيفها وأنا أعتذر، وأشعر بها بكبرياء قد تخفّت عن ناظري، فقد اكتفت وطابت بجزاء ذي الجلال والإكرام...
بات عاديّاً أن أخرج من بيتي تحت القصف، أفتّش لي في أحياء حمص عن مكان يحتوي جراحي، فأجدها في سيّارة هلال أحمر تعبر، أو مظاهرة تزهّر ورداً أحمر في وجه الحيّ الشّاحب، أو في وداع شهيد ملفوف بالعلم الأخضر.. أو شباب يحملون أكياس الإغاثة بخفّة، يطرقون الأبواب ليجبروا عثرات الكرام ويختفون...
ترى.. كيف سأستطيع السير على شوارع لم تترك عليها الدّبّابة أثراً، وكيف سأتقبّل وجه الجُدران الأمرد، وكيف سأكملُ يومي بلا رصاص، بلا قذائف، بلا صوت التكبير في كلّ مكان يجلجل.. وكيف ستمرّ المظاهرة أمام شرفتي ولا أختلسُ النظر.. وكيف سيمرّ يوم ولا أصغي لأغنيات السّاروت، فصوت السّاروت كأغنيات القاشوش جريمة لا تُغتفر!
وكيف ستُقرع طبولُ الحرب، ويهاجم الجيش الحُرّ حواجز العصابات القريبة من حيّنا... ولا أهتف.. حيّوا الأحرار.. حيّينا..
هل سأحتملُ السير في الشوارع بعد أذان العشاء؟!! ماذا عن حظر التّجوال؟؟ ماذا عن مدينة الأشباح؟؟ كيف ستتعلّق عيناي بسيّارة يتيمة عابرة في الشّارع، لأتساءل أيّ مضطر هذا للخروج من بيته في مثل هذا الوقت!!

وهل سأغيّر نظام حياتي المقلوب في زمن الثورة؟؟ هل سأعدّل ساعتي وأنام باكراً؟؟
هل سأطفئ أنوار غرفتي في الفندق في توقيت انقطاع الكهرباء في حمص؟؟
وهل سأجد قناة الجزيرة، وصوت أبو جعفر ينادي العرب عبرها وما من مجيب؟!!
هل أستوقف شرطيّ المرور لأسأله أين حواجز الجيش، وإن صادف ووجدت هل سأقترب وأسأله متى ستقرر الانشقاق؟!!
وإن رنّ هاتفي الجوّال على نغمة « طالع عالموت يا إمي...» هل سألفتُ الأنظار وأعتقل بتُهمة الإرهاب والنّيل من هيبة الدولة، والمشاركة بالمؤامرة الكونيّة؟!!
في حقيبة سفري اليدوية كثيرٌ من من المؤامرات...
الرّحيل عن حمص في هذا التّوقيت مؤامرة، وتركها ألم لا يهدأ، وصُداع لا يسكّنه دواء...
معضلة سفري القصير هذا، معضلة أن أعطي ظهري لحمص وأغادرها وكأنّي لا أعرف قيمتها، وكأني لا آبه بجراحها.. ويقتلني صمتُ الطّريق...
ألم يخترعوا بعد سيّارة يمكن قيادتها بالمقلوب.. فالمرآة العاكسة لن تعكس إلا بعضا من مدينة صامدة رغم الدّمار... والمرآة لا تعكس الجراح، وهي بطبيعة الحال لن توصل لحمص بعضا من دمع وأشواق لن تهدأ حتى اللقاء...

استودعتكِ الله يا مدينة الشهداء.. يا حمص يا أم الأبطال...

دمشق.. كفى..

سأفضفضُ لكِ قليلاً يا صديقتي..
أتعلمين..
قبل أن آتي إليكِ هيّأتُ نفسي معنويّاً لئلا أنفعل، ولا أغضب، ولا أعاتب، ولا ألوم...
جراحي التي حملتها في طريقي إليك كانت أكبر من أن أحصيها لكِ، وأعذاركِ كانت أكثر من أن تعدّيها على مسامعي.. فضلاً عن استطاعتي الاستماع لشيء بتنا أنا وأنتِ نعرفه جيّداً... فكفانا نخادع بعضنا وتعالي نتحدّث على بساطٍ أحمديّ..
لم تكوني كما أعرفكِ، ولستُ كما تعرفين... غيّرتنا الثّورةً معاً، وغيّرت داخلنا الكثير...
لا تسألي أيّ ثورة، وأيّ تغيير... هو ذاته الذي جعلكِ تغالطين، وتعيشين حالة الإنكار هذه...
هو ذاته الذي يقولُ عنه تُجّارِكِ حين نسألهم « كيف الوضع » ؟؟ فيجيبون.. « هناك كركبة» يوم الجّمعة!!
بالله عليكِ هل هناك كركبة أكبر من تغيير مسمّيات الأشياء، فمتى نضع النّقاط على الحروف؟!!
أعرفُ أن قلبكِ معي، مع حمص، مع حماة وبانياس وإدلب ودرعا واللاذقية وجسر الشّغور... لكنّ إجاباتكِ عليّ قاتلة حين أخبركِ عن القصف وضرب الرّصاص، فتجيبون على لسانكِ فوراً... « الحمد لله... نحن ما عنّا شي!!» .
لحظتها أجبت: « الحمد لله إنو عنّا كل شي» .
أجل.. لدينا مدينة منكوبة لكنها سيّدة نفسها، وشعب مكلوم لكنّه بكرامته، وثورة أكلت كلّ شيء لكنّها أبقت لنا ما هو أغلى من كلّ شيء، فلا تحمدي ربّك على المذلّة والعبوديّة، واسألي الله العافية...

أدهشني ألا أرى صور الطاغية في واجهة المطار.. كانت هناك صورة واحدة مجعّدة، وكأن أرجل الثّوّار داستها، ثمّ جاء الشّبّيحة عندما اكتشفوا بأن النّظام لم يسقط بعد فعلّقوها.. الصورة لبشّار بين التّراب يغرس فسيلة!!

لكنني رأيته بين التّراب يحفر قبره، ليغرس الثّوّار فوق الرّكام الذي سيتركه الفسائل...

ها أنتِ ستجيبين ببطء، تحاولين التّفاعل دون جدوى، لأنك لا تريدين أيّة خسائر...

تريدين ثورة تقام بجهاز التّحكم عن بعد، ترددين دعاء «اللهم حوالينا ولا علينا»..

وكأنّكِ تفهمين أن معركتنا التي نخوض هي نوعٌ من الأذى، لكنّ الخير كلّ الخير فيها لو تعلمين!!

كئيبة أنتِ يا عزيزتي رغم مظاهر الحياة.. شبه ميتة من كرامة، لستُ أدري كيف استطعت إخفاء شعوري بالاختناق وأنا أتابع سيري في العمق، ورسمت على وجهي صورة جامدة، وأخفيتُ دموعي.. ولكن.. إلى متى؟!!

كانت هنالك مظاهرة عند محطّة الحجاز، في قلبكِ، سبع دقائق من الحرّيّة، سبع دقائق من الكرامة، قادها أبطالك الشّجعان هناك، بالله عليكِ كيف طاب لقلبكِ أن تراقبي زينة شبابك وشابّاتكِ يواجهون الموت بكلّ إيمان، وتغاضيتِ عن الوقوف لدعمهم...

صوتكِ شحّ عن هتاف، قلبك لم يعد له نبض يُسمع، عيناك مغمضتان... لكنّه ليس وقت النّوم فلم تتظاهرين أنك تحلمين بالغد الأفضل؟!!

ياه يا دمشق لو تعلمين كم أنتِ كبيرة.. وكم أنتِ قادرة على ابتلاع النّظام ودهسه وإرغام أنفه على الاستسلام..

الحيّ فيكِ مدينة، ومدنكِ إن قامت قيامتها، فأيّ نظام سيردعها؟ أيّ شبّيحة سيتبعثرون في اتّساعها؟؟ أيّة آلة قمع ستكفيها؟؟ فكّري بعقل ولو لمرّة، ستعلمين أن الأمر باستطاعتك مهما كانت القبضة قويّة.. أنت مدينة تعدل دولة، مدينة قادرة على حماية كل المدن، ونصرتها، ودعمها... لكنها لم تفعل، لأنها لا تُريد، وباتت تُباهي بأبطال قلّة، طوتهم السّجون والتّعذيب، وأرهقتهم المعتقلات والتحقيقات وعيون الرّقباء التي باتوا مادتها الرئيسية، لأنهم قلة.. لأن أهلك لا يريدون لهم ولا لنا الخلاص سريعاً... فلا تنكري هذه الحقيقة!!

كانت ثائراتكِ أجمل ما رأيتُ فيك، رأيتُ في عيونهم عيون دمشق الجميلة، وفي حماسهم استرجعت أيام أمجاد وعِزّة، وفي مشروعاتهم الصّغيرة كنت أعرف أن الأمور ستعود لخير، فقط لأنهن مع ثواركِ وقفوا ليحموا حماكِ، لينفوا عنكِ خطيئة الصّمت... وأصواتهم القليلة نجحت في شقّ جدار ذلك الصمت، فلتسجّلي في كتاب التّاريخ الجديد كم كانوا كباراً، وكم كان غيرهم أقزاماً ضمن أسواركِ..

أخبري قاسيون نيابة عنّي بأنّي لم أره، ولم أفكّر في رؤيته، شعرتُ لوهلة أنه غير موجود، أو أنّ أنواره كانت مطفأة!! المهم.. فليعم أنه كان صامتاً إلى حدّ الغياب، وليعلم كم هو مؤلم على أيّ إنسان يزوركِ فلا يتفقده، ولا يتمنّى لو أنه اختلس ولو نظرة صغيرة له...

عائدة فوراً إلى حمص، على جدار النفق قرأت عبارة نفاق لبشّار، ضحكت من سذاجتها، وضحكتُ من خوف الجنود الذين يفتّشون السّيّارة، وجيوب المواطنين... تمنيتُ لو حملتُ في جيبي قنبلة، وعلى ظهري قذيفة تهدم الحاجز، تهدم السّور ليُفتح بيننا وبينكِ طريق، لعلنا نتواصل مجددا...

حمص تستقبلني كأمّ حنون، وجهها الطّيب يزداد ضوءاً وبهاء، شباب الإغاثة يتبعثرون كالعادة في كلّ مكان.. الفتيات يتحركن بصمت وفاعليّة، الجنازات والشّهداء يرسمون ملامح مدينة جديدة حدودها باتت باللون الأحمر، ليس على الخريطة فقط بل على أرض الواقع، رسمتها دماء الشّهادة...

وجهُ شابٍ كالوردة يبتسم على ورقة النعي... ورفاقه يقفون قرب داره يتأهبون لزفافٍ مختلف!

وخبرٌ يتصدر صفحات أخبارك عن خمسة عشرة جثّة لطفل في مشفاكِ الوطنيّ... وجثث أخرى تُسلّم تحت التعذيب، والرّستن تُقصف، وكرم الزّيتون، الإنشاءات تُهاجم، بابا عمرو تُحاصر، القصورُ تُهدد بالاغتيال...

هذه المدينة التي أدمنت البقاء فيها دون خوف... ها هي حروفي التي أكتبها وأنا أسمع قرع طبول المتظاهرين تحت داري... لأشاركهم لعن روح حافظ... لأداوي بعض أشواقي بهتاف الحرية التي نصنع..

أيّا كانت أحوال المدن، يبقى الثّوّار في كل مدينة هم زينتها، هم أبرز معالمها...
يخلد الشعب العظيم، واللعنات تطارد الظالم إلى قبره..

• هل ظننتم أن الحصار قد انتهى فعدتم لحياتكم العادية؟؟
هل مللتم من أخبار بابا عمرو؟؟
لا تنزعجوا فباب السباع اليوم وكرم الزيتون على لائحة الهجمات الوحشية
ناموا هانئين في بيوتكم... ولا تنسوا أن تتغطوا جيداً

• لا تخافوا من الطّاعون يا أحفاد خالد..
فقط أبقوا سيوفكم لله مسلولة..
ليس أهنأ للمؤمن من قبرٍ يرتاحُ فيه بعد حياة نذرها في سبيله..

• طالما بقينا ننتقد أخطاء الثّوّار، زلاتهم وعثراتهم من خلف شاشات الحواسيب..
طالما لم نحدّث أنفسنا بالنّزول إليهم لنكون منهم وإليهم...
لنضيف إلى الشارع كلّ ما نحمله من فكر ورُقيّ وحضارة..
طالما نحجرُ على المثقّف أو صاحب العمامة أو المتعلّم أن يُعرّض نفسه للخطر في سبيل الله، باعتباره عقل فذّ يجب المحافظة عليه..
لن تنجح ثورتنا.. ولن يُصغوا إلينا لأننا لسنا منهم، لأننا ضننا بأنفسنا على الثورة، واكتفينا بتوجيه النّصائح، لأننا سمحنا لغيرنا أن يسرقها، أو أن يسيء إليها عن حسن نيّة، أو سوء نيّة...
دعونا لا نلوم الثّورة والثّوّار إن كثرت فيها الأخطاء، بل نلوم من تركوا أمكنتهم ثغرات لينال العدو منها...

• أرجوكم.. لا تتركوا مُدنكم وبيوتكم نهباً للشّبّيحة.. لا تساعدوهم في خططهم لتهجيركم عن أحيائكم ومدنكم..
إنهم يريدون إفراغ المُدن من روحها.. وأنتم أيّها الشباب رُوح المدينة..
وقفتم في وجه النظام عاماً كاملاً..
قاومتم ببسالة أعتى وسائل البطش والقمع.. صمدتم بشجاعة..
واليوم المُدن تُقصف، النظام يزداد عُنفاً لعله يقضي عليكم..
لكنكم أنتم أيضاً تغيرتم.. لستم كالسابق.. بتّم أقوى بكثير...
إن احتجتم دليلاً فتذكروا لحظات ولادة الثورة.. كيف كنتم.. وكيف أصبحتم؟!!
كسرتم حاجز الخوف، وجدتم ذواتكم المفقودة، عرفتم نقاط ضعف النظام وقوّته.. فهمتم دوركم في الثورة..
لا تصدقوا أن خدمة الثورة من بعيد تشبه العمل على الأرض...
لا تصدقوا أن النظام سيسقط عبر الحواسيب فقط..
عودوا واملؤوا الشوارع والساحات بهتافاتكم القوية، زلزلوا ما تبقى من أركان النظام، ساندوا الجيش الحر، ابذلوا أنفسكم رخيصة.. ستدركون حينها أنكم الرابحون...
غيابكم يغيّر كفّة الميزان..
عودوا... واثبتوا... واذكروا الله كثيراَ..

• هذا هو الطريق، قد وضعتم الآن أقدامكم عليه فسيروا قدماً .. اضربوا ضربة الحق .. ودعوهم هم يشتكون إلى مجلس الأمن، فلقد كنا في المدرسة نحتقر التلميذ الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الشر فيذهب باكياً إلى المعلم، فيقول بصوت رخو .. وعين دامعة، وشفة مقلوبة: «أستاذ، هاد ضربني».
وإن صادروا اليوم أموالكم، فصادروا أمواهم، وإن طردوكم من منازلكم، فاسترجعوا أنتم –على الأقل– هذه المنازل واطردوهم منها كما طردوكم.

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة « .. ودعوا الكماليات، ووفروا المال، واشتروا السلاح، دربوا الرجال على على القتال، وعلموا النساء اتقاء الغارات، واجعلوا البلد كلها ثكنة كبيرة.

إن اللغة التي يفهم بها البشر اليوم هي لغة المدفع، والحق على شفار السيوف و حد لأسنة، لا بأطراف الألسنة ولا بصحائف الكتب...

فلا تتكلموا بعد اليوم إلا بلغة المدفع !

وجوهٌ كالشّموس ولكن..

● بين قصص النازحين الكثيرة، هروب الأطفال - ومنهم عراة - تحت القصف لأنه لا وقت لارتداء الثياب حين يباغتك الموت عبر قذيفة، أو دبابة تصوب فوهتها تجاه بيت أغلب سكانه من الأطفال، الشّتات الذي أصاب العائلات، أم لا تعرف مصير ابنها مدة شهر، وأخت لا تستطيع تفقد أخيها في الحارة المجاورة، وأطفال ضاعوا في يوم الثلج.. الخوف والفقر والحاجة والألم..

أمور كثيرة جمعت هؤلاء النازحين تحت سقف ملجأ واحد، أو أسقف متفرّقة.. وقصص شتى تدمي القلب قبل العين كانت تغرق من معي في بحر من الدموع، وكنت أتحامل ولا أبكي أمامهم.. أو أمامهن.. أصحاب المأساة..

لكنني لم أستطع حبس دموعي وأنا أرى طفلاً رضيعاً وُلد منذ أيام قليلة في أجواء النزوح، ولم يعد لبيته، عاد إلى الغرفة التي باتت له البيت والمدينة وكل الوطن... الغرفة هي عالمه الجديد، ومحيطه الذي سيحيا داخله..

سيستغرق الكثير من الوقت لإفهامه حين يكبر معنى البيت.. والحيّ...

لكنه سيكون خبيراً في مفاهيم الظلم والقهر... وسيحمل في معجم الكلمات التي سيحفظها كلّ مفردات الألم...

وجه الطفل رغم كل شيء بدا كالشّمس.. مفعماً بالأمل...

إلى الآن لا أعرف.. لمَ بكيت فيما أمّ الصبيّ وجدّته ووالده كانوا يبتسمون..

ولمَ أثّر بي بين كلّ المشاهد التي رأيتها في الغرف البائسة رؤية قفص داخله عصفوران اتخذا لهما مكاناً في غرفة صغيرة ضاقت بقاطنيها، لكنها لم تضق عن احتواء عصفورين للزينة، في مدينة الركام والآلام، وفي أضيق الأمكنة عيشاً، وفي أصعب الظروف.. بوسعنا تشكيل عالمنا الخاص الذي يساعدنا على الصمود أطول فترة ممكنة...

ولعل صوت الشقشقة عند الفجر يلهم أهل الملجأ جميعاً بعض الفرح، ولعله ربّ الأسرة النازح قد نّذّر لله بإطلاق العصفورين إلى فضاء الحرية لحظة عودته إلى بيته وحيّه القديم..

أوصلت للصبيّ وأمّه « نقوط» الولادة.. مبلغاً من المال أرسلته معي سيدة حمصية فور سماعها قصّته..

الطفل الوليد والعصفور ودعاء بحرقة من قلب سيدة مُسنّة يواسيها زوجها بابتسامة مفمة بالحب..

لمعة الفرح في عيون من نخبرهم أن إمكانية العودة للأحياء المهجورة قد تغدو ممكنة قريباً...

الطفل الذي يتهيأ لقيادة مظاهرة في الخالدية فور عودته...

أمورٌ تُبكي من الفرح بشعب طيّب رائع يتابع ثورته بقوّة مختلفة وبإصرار يشبه المعجزة..

نازحون ولكن...

قلوبنا على بعضنا أجمل من أي وقت مضى...

نازحون.. ولكننا في أحلك اللحظات نوقد شمعة لنحو الظلمة، ليسري في عروقنا نبض التفاؤل بالغد القادم...

● شاب خرج وجهته الجنة.. شابّ قضيّته أن يرفع للحق راية، شاب يتمنى الشّهادة كل ليلة، يخطط لها، ويرسم دربها كما يخطط غيره مشاريع حياتهم.. شاب خرج نصرة لدين الله، لشعب مظلوم، شاب تصدّى لمجرم طغى وتجبّر وأقسم أن يزيله مهما كلّف الأمر من ثمن...

شابّ ثابت رغم كلّ ألوان الضغوط وقد أقسم أن يعود بإحدى الحسنيين.. فمهّد طريق النصر ونال الشّهادة..

كيف لنا ألا ننصره، كيف لنا ألا نقابل التضحية بمثلها؟ كيف لنا أن نبخل ببعض ما عندنا وقد أعطانا كلّ ما عنده؟!!

• هنا أرواحٌ تنبضُ بالحُرّيّة
طفلٌ يرفعُ الراية بكل الكبرياء
وحُرّة توصي أخواتها بالثّبات وألا يستسلمن لوهن وألا يخشين إلا الواحد الأحد...
أصواتٌ تعلو بالتلبية
عِبادَةٌ نرفعها لله في السّرّ والعلن..
نجدد العهد كلّ جمعة
ونفضّ المظاهرة على أمل النّصر.......

• لستُ أدري هل اشتقت إلى بابا عمرو، أم لمهابة التشييع، أم لتأمل وجوه الشهداء باسمة وهي ترى مقعدها من الجنة؟!! اشتقتُ للجنة!!

• كانوا يسقطونَ علينا الرّصاص مطراً ليحيلوا عيشنا نكداً، وكُنّا نحتفي بالرّصاصة القادمة ونقدّسها، لأنها تنقل المرء منّا دون حواجز إلى الجنّة..
وكانوا يقاتلون لأجل أن يبقى بشّار لهم ربّاً فتضيقُ الدنيا وتُحدّ في صورته، وكنّا نقاتلُ لأجل لا إله إلا الله ونعلم يقينا أنّ لنا الدّنيا على اتّساعها والآخرة بخلودها وهنائها..
وكانوا يُريقون الدّم على الأرصفة والطّرقات، وكُنّا نعبئ الدّم زمراً في أكياس نخزّنه، ونخشى عليه أكثر مما تخشى جدّاتنا على مؤونة الدّار أن تنفد.. لعلنا – إن فعلنا- ننقذُ روحاً طاهرة قبل أن تزهق..
وكم شرّدوا منّاً شيوخاً ونساءً وأطفالاً، وكم تفانينا في البحث لهم عن مأوى لعلنا ننسيهم فكرة الضّياع، وكلّما زلزلوا الأرض من تحت أقدامنا لنسقط، كُنّا نمدّ أجسادنا جُسوراً للعابرين..
سوط الجلاد كان يلسعنا في ظلمات السّجون، وآيات عذبة من كتاب الله تشفينا، عبر حنجرة ثارت على العتمة وارتضت أن تتلقى السوط عنّا وأن تتحمّل قسطاً من العذاب لترَحَم..

تكبيراتنا كم أرهبتهم، ونظرة التّحدّي أسقطتهم، وأن يكبرَ طفلٌ منّا فيحاسبهم... تلك مصيبة، تلك هاجسهم، ولذلك ذبّحوا الأطفال، ولم تتوقّف الحرائر عن إنجاب أضعاف من ذُبحوا..

فتقوا الجراح ورتقناها بخيوطٍ من نور.. أثاروا العتمة فطاردناها بالسّيوف وعانقنا الفجر حين التقينا بعد طول اشتياق..

سنبقى نرفع السّبّابة نطلبها شهادة لله إن عشنا أو مضينا إلى دار الخلود، سنرفعها توحيداً وإحقاق حقّ ودحر ظلمة وتهديد ظالم أن شيئاً على وجه البسيطة قد يُنسينا كلّ لحظة مأساة، كلّ دمعة ألم، كلّ آهة حزن..

سنكبر... أجل سنكبر... كُلّما توشّحنا الصّبر وتحدّينا الجراح وأشعلنا القناديل التي على بصيصها يستدلّ الفجرُ على موقعنا...

فيهاجر من كلّ العوالم.. ليستقرّ معنا... وفي قلوبنا..

• القذيفة التي تغتالني.. لستُ أدري أتُهديني الشّهادة، أم تُسقط عذاب الله عليَّ لأنّي قد توانيتُ عن ردعها، ولم أقم بما أمرني الله به من حقوق، وأولها حق نصرة دين يُحارب، وأرض تُحرق، وحقوق تُنتهك..

• قُل لمن يمهل نفسه مزيداً من الوقت ليتخذ قراراً هو يعلم علم اليقين أنه صائب.. أنت محاسب على التأخير..

ففي لحظات تفكيرك وترددك تتسع الثغرة التي تفسح المجال للطواغيت أن يتربعوا على عروشهم مزيداً من الوقت..

في لحظات تأخرك تُرتكب الجرائم، وتحملُ ذنبها في عتقك لأنك لم تنصر أخاك، لأنك خذلت مسلماً استنصرك، لأنك تركته وحيداً في الميدان يقاتل بمبادئه بعد أن فرغت بندقيته من الرصاص، لأنك شهدت المجزرة تحدث واكتفيت بالصمت أو التجأت إلى الدعاء ولم تحرك بعدها ساكناً..

لأنك جعلتهم يؤمنون كل لحظة أن الخير في الأرض إلى زوال.. لأنك اكتفيت بمشاهدة أخاك مثخناً بجراحه، وروحه تُقبض وحيداً غريباً، ليست وحدته عن قلة الناس أو البعد عن الوطن، بل لقلة النخوة وغياب المروءة، وقبل ذلك كله انطفاء نور الإيمان من القلب..

اجعل إيمانك نبراسك لسلوك درب الخير، ورادعك عن التأخر في نصرة إخوانك...
واسأل الله ألا تموت وأنت في زمرة من خذلوا المسلمين..

• ومع كل ليلة قصف أدرك روعة الصمود والثبات لشعب أبي لا ينام الليل وهو يخطط لصناعة الغد المشرق..

المدينة تُهدُّ من ناحية، وأساساتها تُبنى من كلّ ناحية، ولا ينهار فيها إلا عرش الظالمين...
كذبوا حين قالوا قد انهارت مبانينا...
أيّ شيء تعني أكوام الحجارة أمام إنسان يُبنى، عملاق يُصنع على عين الله..
ولعلهم أدركوا قوّة هذا الإنسان فحاربوا الأطفال بالدبابات، وهاجموا الشيوخ بالقذائف والصواريخ، وقاتلوا الشباب بالمروحيات..
وتفجرت الدبابات، وسقطت المروحيات...
ونحن ههنا باقون... وسنبقى..

• قِبلة الأحلام هذه، لأجلها نُرخص الروح والدماء اليوم، وغايتنا أن نفكّ عنها أغلال الظلم، وأن تزهو بنفسها حُرّة من جديد..
سنجتاز أسوار الليل، ونتسلق جدران العتمة، سنُعبّد لنا طريقاً إلى هناك، وسنغرس في حافتيه الياسمين..
ستثمر الزيتونة والليمونة وستدمع للقائنا السماء شوقاً.. ويُعشب الفرح فيمد سجادة الربيع بنا زهواً..
للقدس وعد علينا أننا إليها سنعود..

• لم يقتلوا البشر فقط، قتلوا حبّة القمح السمراء المعجونة بقطرات من العاصي.. العصيّ عن الخنوع..
قتلوا الرّغيف، طعام الفقراء، ورمز الحياة لدى الشعب..
قرروا أن تستشهد السنبلة، وقطرة الماء وأن يتشظى الرغيف، وقبل ذلك كله، قرروا أن يهدروا الدم البريء، لا لذنب إلا لأنهم ممن قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله..
بأيديهم يحاولون قتل كل شيء يستند عليه هذا الشعب الطيب، هذا الشعب الذي يمتلك ما يقوّض أركانهم، ويزلزل حكمهم، ويقتل جبروتهم..
هذا الشعب المسلّح بلا إله إلا الله، لديه الخيار، إما أن يلقي عنه هذا السلاح فيستسلم للنحر بأساليب مختلفة، أو يأخذ كتابه بقوة، ويثأر لحقول القمح وعذوبة الأنهار، وطهر التراب الذي منه ولد وإليه يعود..
ولعله يدرك يوماً أن هنالك فرق شاسع بين العودة للتراب بعزّة، وبين أن يُعفّر وجهه في التراب ويقضي العمر ذليلاً..

• الاختبارات في طريقك تزداد صعوبة بمجرد نجاحك واجتيازك لها، لأنها تعني أنك انتقلت إلى مرحلة جديدة، تحتاج تخطيطاً جديداً، وإعادة هيكلة أفكار، تحتاج علماً يهبك القوة، وطاقة إيمانية هائلة تثبتك وتعينك على الصمود، وكثيراً من العدة المادية والمعنوية، مختلفة أو معدّلة في الشكل والمضمون على التي سبقتها، لتستمر، دون أن تتوقف، أو أن تتراجع، أو تتمنى لو يحفر لك قبراً فقط لأنك لم تعد تطيق صبراً..

• وتسألني الصديقة الحزينة..
كلّ ما نمرّ به من آلام هو حلم.. أليس كذلك؟!
وأخبرها أننا على طريق اليقظة، وأن وخزات الألم تبدد غفلتنا، وتطهّر أرواحنا، وتجعلنا نقترب من الله أكثر..

وبأن العمر لا يلبث ينقضي سريعاً مثل الحلم، ولابد أن تواكب سرعته؛ سرعة تغيير ما بأنفسنا..
وتغص بدمعة، وأشعر أن جوابي بات فلسفياً لا يصل إلى واقعية أحزانها..
فأخبرها أننا نحلم.. أجل نحلم، وهم يراقبوننا من بعيد.. كلّ الأحبة الذين قد رحلوا، ينتظرون كيف نصنع واقعنا من صميم الحلم فيغدو سلام نفس وأمنها.. وكيف نبني جنّة صغيرة لنا في القلوب، لنعبر منها إلى هناك، إلى حيث سبقونا وقد ودّعوا الدنيا بـ لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.. فنحاول أن نلتقي عليها، كما افترقنا يوماً عليها..

• اللهم رحماك بغربة تعصف في قلوب شبابنا.. لا تفتنهم وقد أقبلوا إليك، ولا تُبعدهم وقد ساروا إليك..
اللهم قوّ عزيمتهم، وألهمهم الرّشد، وألّف بين قلوبهم، ونقّها من كل دنس يباعد عنك..
اللهم إنك تعلم أنهم يميننا التي نقاتل بها عدوّك، وعيوننا التي نستشرف بها المستقبل بكل الأمل، فارزقهم الإخلاص مع كل خطوة، والصبر مع كل محنة، والثبات مع كل معركة، واجعل راية الحق ظاهرة تقرّ بها أعينهم، وتشفي بها صدورهم، وتنصرهم على عدونا وعدوهم..

• الخوف من الفشل إن لم يحفّز على بذل مزيد من الجهد والإتقان في سبيل النجاح.. فهو مقبرة العمل...

• قالوا: لم يَعُد في سورية أيّ مكانٍ يأمن الإنسان فيه على نفسه..
وما أراه اليوم في سوريّة قمّة الأمانَ.. ينبُعُ من عمق الإيمان.. أنه لا أمان إلا برضا الله تعالى، ولا رضوان إلا باتّباع الحق..

فليتخطّفه الخوف من عاش حياة باطل وإن سيّجتها الحصون وعُمّرت فيها البروج المشيّدة.. وليعمر قلبه السّكينة من عاش في أمان الله.. في حفظه ورعايته وإن ظلّلته سماء الحمم، وأقلّته أرض روتها الدماء..

● كل من اختار البقاء في المناطق الساخنة قرر الصمود حتى آخر نفس..
قرر التخلي عن كل شيء حتى النصر أو الشهادة..
لا فرق عنده في التفاصيل.. كل الدروب صعبة إلى هناك، كل التضحيات مُرّة..
بقي أن نتحلى بالصبر الكافي لاستيعاب ما يجري.. للصمود..
وبقي أن نضاعف جهدنا مرة أو مرتين أو عشرة... أو أن نستنسخ من كل إنسان فاعل ألفاً.. حسب الشواغر التي يتركها أصحابها تحت سطوة النظام، ورغما عن إرادتهم..
حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً...

● كل يوم أكتشف مأساة..
أطفال هرموا في الثورة، وحملوا من الهموم ما لا يطيقه الكبار..
تلفّتوا حولكم.. خصصوا نصف ساعة يومياً للتحاور معهم..
أهدوا إليهم بعضاً من الضوء والأمل، لا تظنوا أن مهامكم العظيمة أفضل منهم..
لا شيء بالمطلق أهم من قلوبهم البريئة.. احفظوها من أن تتمزق بشيء من الرعاية والود..
فبينهم من يفكر لو لم يعش مطلقاً في هذه الحياة، ومنهم من تراوده نفسه بالانتحار...

● الرجاء ممن ينشرون طرق صناعة الخبز في الأزمات أن يدرجوا معها طرق تأمين الطحين..!

● وللغضب معانٍ لا يعرفها أهل اللغة..

هو الجذر الذي يربطك بعمق بأرضك، يدفعك لأن تقاوم، تتحدى، تصرخ بوجه الغاصب، تتوعده وإن لم تمتلك قوّته..
هو القوّة التي لا تدري من أين أتتك، لتجعلك تسير وكأنك تحلّق عالياً، وتحلّق وكأنك تعبر الزمن، تتصدّى لكل ما يقف في طريق الوصول.. يجعلك تسير وكأنك محصّن بدرع ودبابة..
هو الإيمان يسخر من هواجس التهيؤات والاحتمالات، هو التضحية بالروح في سبيل أن تحيا الرسالة..
هو الزهرة التي تنمو رغم الصقيع، لتغيظ مارد الجليد بزهو ألوانها..
هو الرعد يعلو صوته ليزلزل الأرض بسطوته..
هو المطر يغسل أحزان الشوارع بكبرياء ولا يأبه لمصفحات الأمن تجوبها، لأنه يعرف أنها قريباً ستختفي.. وإلى الأبد..
هو الصراخ بكلمة حق وإن أكل الخوف قلوب العباد..
هو الصمت الحكيم يربط على قلب صاحبه، يأمره بالرّدّ المناسب في الوقت والمكان المناسب..
هو القدرة على البناء برغبة تضاهي كراهية الهدم..
هو التّرميم في لحظة يرفع فيها الناس رايات العجز..
هو صنع رغيف وقت المجاعة ليتقاسمه الناس ويفهموا معنى الأخوة التي بعثرها الانشغال بالمصائب الفردية..
هو روح الجماعة تنتشر كالضوء لتقاتل جحافل الظّلمة..
هو الرحيلُ عن الحياة بابتسامة عزّة تغيظ عدوّ الله، وتبشّر المؤمنين بالنصر المرتقب..
تموت الشعوب عندما تخبو في نفوسهم شعلة الغضب لله!

نظرات...

• وأمرّ بها.. أحاول أن أقترب منها ما استطعت، لألقي أطول نظرة ممكنة.. كفلسطينيّ مُغترب يطالعُ وجه القدس من خلفِ الأسلاك الشّائكة ولا يملك العبور.. ولكن المفارقة هنا أنه ليس ثمّة أسلاك شائكة!

بل مشكلات شائكة، وأحلامٌ مفخخة، وعصافير باتت تعتذر من صغارها حين لا تجد القشّ الذي يبني لهم العُشّ، وتشعرُ بالتّخاذل وهي تتخذ من الأبنية المتهاوية والآيلة للسّقوط أوكاراً لها..

طعم الموت أحسّ به كل لحظة، وأنا كاللصوص أحاولُ اختلاس نظرة إضافية، وجنديّ أحمق يراقبني، يرفع بندقيته متباهياً بسلاح وذخيرة قد أهداها العالم إليه ليُمعن في القتل، وأراقبه وأفكّر كم هو جبان، لا يجرؤ على تخطّي حدود نظرتي إلى هناك، أو الاقتراب من حمص القديمة، فهو بارع بالتباهي بقوّته أمام العُزّل من رجال ونساء، وأطفال وشيوخ، لا مفاجآت في الأمر، قد فهمنا الحكاية منذ عقود، وعجزنا عن كتابة فصول النهاية..

هناك خلف الحدود الوهمية عالمٌ آخر، موسومٌ بنبض الحرّيّة..

يتجوّل فيه الأطفال بسلام رغم القصف بالبراميل المتفجرة.. يلعبون بالكرة، ويقفزون بالحبل، وأطفالنا باتوا يتوجّسون من أن تكون الكرة في شوارعهم قنابل متفجرة، وأطفالنا باتوا يخافون من أن تغدو الحبال مشانق لبراءتهم، وأحلام طفولتهم.. سلامهم الذي تتشربه كل خلية فيهم هناك لا يشبه سلام أطفالنا خارج تلك الحدود وهم يتجوّلون وفي عيونهم نظرة انكسار موشّاة بالوجع.. تحت سماء تغصّ ألماً كلّما اخترقتها طائرة ميغ وعادت بعدها سالمة، لا لأنّ الذين تُمطرهم بالحقد قد جبنوا عن الرّدّ، بل لأنهم مُنعوا من امتلاك وسائل الرد..

وهم رغم ذلك ينعمون بحرّيّاتهم ضمن إطار تلك الحدود الضّيقة.. وتضيقُ بنا دنيانا وكأنها الأسر، وتطحننا القضبان مع الأرض على اتساعها وهي ضمن نطاق اختيارنا في الرحيل أو القرار..

ونحارُ تفكيراً متى يكون موعد الخلاص، وتهدم حدود الوهم، متى نلتحم، ونتّحد، ونفتح طريق الحرّيّة معاً.. بروح واحدة، بإيمانٍ يرصّ صفوفنا تحت راية التوحيد..
متى يتحرر من بيننا العبيد..
ونحررِ أنفسنا خارجِ وداخل تلك الحدود من القيود!
نظرة تُحرق، ونظرة تُدمي، ونظرة تطعن القلب مع حلول فجر كل يوم جديد..

• ((فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ✻ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل))
معيّة الله لا تنفكّ تسبغ على القلوب المؤمنة من نفحات الهدى، فتحوّل المحنة إلى منحة، فينجلي الهم والحزن، حين تغشى رحمات الله.. كل من خرج في سبيل الله..

• الشعور الأول الذي راودني وهي تحلق على ارتفاع منخفض، ومن ثم تقصف فتهتز أركان المنزل من هول القصف..
عرفت كم أننا أقوياء، رغم أننا لا نمتلك أية أسلحة نوعية لتصطادها، أقوياء.. رغم الحصار..
أقوياء رغم أن نصف المدينة مدمّرة..
أن تأتي إلينا الطائرات قاصدة، متحدية مواجهة..
فلنعلم أننا ارتفعنا إلى مستواها..
وقبلنا التحدي..

• والقلب آلة بلا معنى، إن لم يُضخّ الضوء داخلها عبر آياته..
والعقل تعاريج بلا معنى، إن لم يبث في كل خلية فيه طيب معانيه..
والروح كقطعة قماش خلقة، لا يحييها إلا « الكتاب»!!

قوقعة الحياة

• كل إنسان منا يعيش داخل قوقعة خاصة مغلقة، ليس بالضرورة أن تكون قبيحة، بل على العكس، إنها تتبدى لنا في أبهى صورة، لتخدعنا، لتشدّنا إليها كلما حاولنا أن نفتح الباب، ونطلّ على الخارج...

قوقعتنا قد تسرد لنا كل يوم، وقبل النوم حكايات مخيفة عن الخارج، عن الوحوش والغيلان، والعقارب والذئاب، عن الناس السيئين الذين ينتظرون خطوتنا الأولى ليقضوا علينا...

وهي تبتسم بارتياح كلما حشرنا أنفسنا داخلها أكثر.. حتى وإن كبرنا.. فهي توهمنا أن المكان مُتّسع...

بداعي الحب الأناني، والخوف المرضي، بداعي قيود العادات والتقاليد، والأفكار البالية..

بداعي الخوف من التجربة، والخوف من الفشل، والخوف من الجديد أيا كان..

أشخاص كثر ولدوا وماتوا داخل القوقعة..

وأشخاص كسروا حاجز الوهم، واكتسبوا التجارب والخبرات، بنوا نجاحاتهم من الأخطاء والفشل المتكرر، صقلوا شخصياتهم وخبراتهم من الاحتكاك بالناس..

خرجوا بالمبادئ والقيم، لتُطبّق على الأرض، كما أراد الله لها أن تكون، لا كي تموت هي الأخرى في قلب إنسان واحد كتمها عن العالم الذي يحتاج إليها، وحرمها من أن تتطور إذا ما خالطت النور...

البداية دائماً في الخروج من القوقعة، في عدم الاكتفاء بالنظر إلى العالم من ثقب صغير أو حتى من نافذة...

ليس المطلوب أن تنفصل تماماً عن قوقعتك، بإمكانك حملها والتجوال بها لتحتمي بها من العواصف، لتراجع فيها أفكارك، لتنقل إليها كل جديد فتغدو مختبراً لأبحاثك واستنتاجاتك... لتخبرها أنها وطن جميل ستبقى تحمل له الحب والامتنان، لكن العمل على الأرض وطن أجمل وأرحب..

عدّاد أيّام العمر

• تأخير النصر، وزيادة التعذيب والتنكيل والجور، غفلة العالم، اشتداد الألم والقيود.. كلها عوامل تصقلنا، تعلمنا الصبر، تقوّينا لنستطيع مواجهة القادم مهما كانت درجة صعوبته، تؤهلنا لمرحلة فريدة لا يستطيع القيام بها إلا الرجال بحق، الذين يؤمنون بالله تعالى وحده حق الإيمان، ويتوكلون عليه وحده حق التوكل، ويتعبدونه بفضائل الأعمال، ونبيل الخصال، فيحتملون المشاق في سبيله، ويخلصون النوايا ويتوجّهون إليه بكل صالح طيّب..

وهم أبداً لا يكتفون بالمتابعة بذات الأدوات التي بدأت ثورتهم بها، بل يعملون على التطوير والتحسين والتنظيم ما استطاعوا إليه سبيلاً...

يفتشون عن صلاح الأمة، لا عن رغبات فردية، وأهواء نفس، وانتصارات صغيرة مؤقتة...

هم يعملون بنفوس تواقة للمعالي، وهمّهم أن يملأ عدل الله الآفاق، ويشعّ نوره على العالمين، وأن يسهموا بذلك فيقابلونه وقد أدّوا ما عليهم...

زمن انتظار النصر حرام أن ينقضي بالترقب والثرثرة، فالشهور التي مضت لو استُغلّت كما يجب، لتم تجاوز المشكلات عوضاً عن تراكمها، ولبنينا النفوس فلم ندعها عرضة للتلوث والتشوّه، ولاستطعنا لم الشمل بالتذكير وبالموعظة الحسنة فاحتوينا الوجع لنداويه، فلا نسمح لجرح أن يتسع فيهدد أن يصيب بمقتل...

عدّاد الأيام يمضي، وواهم من اعتقد أن أحدا يعرف متى يسقط النظام، وإن سقط فمتى تُكفّ يد الظالمين... والأمة التي لم تُهيّأ وهي في الشّدّة للنهوض، لن تتحرك في الأمن والرّخاء... واللبيب من الإشارة يفهم...

• دولة نحلم بها لا تكون لخدمة الدين ليست بدولة!

شمعة في الظلام

• بدأ مشروعه لمحو الأمّيّة لشباب الكتائب في ريف إدلب..

شاب حمصي أفخر بهمّته، ترك اغترابه وعاد لحضن الوطن، ليغرس بين الناس خيراً...
رسالته الأخيرة من هناك، وأفكاره حول التعليم والنهضة الفكرية أعتبرها في مثل هذه الظروف شعلة، وليست مجرد شمعة في الظلام...
هي بداية الفتح بإذن الله..
فمن اقرأ دائماً نبدأ، وإليها ننتهي، ومعها نتابع في كل مكان..
سيعلمهم مع الألف.. الايمان.. ومع الباء... بيان القرآن.. ومع التاء.. تخطيط وتنظيم وإرادة وتصميم.. ومع الثاء.. الثقة بالرحمن.. ومع الجيم .. حقيقة الجهاد..
سيعلمهم مع الحاء.. حب الوطن.. ومع الخاء.. خلود الشهداء..
في الحرب والسلم، في مخيمات النزوح أو على الجبهات..
اقرأ ذات فروع كثيرة، تشعّ شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً فتملأ الآفاق...
اقرأ كانت فداء الأسير المشرك في بدر لقاء تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة..
زمن حرب لكن الحروف تضيء فيها كالنجوم، تتجه نحو البناء، فلا وقت نخصصه لوقت السلم، ولا نفصل العلم عن الجهاد..
اقرأ، مفتاح الأمة للارتقاء، ودافعها للنهوض...
تندرج تحتها كل العلوم والفروع والخبرات والميادين...
تصنع القائد والعالم والداعية والباحث، أو تعلمه أصول الأخذ عن هؤلاء..
اقرأ.. إن لم تحصد خيراً من غراسك فأنت في أسوأ الأحوال قد أشغلت عقلاً وحددت من شرّ الفراغ والخواء والظلمة والجهالة..
اقرأ.. هي البوصلة التي تُشير دائماً نحو درب النجاة.. الآن، وفي كل وقت وحين..

- اكتشف أخيراً أن في بلاده رجال
وأعلن عن ذلك صراحة على الملأ وكأن كلماته بمثابة تكريم لشباب بلاده
لستُ أدري هل اكتشف أنه ليس بينهم
وبأنه حين أثبت الرّجال أنهم رجالاً لم يكن حتّى من ضمنهم؟!!

- ليت الصامتين طوال مدة الثّورة يواصلون صمتهم، فأبطال سوريّة وأحرارها وثوّارها لا يرفعهم مديحُ من سكتوا حين كان للكلام في السّاحات قيمة... يوما بعد يوم يرخص الكلام، وتعلو قيمة الأفعال، فأين أنتم؟؟ وأين أفعالكم؟!!

البكاء لأسباب غامضة

• لا أتذكر أنّ عليّ كتابة يوميّاتي في الثّورة إلا أيّام التّشييع...
ربّما لأن أحداث ارتقاء الشّهداء هي فقط التي تستحقّ أن تبقى في الذاكرة مع مرور الأيّام!!
يومٌ حافل..
أمٌّ وابنها... الطّفل كفلقة القمر...
ومراقبة نعشه يدور في المسجد من سُدّة النساء في الأعلى مشهدٌ لا يتكرّر...
البكاءُ باتَ من الحاجات الأساسيّة التي كنتُ أطلبها منذ أيّام طويلة..
اختناقٌ بالهمّ، وشُحّ الدّموع يزيد الأمر سوءاً...
البكاء لأسباب غامضة، أو لأنه الحيلة الوحيدة في لحظة عجز، أو لأنه الصّديق الحميم الذي بات يفي بوعوده أخيراً بعد أن كان يخذلني كثيراً وينكثها... بات الشيء الوحيد الذي أتقنه..
لكنّه أبداً لا يعني العجز حين تندى به سجادة شهدت دعاء المظلومين..
الدموع أيضاً شواهد، والشّهداءُ شهودٌ يراقبوننا من الجنّة..
التّشييعُ كان متفرّداً... به شيء مختلف...
به لمسة غريبة، كحنان أم او عذوبة طفولة...
من سُدّة النّساء في الأعلى وخلف الثّقوب المُتاحة للنظر..
ترى العالم بشكل أوضح..
تجد ولادة لحظة وفاة، وتجد تضحية لم تهدر، تقرأ ذلك بوضوح في عيون الشّباب التي رأيتها تدمع..
هناك أيضاً يتفجّر الغضب... وتعلو الهتافات..
هتافٌ سبقنا به ثوّار ليبيا من قبل..
وطيفٌ من نور لاحقهم حتّى حقّقوا لأجله النّصر..

دمّ الشّهداء.. ما يمشيش هباء...
وهتافٌ آن أوانه منذ زمن طويل...
الشّعب يُريد إعلان الجّهاد...

• يا الله... النّصر أنتَ اعلم بحينه ووقته وكيفيّته وزمانه..
لا نشترط عليك أن تأتي به حالاً..
كلّ ما نسألك إيّاه أن تستخدمنا لتحقيقه، وترزقنا أدواته...

• منذ أن أشغلتهم جراحكِ عن الحديث عنك..
بتُّ وقلمي كاليتيمين نهذي في شوارعكِ الخاليةَ فجراً إلا منّا
أنا وأنتِ يا حمص...
تهدأ العُيون.. وتخلدُ إلى رُقاد..
ونبقى معاً بانتظار الشّمس..
أخطّ حروفي من نزفي..
فهل قرأتِ كلماتي المُبعثرة على جُدرانكِ
أم انشغلتِ بقراءة ملاحمكِ العظيمة...
ومعاركَ لا تختلف عن حكايات شهرزاد التي في صحافنا ثائرة..
تُضحّي بنفسها ولا تأبه بالقتل، إن أنهت حكايتها بإعدام السّلطان في ساحة الحُرّية...
تعلمين كم هو الحديثُ عنكِ غاية في الوجع
لكنّ الصّمت جدُّ أليم...
مسافةٌ من الموتِ تفصلني عنكِ...
فهلّا أخبرتني كيَف تُفرّقين بينَ الميّتَين؟!!
بين من مات ليفديك بروحه..
وميّت آخر أكثر ما يُعذّبه في حياته...

رؤية كلّ أحبابه يرحلون
وهو باقٍ...
وبين يديه وصاياهم..
وفي عينيه صورهم...
وحفنة من ذكريات قديمة..
تقتله في كلّ لحظة..
ورُغم ذلك لا يُدرج اسمه على لائحة الشّهداء....

• قدّمتم الجّهد والمال والنّفس في الثّورة، أتهدمون ما قدّمتموه بنوايا يعكّرها حُبّ الظّهور أو مديح النّاس أو المنصب أو الشّهرة؟!!
بعتم أغلى ما لديكم، لقاء ماذا؟!
أيكون جنّة عرضها السّموات والأرض، أم عرض الحياة الدّنيا؟!
حروبُ النّفس أشدّ من بطش شبّيحة النّظام وسُلطتها على الذّات أعتى من حُكم طاغية...
فلنُسقط بثورتنا طواغيت النّفس وطواغيت النّظام...
فكلّ قد يتمادى في الظّلم إن لم نوقفه عند حدّه!

• اصبري يا حمص.. فوالله الذي لا إله إلا هو إني لأرى بشائر النصر تلوح بين يديكِ.. أشرقي يا حمص رغم العتمة.. واسطعي من قلب الغيم... واكتبي قصّة الحرية بحبر من دماء شهدائك... لن يضيعك الله.. ولن تذهب تضحياتكِ هباء وإن حاربكِ الكون كلّه..

• صدقوني... الموضوع أكبر من مجرد خروج في مظاهرة ضد النظام، وأغلى من التبرع بمدخرات المستقبل للثورة، وأكثر عُمقاً من (تجربة) حياة التّقشف في ظلّ الحصار، ومن

الصّبر على أجواء الرعب والتهديد والتّرقب في غابة من الوحوش المفترسة..
الموضوع أكبر من أن تستجمع بعض شجاعتك لتقول كلمة حق، أو أن تعتبر نفسك بطلاً مقداماً إن رفعت الظلم عن مظلوم، أو تظن نفسك محسناً كبيراً إن وُفقت بتوفير سلة غذائية لعائلة منكوبة أو ضمادة لجريح، أو رصاصة لجنديّ حر...
الأمر يستدعي أكثر من ذلك.. إنه يستدعيك كلّلك، بكل ما تملك، لا مجال فيه للاستثناءات ولمزيد من الحسابات والتخوفات حول المستقبل...
لن تموت قبل أجلك ولن تجوع ورزقك مكتوب، لن تتشرد وربّ السماء يرعاك، ولن تُضام وحارسك الحق...
ابذل دون تخوّف، أعط بسخاء.. أنفق ما بوسعك، قدّم نفسك بالكُلّية لله.. ودع بقية التخطيط والتدبير عليه... لا تتعب نفسك في حسابات ستُخفق حتماً.. غيرك حاول أن يتذاكى، فاحترقت أوراق حساباته، واحترق معها كلّ ما آثره على الله...
نحن في معركة حق، حياة أمّة أو موتها... لا تعتقد أن النصر معقودٌ عليك فأمر الله نافذ، والنصر قادم... فكّر فقط كم ستكون تجارتك خاسرة إن قررت السير في القافلة الخطأ..

.

.

أكتبُ على وهج قنبلة ضوئيّة... تكتب في السماء حيرة النظام من الجيش الحُرّ.. فيخجل حبري من حجم تضحياتهم... وينزوي قلمي فيرقم نقطة الختام..

اللهم نصرك الذي وعدت..

• مضى قرابة شهر وبابا عمرو صامدة في وجه همجية النظام بعدته وعتاده وجنوده ومدرعاته وصواريخه ومدافعه... قرابة شهر وبابا عمرو ثابتة في وجه إيران وحزب اللات رغم غرورهما وتباهيهما أنهما قوى لا تُهزم، رغم التجند التام لسحقها، ورغم القصف الذي لم يهدأ ولم يتوقف لحظة، وهم منذ اليوم الأول يدّعون أنه اليوم الأخير

في حياة بابا عمرو... لكن عمر بابا عمرو أطول من أعمارهم، فملائكة السماء تقاتل مع جند بابا عمرو ودعاء المظلومين يُرفع من أجلهم، وهمّة الأحرار التي تتجدد مع كل لحظة وسعيهم في سبيل تقديم العون تتحد معهم...

قرابة شهر والنظام المجرم تقازم أمام حيّ حمصي صامد، فكيف إذا كانت كلّ الأحياء السورية مثله؟!!

يبقى هذا الحي مدرسة عظيمة للحرية... ويبقى أهله أساتذة لها..

ويبقى الدين لهم في رقابنا كبير لا يمكننا سداده..

- بيننا من خُلق ليحمل عبء الثّورة، ويمضي بها إلى طريق النصر..

ومنّا من هو عبء على الثّورة... وما أكثر الأعباء!!

- قتلوا لنا كُلَّ البلابل...

لكننا أبداً...

لن نتوقف عن التغريد..

- دقيقة صمت.. بين القذيفة والقذيفة

مساحة وعي متاحة لتفهم ما يحدث!

وأنت تفشل دائماً في الفهم..

ذاكرتك تعود إليك، تحدد لك موقعك، وشريط حياتك يمرّ سريعاً ليذكرك كم أن رحلة البشر قصيرة في الحياة..

شعورٌ بالنّدم مرير، لقلّة ما قدّمته...

أمنيات تتسابق مع (لو) لتخبرك أنك لو عشت مزيداً من العمر ستكون إنساناً أفضل مما كنته من قبل...

أحزانٌ تنهمر مع قصص كلّ من يلوّحون مودّعين.. وأنت تسأل عبثاً.. لم يرحل كلّ هؤلاء؟؟

أفكار تتصارع في رأسك.. وقضايا كبرى تلوح.. وأخرى سخيفة... كوجه العالم خارج نطاق مدينتك ذات التراب المشبع بالدماء..
صمتٌ مريب بين قذيفتين تتوقع معه أن تباد المدينة.. صمتٌ وقور وأنت تستحضر جثث الشهداء الملقاة على قارعة الألم.. صمتٌ غاضبٌ وأنت ترغم على الشهادة في محكمة الضمير.. وأنت تدرك أنهم لن يسمحوا لك بالحديث مطلقا، أو أنهم لن يصغوا لحديثك أبداً..
صمتٌ خانقٌ وسط الضجيج.. صمتٌ متأملٍ تغشاه السّكينة.. وأنت تفكر بأنها لحظة دفع الأثمان... لجيل سوف يقبض الحرية لاحقاً بيديه ولن يدعها تغادره أبداً..

• حدّثوني عن الخشوع والقرب من الله، عن فضائل الذّكر، وكيفيّة الصلاة ومعاني الدّعاء وأجر الصّيامِ والقيام... عن العمل وأجره، والعمر واغتنامه..
أحدّثكم عنها جميعاً من قلب الحدث في حمص...
أحدثكم عن معاني جديدة جامعة في ليلة رِباط في سبيل الله...

• تموت أمهاتهم فيكون عزاء الواحد منهم أنه حضر وفاتها، وودّعها في لحظاتها الأخيرة، وقبّل رأسها ويديها وقدميها، وسمع منها عبارات الرضا... ثن واراها الثّرى...
تموت مدينة هي أمّنا...
نحاول أن نكون قربها، أن نمسح عنها بعض حزنها، أن نخفف من آلام الجراح التي أثخنتها...
نراها أمام أعيننا تموت.. مع كل لحظة تنفجر فيها قذيفة.. مع كل دقيقة يرتقي في شهيد..
يزداد ألمنا ونحن نودّعها... يثلج صدرنا صبرها وإيمانها القويّ بالله وثباتها مع كلّ لحظة، فكأنها هي التي ترانا نموت أمامها وتحاول التخفيف عنّا...
تُعزّينا حمص في نفسها... لكن لا شيء أبداً يعزّينا على ما فقدناه وما نفقده مع كل جزء يتهاوى منها...

● إلى أشخاص يعرفون أنفسهم كانوا على لائحة من أعرفهم..
بصراحة..
لا أحبكم.. لا أكرهكم..
لا أمتلك أدنى مشاعر تجاهكم...
قد تعني لي الكائنات أو الجمادات الساكنة شيئاً، لكنكم لا تتساوون مع صخرة سمحت لنبتة خضراء أن تشقّها.. فتلك تضج بالحياة.. وأنتم أموات.. مجرّد أموات من كائنات غريبة..
لا أعتبركم بشراً بالمطلق... فأنتم حرمتم أنفسكم نعمة الإنسانيّة...
حرمتم أنفسكم نعمة العقل ليميز بين الخطأ والصواب..
ونعمة أن تمتلك رأياً.. وأنتم تفضلون الصمت والخوف والوقوف كجمادات وسط ما يحدث.. تتحاشون حتى كلمة (رصاصة) عبر الهاتف، خوفا من مراقب غير موجود إلى في عقولكم الفارغة.. تقفلون الحديث دون أدنى تفاعل، وكأن من يُقتل حولكم شيء عبثيّ أو مجرد وهم... وتتلفتون حولكم بعد الاستعاذة..
ترعبكم حكايا المظلومين لتنفوا عن أنفسكم تبرير عدم المبادرة تجاههم...
يطاردكم شبح الخوف على أنفسكم فقط.. وعلى أقاربكم بنسبة أقل، ولا بأس بأن يُقتل العالم كلّه بعد ذلك!!
أنتم للأسف... محسوبون على من يعارض النظام - بقلبه - وهذا الآن ليس أضعف الإيمان...
لا تصدقوا أنكم على خير، وبأن الله سبحانه لن يحاسبكم على تخاذلكم...
ولا تلوموني إذا تجاهلتكم في النهاية أنا أحد الأشباح المرعبة والخطيرة بالنسبة إليكم...
ابتعدوا عني ودعوني وشأني... واذهبوا وفتشوا عن أنفسكم .. عن إنسانية ضاعت منكم..

● كنت أعلم أن التاريخ يُسطرُ بدماء الشّعوب.. لكنني لم أكن أعلم أنّها كتابة تؤلم إلى هذا الحدّ!!

ضوء من داخل النّفق...

• من ينظر إلى حمص وحاراتها وأبنيتها المثقوبة أو المسوّاة بالأرض، من يتجول في الشوارع الهادئة ويرى المتاجر المغلقة أو المفتوحة وهي خاوية على عروشها من مواد تموينية.. من يرى الدخان يملأ سماء المدينة وهو يتصاعد من بابا عمرو.. من يلسعه البرد ويخجل من أن يرتدي سترة إضافية وغيره لا يملك ما يدفئ أطرافه المتجمدة... من يشاهد المقابر تُقصف وكأن الأموات أقسموا إلا أن يشاطروا الأحياء في حمص العناء.. من يرى الأسر النازحة في المساجد، والنساء اللواتي يبكين والأطفال الذاهلين عن أي شيء وأقصى غايتهم ألا يسمعوا القصف المدوّي فصوته يصيب بالجنون..

قد ييأس.. قد يُحبط.. قد يظنّ بأنّها النّهاية، وبأن الجميع ينتظرون فقط موتهم المحقق..

لكن الأيادي الطيبة الطاهرة لا تنفك تعمل في الخفاء..

وسط الحصار وكل شيء مغلق، توجه شباب بعد وساطات إلى أحد المخابز وسألوا مديره لماذا لا تخبز؟؟ فأجابهم أنه لا توجد موافقة على ذلك، فأحضروا له الموافقة، فقال لهم أن الطحين مفقود، فأخبروه أنهم أمّنوا بأنفسهم أكياس الطحين، فتذرّع بنفاذ الوقود، وأيضا أمنوا الوقود، فتحجج أن العمّال لا يأتون، فتقدم شباب الإغاثة الأحرار وارتدوا ثياب العمل، فألجموه، وتم تشغيل المخبز، وصنعوا بأيديهم ثلاثة آلاف (ربطة) خبز ووزعوها على المنكوبين...

نساء حمص وحرائرها في الأحياء الهادئة نوعاً ما ظللن يطهين للثوّار وللعائلات الفقيرة، ولم يتوقفن عن العمل..

شباب المعونات الطبية تفانوا بالعمل، ومنهم من استشهد وهو يسعفُ جاره، فعاد الجار إلى منزله سالماً ولم يعُد مُسعفه، ولم تعلم زوجة المسعف وهي في الحي المحاصر نبأ استشهاده إلا بعد أيّام!!

لا يمكنني أن أطلق على ما يحدث هنا أي مسمى إلا الجهاد..

هنا فتية آمنوا بربّهم وزادهم هدى.. وربط على قلوبهم.. ليرابطوا ويُثبّتوا ويدعموا ويساعدوا ويقاوموا...

ما يثبتنا هنا عقيدتنا قبل كل شيء، ما يقوّينا إيماننا وبأنها معركة حق وباطل، ومن الجريمة التخلي عن الجهاد إلى جانب الحق، ففي هذا التخلي إفساح للباطل للتقدم والتفوّق..

معركتنا معركة بقاء.. وسنّة الله أن ينتصر الحقّ وأهله..

القضيّة ههنا تتحوّل إلى معركة شخصية.. معركة حياة نختارها لأنفسنا، إما مع ركب المتخاذلين، أو مع ركب المجاهدين الصامدين الصابرين حتى النهاية..

● دعونا نختار لأنفسنا ميتة شريفة، واحتفظوا أنتم إن شئتم بالحياة، ثمّنوها كما شئتم، قيّموها حسب رغبتكم، أو قيّمونا نحن... لا بأس.. يكفينا من كلّ قرار نتّخذه أننا سنعيش حياة واحدة، وسنموت مرّة واحدة، فاتركونا للعيش الشّريف، والموت الشّريف، فلا أقبح من ميتة باردة هادئة ليست بحجم حياة صنعناها بأيدينا، وحلم عشنا لأجله.. فلماذا نُخيّب آمالنا بأنفسنا، ونتبع العقل والمنطق؟؟ خذوه منا هديّة واتركوا لنا الجنون، ولنحتمل كلّ النتائج والتّبعات.. ولنحُز شرف المحاولة...

● كثيرا ما أفضل الصمت في حضرة أقارب الشهداء وأصدقائهم
لأنني أعرف تماماً أن الكلمات تغدو بلا معنى في تلك اللحظات
وبأن حجم الألم لا يمكن ترجمته إلى حروف
الكلام بات يشبه الصمت
كلاهما سكين تمزق قلبا أثخنته الجراح
هنيئا لمن رحلوا ليأخذوا مقاعدهم من الجنة
وأسفا علينا نحن الأحياء... من بقينا في الدنيا كسقط المتاع!!

• غيروا طريقتكم التقليدية في إحصاء أعداد الشهداء من أفراد إلى أعداد أسر كاملة...
وإن سئمتم من أخبار الموت في سورية اقلبوا المحطّة بكل بساطة
ودعونا نحاول كتابة وصايانا تحت القصف ودفن جرحانا...

• هذه حمص التي أعرفها..
ترنيمة حالمة.. في فم العشاق..
مدينة الحياة تفرض نفسها فيها.. وسط المقابر التي تنتشر على مد البصر.. وبطولات تحكي قصتها وهي تتأمل مع غروب شمس الخميس..
عناق المآذن لأسراب الحمام..

• لأننا تأخرنا كثير بالاعتذار
لأننا لم نشعر بخطيئتنا إلا بعد أن تلقينا الصفعة
لأن جرحها وحده كان ينزف
واليوم تلتقي الجراح
اليوم فقط..
وبعد أن أثبتنا أن الاعتذار ليس مجرد حبر على ورق..
قد تسامحنا مدينة النواعير..
لأنها تعلم أن عجلة الزمان تدور
وكل ما تجاهلناه أو تغاضينا عنه
سنلتقي به في النهاية..
ولأنها ذاقت قبلنا مرارة الألم وطعم التضحيات
ستسامح..
فهناك قلوب تزداد اتساعا كلما تضاعف حجم الألم فيها..

- يمارس الناس هنا حياتهم المعتادة..

يأكلون بنهم.. يتسوقون.. يلعبون..
لكنني لم أقرأ في وجه أحدهم سعادة كتلك التي قرأتها في وجوه سكان الأحياء المنكوبة..
لم أسمع ضحكة من القلب رغم أجواء الرفاهية واللامبالاة الظاهرة على السطح..
هناك قلق مبعثر على الوجوه..
وخوف جنوني من لحظة قادمة
الكل هنا يمثل مسرحية اللامبالاة لعل المخرج يعلن نهاية مسرحية العذاب بالنسبة إليهم.. ويرحمهم بإغلاق الستار..

- يُطلبُ مني كثيراً الكتابة عن القصص المأساوية في حمص الجريحة..

الأمر بمثابة عقوبة.. إذ لا متسع لتجديد الألم في قلبي أكثر من مرّة..
أسمع الخبر.. أعايشه.. أكون جزءاً منه أحياناً... لكنني لا أستطيع إعادة صياغته كتابة، لأنني أدرك تماماً أن الكتابة تجديد لنزف جُرح عانيت كثيراً في مداواته... الكتابة تمثيلٌ حيّ لجرائم بشعة، تستهلك كل الطاقة والقوة والمشاعر الممكنة.. وأنا إنسان.. أمتلك روحاً واحدة.. روحاً تزهق مع كلّ أنّة طفل أو صرخة حرّة.. أو وداع شهيد...
لو كنتُ أعيش في عالم آخر سوى حمص.. لو كنت مغتربة أرى الآلام عبر شاشة ولست بشاهدة عيان.. لو كنتٍ في زمن غير زمن الثورة.. ربما استطعت أن أكتب مجلدات من المآسي الحاصلة..
يومياتي مليئة بالتفاؤل.. أفكر فيما لو كتبت ذات الأحداث أو أعدت صياغتها بعد سقوط النظام، ستكون لي فسحة للبكاء والدموع والألم...
اليوم لا طريق لي سوى التفاؤل.. لا وسيلة للمتابعة سوى الصبر... لا دموع إضافية سوى التي أذرفها يومياً... ولا مجال لموت أكثر مما كان ويحصل...

• قضيتُ من العمر أعواماً أحاول أن أوصل للناس معنى الحرّية وحقيقتها وجوهرها..

ومع بداية الثّورة فوجئت منذ المظاهرة الأولى أنّ الشّعب كلّه يعرف أبجديّتها كاملة واليوم أحجز لي مقعداً صغيراً في مدرسة الثّوّار حيث يستحيل عليّ أن أنهل هذا العلم من معين سواه..

هنا لا يُوزّعون المناهج في كُتب.. بل يقدّمونها بشكلٍ عمليّ.. الوسائل التعليمية بها شيء من البدائيّة لكنّها منارة حضارة..

أساتذتي كُثر.. كان أوّلهم حمزة الخطيب، ولست أدري من يكون آخرهم.. قد يكون طفلاً هو الآخر.. أو عملاقاً بقلب طفل...

أعوامي الدراسية ليست محددة بزمن.. لكنها تجدد العمر وتطيله أعواماً كثيرة حتى وإن قدّر الله أن يكون الرّحيل قريباً.. كم هو جميلٌ أن أكتب يوماً في سيرتي الذاتيّة أنّي تعلمت أشياء في مدرسة الثورة.. حتى وإن كنت الأخيرة في مُعدل الناجحين...

• كانت الكتابة بالنسبة لي الهواء الذي أتنفسه، الروح التي أحيا بها، النبض الذي أتواصل مع العالم عبره..

اليوم أرى الكتابة جريمة عليَّ أن أخفيها، خدعة صدّقت جدواها ومضيتُ معها إلى درب مسدود، ضوءٌ لمحته وتبعته على أنه الشّمس، لكنه لم يكن أبداً كذلك..

الحروف اليوم تكتب على أرض المعركة، الكُتّاب الحقيقيون هم صُنّاع التاريخ، لا محبرة أغلى من الذخيرة، ولا قلم أسمى من سلاح يُدافع به الثّائر عن دينه ووطنه وعرضه.. لا صحائف أهمّ من شوارع تنسج كلّ يوم قصائدها من همّة الثّوّار وملاحمهم..

فلا تصدّقوا ضجيج الحروف، وأنصتوا جيداً إلى صوت الرّصاص...

آن للأقلام أن توضع... آن للمتسلقين على ظهر الثورة أن يتنحّوا جانباً، آن للبطولة الحقّة أن تتحدّث وحدها، وأن يسمعها العالم كلّه..

• حمص لم تَمُت بعد، فلا تقطعوا عنها الأوكسجين.. ولا تحفروا لها قبراً، ولا تنشروا خبر وفاتها في الآفاق، ولا تكتبوا لها قصيدة رثاء..
قلبها يخفق.. أنا أسمعه، وغيري كذلك.. وشبابها نبضها في كلّ ناحية، يعدون العدة، ويرقبون ساعة الصفر..
حمص إن سكتت فلأجل أن تكتم أنّات الوجع، ولأجل أن تستجمع قوّتها كي تصرخ وتصعق الباغي بصوت الحق...
فلا تحسبوها ماتت.. إنما يموت جلادها وتبقى هي رغماً عن أنوف الحاقدين...

• هي لله.. هي لله...
ليست مجرد شعار ثوريّ..
بل علاج فعال لكلّ الأزمات، ودرع يقي كل الصدمات، وطاقة تجدّد الهمّة وتداوي جراح القلب..

• في كلّ مفاهيم الدنيا الغريب هو الذي يغادر مدينته..
وفي حمص تضطر لأن تراهم يغادرونك واحداً تلو الآخر..
والدك.. والدتك.. اخوتك.. أقاربك.. أصدقاؤك.. كلّهم يضطرون فجأة للرّحيل..
وعند الوداع تضطر لأن تخفي دمعة، وأنت تسمعهم يقولون..
« ادعوا لنا.. يمكن ما نشوف بعضنا مرّة ثانية»..
تحاول أن تستخفّ بالفكرة، لكنك تجدها منطقية فعلاً.. فتحاول أن تعتاد عليها.... وعلى غربتك الجديدة داخل مدينتك التي باتت بلا معالم، بلا ملامح، بلا آثار، بلا مساجد، بلا مدارس...
حمص مدينة كلّها ملاجئ... وأنت الغريب الذي يحفّزه الجميع على الرّحيل.. وأنت من أقسمت أن تبقى لأنك واثق أنك ستموت إن ترحل!!

• أعطيها دفتر رسم وألوان.. وأسألها ماذا سترسمين؟؟
تلك الطفلة النازحة من باب الدريب كانت تسكن مع أسرتها في بيتها الصّغير المكوّن من غرفة واحدة سقفها التوتياء..
فتقول لي.. سأرسم بيتاً..
وأسألها ماذا تتمنين الآن؟!!
فتقول.. العودة إلى البيت...

• أي تكريم إلهيّ هذا الذي يأخذنا من مشروع متظاهرين.. إلى مجاهدين في سبيله!
أيّ تدرّج هذا الذي يحملنا من عيش الرّفاهية إلى حياة التّقشّف والزّهد بكل شيء في الحياة ما لم يكن على هدى من الله ورضوانه!
أيّ نقلة نوعيّة في المبادئ والقيم والأخلاق هذه التي أجبرت الشّعب كلّه أن يخضع لها ليكون لله بالمُطلق!
أيّ تهذيب للطّباع هذا الذي كنا مستعدين لخوض عشرات الدورات التدريبية لقاء نتيجة ملموسة فيها...
أيّ مجتمع هذا الذي يُبنى على نُـور من الله!
أيّ جيل هذا الذي يُصنعُ على عين الله؟!!
لماذا كافأ الله هذا الجيل بنعمة الثورة؟ ما خبيئة العمل التي دعا الله بها حتى تُهدى إليه؟!
يالهُ من فجر جميل قادم!
يالعَظَمة الثّورة!!ً

• من ميزات النزوح داخل حمص أنّك بتّ ترى أهالي باب السّباع وبابا عمرو وباب هود وكرم الزّيتون وجب الجندلي وغيرها من الأحياء الثائرة التي سطرت أروع ملاحم البطولة في حمص حتى لكأنك تتمنى لو تلتقط صورة قرب طفل صغير منهم.... أنك بتّ تراهم في كلّ حي.. نبضهم يخفق في كل مكان، روحهم الثائرة تهب كلّ مناطق حمص

القوة، أصواتهم تمتزج بأصوات إخوانهم في كلّ حي، فتغدو بها قويّة هادرة..
وترى بعينيك أسمى ألوان التراحم والتّعاطف والمحبّة من الأحياء المُضيفة.. فما أروعك يا أم الأحرار يا حمص الحنونة..

• دخلنا بيوتاً مهجورة مضطرين.. لم يكن لدينا خيار إما المبيت في الشارع.. في البرد القارس أو اللجوء إلى مأوى..
جمعنا كل مفاتيح الخزائن لئلا تسوّل لأحد منا نفسه باستكشاف محتوياتها... وأصدرنا قراراً فيما بيننا أن ندفع ثمن أي شيء نتسبب في إلحاق الضرر به، ولو كوب ماء..
كتبنا رسالة اعتذار لأصحاب المنزل لأننا دخلناه دون أن نستطيع استسماحهم...
كانت المفاتيح موجودة على الأبواب من الخارج قد تركها أصحاب البيوت عن قصد حتى لا يكسر أوغاد النظام الأبواب ليدخلوها..
ومع ذلك شعرت بأنني شبّيح!!

.

.

من مذكرات أحد شباب جيشنا الحر .. أدرجها لأعرّفكم على الأخلاق الحقيقية للثوّار..
ولأردّ على من لا يذيعون سوى الأخطاء، ولا ينشرون إلا العيوب..
هناك من يعمل بصمت وإخلاص لا يهمه أن يعرف الناس عمله، لكن يكفيه أن الله مطّلع عليه..

• لو أمكنني أن أبني جدارا يمنع شباب حمص من النزوح ما توانيت..
حمص يجب ألا تخلو من أهلها..
حمص يجب ألا تُخلى من روحها..
ثورتكم اليوم يا أهل حمص في صمودكم..
في بقائكم تحت القصف.. تحت الخطر وإن كنتم كارهين..
لا تجعلوا جرثومة الخوف تنتشر بينكم..

قاوموها بالإيمان..
لن تهربوا في النهاية من قدركم..
لن يصفو عيشكم في الابتعاد!!
الموت يأتي وإن كنتم في بروج مُشيّدة..
والحياة تُوهب وإن جاورتكم القذائف..
لن تتسببوا في غيابكم إلا بإضعاف المدينة ومساعدة النظام في تطبيق مخططاته فيها..
أثبتوا حضوركم مجدداً.. عاودوا نشاطكم.. رسّخوا جذوركم..
عودوا مع عودة الرّبيع.. فلن يُزهر إلا بكم..

• مصابة بصداع رهيب لم أصب به أيام القذائف والصواريخ التي كانت تتساقط كالمطر..
صداعي بات مُزمناً.. مُزعجاً لا نهاية لآلامه...
يُدعى «النّزوح»..!!

• كُفّوا فقط عن اختلاق الأعذار لأنفسكم... وستنجح الثّورة...
• كُفّوا عن تضخيم «الأنا» الخاصّة بكم أو التي تخصّ الآخرين..
وستنجح الثّورة...
• حاولوا ألا تكرروا في ثورتكم الأخطاء التي تُرتم ضدّها... وستُنصرون بإذن الله..
دعوا أنفسكم.. ودَعوها لله..
وستنجح الثّورة!!
• تحلّوا بالصّبر والثّبات وتفاءلوا كثيراً....
ما دمتم على الحق... ستنجح الثّورة..!
• كُونوا يداً واحدة في وجه النّظام..
وستنجح الثورة...

• بقلب الأم خاطبته عندما كان مسافراً.. خافت عليه وقالت له وهي تدرك صعوبة ما تقول... حاول ألا ترجع.. حاول أن تضيع في الغربة...
بقلب الثّائر عاد ليكمل ما بدأه... عاد ليحاول ألا يضيع منه الوطن..
كانت الوظيفة المتميزة ستنتظره، الدراسات العليا.. العائد الماديّ الكبير.. أحلامه القديمة بأن يُبدع ويتميز في مجال تخصصه..
ألقى بكلّ ذلك وراء ظهره.. تجاهل حقيبة السفر... وهو الآن تحت الخطر..
يأكل ما وجد من المعلبات، ينام في البرد أو في العراء، يجابه الخوف والرصاص... يشتاق لفراشه الدافئ، لطعام أمه الساخن.. لنظرة منها تؤنس وحشته...
خواطر كثيرة تداعب مخيلته.. أحلام كثيرة تتبعثر.. لأن أحلاماً أكبر تتصدر قائمة طموحاته... أمنيات أغلى، أهدافاً أسمى... أمور لا يمكن أن يحصّلها من عاش الحياة بطولها وعرضها... تجارب تصنع الإنسان وتصقله... لن يستطيع مهما حاول أن يعوضها إن فقدها في فرصة الثورة...

كلّ من قال أن قلب الأم كبير صدقوه..
لكن قلب الثائر أكبر...

• كيف سنجرؤ على السّير في طرقات حمص بعد اليوم، ونحن نعلم أن تحت كلّ طريق عبّدوه مجزرة وشُهداء..
تحت كلّ شجر أو حجر... قبر شهيد..
داخل كلّ مدرسة قصّة مجزرة.. وقد كانت مشفى ميدانياً أو ملجأ للنازحين..
حمص.. يا مدينتي الشّهيدة.. اختلط ترابكِ بالمسك وانحنى الشجر عطفاً عليه، وغامت السماء وبكت طويلاً فأنبتت شقائق النعمان وأتى الرّبيع على رأسه ضمادة.. ضاعت ضحكته وسط الآلام، وتوارت الشمس خجلاً منكِ... فبأيّ قلبٍ سأقوى على السير في شوارعكِ بعد اليوم؟!!

• في وقت واحد.. تتقاطع الأحداث..

على الجزيرة مباشر معتقلو سجن تدمر يسردون تجربة السجن المريرة.. الضرب.. التعذيب.. الإذلال..

على فيس بوك صديقة غالية تخبرنا أنها مطلوبة لأحد أفرع الأمن.. وأخرى سبقتها تخبرنا عن اعتقال محتوم.. أحرار يختفون.. أبطال يُعتقلون.. شُرفاء يُهانون..

صرخة أحاول عبثاً كتمانها... ماذا بعد؟!!

أغلق شاشة الحاسوب.. أحاول ألا أفضفض لأحد لأنني سأسمع سلسلة من النصائح لا تنتهي حول الاحتراس من كل شيء، والحذر من كل شيء، بمعنى آخر... ضرورة التوقف عن عمل أيّ شيء...

سجناء تدمر القدامى ينطقون...

لقد كسبنا ولم نخسر!

بعد اعتقالات تراوحت بين العشرين والثلاثين عاماً!!

ماذا كسب هؤلاء؟؟ لقد ضاعت أعمارهم هدرا...

يجيبون وكأن أفكاري تصل إليهم عبر الأقمار الصناعية..

حفظنا القرآن، تعلمنا أمور الدين... تفقهنا به أكثر، عرفنا الله أكثر..

وحين خرجنا عوضنا الله من خيريّ الدنيا والآخرة ما كنا نطمح لأن نحصل عليه طوال حياتنا..

تنطفئ النيران في قلبي.. أشعر ببرد وسلام..

أناجيه تعالى لأجل الأحرار جميعاً.. وأتلو من كل قلب..

« يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» ..

• أرأيتم كيف بارك الله بأطفال درعا؟؟

اقتلعوا أظفارهم لأجل إخماد الثورة، فتحوّلت أظفارهم بعد عام إلى سلاح يصوّبه الجيش الحر في وجوه القَتَلة..

أرأيتم كيف بارك الله بالكلمة؟!!
كانت عبارة يتيمة على جدار مدرسة درعاوية منسيّة...
الشعب يريد إسقاط النظام..
باتت سطوراً لا تُعدّ على كلّ جدران سوريّة الأبية..
أرأيتم كيف تُشعل دماء الشهداء الثورة؟؟
دم أول شهيد درعاويّ قاد الرّكب، كان حاديا للغضب الشّعبي... كان قائداً لركب قوافل من الشهداء سبقونا إلى الجنة... كان مظلمة التفّت كمشنقة في عنق النّظام، وكلّ شهيد سيرتقي سيشدّ حبل المشنقة..
أرأيتم كيف يُسيّر الله أمره إن رأى في أمّته خيراً؟!!
أخبروني.. كيف إيمانكم اليوم؟!! وكيف يقينكم بالنّصر.. كيف عملكم؟؟ وقبل ذلك كلّه اسألوا أنفسكم عن إخلاصكم.. واتركوا التّاريخ يشهد..

- الحب الحقيقي هو الذي يجري مع الدماء، يسكن مسامات الجلد، ورقّة الهدب، وخفقة القلب والنوم واليقظة والواقع والحلم...

مشكلتنا اليوم في الوطن أننا لازلنا إلى الآن ندّعي الحب.. ونحن في الحقيقة لا نعرف كيف نحب!!

• ١٥-٣-٢٠١٢

عامٌ على الثّورة...

لم يُخيّل إليّ أبداً أن أكتب يوميّاتي في الثّورة بعد مُضيّ عام على قيامها...
حين انتفض السّوريون بدأتُ بالعدّ التنازلي لسقوط النّظام... انتظرت أن يستجمعوا جرأتهم وشجاعتهم وينزلوا إلى السّاحات مطالبين بحقوقهم... وحين نزلوا بدأت أعدّ الأيام لتنحّي الأسد..

مرّ الشّهرُ الأوّلُ وأصابني شيءٌ من الكآبة، كون الأمر قد بدا أكثر صعوبة من مصر وتونس، ولكن ليبيا واليمن كانتا تمدانني بالأمل..

الشّهر الثّاني، ونحنُ نشدّ من أزر بعضنا ونقول أنّ الأمر أعقدُ مما نتخيّل..

الشّهر الثالث... بدأنا نبحثُ عن العيوب، عن حاجات الثّورة وما ينقصها لنتدارك أمرنا ونواصل...

الشّهر الرّابع... بات النّزول إلى الشّوارع أمراً اعتيادياً، وبات الشّعب كلّه ينادي لإسقاط النّظام...

الشّهر الخامس... مخاوف حول إخماد الثّورة، وإصرار الشّعب على مواصلة الطّريق

الشّهر السّادس... نوعٌ من الإحباط يُجابه بقوة... فكرة التّوقّف مستحيلة..

الشّهر السّابع... شراسة النّظام ووحشيته في ازدياد.. معها تزداد النّقمة عليه والرّغبة بالخلاص..

الشّهر الثّامن.. إكبارٌ للصمود... لرحلة كفاح قد طالت..

الشّهر التاسع.. ترقبٌ لولادة سوريّة بعد فترة حمل مليئة بالأمل...

الشّهر العاشر... طمأنة على الثورة، كلما طالت... ازدادت عظمتها...

الشّهر الحادي عشر... محاولة إعادة ترتيب لأوراق الثورة، لومٌ ونزاع، غضبٌ من كون القلوب لم تجتمع بعد... قلقٌ من ألا نستمر...

الشهر الثاني عشر... نظرة حزن في عيون الثّوّار...

مرحباً بكم في حمص... عاصمة الثّورة...

أجل لازلتُ مرابطة هناك، أرقب نزوح العائلات منها بكثيرٍ من ألم...

كرم الزّيتون، جب الجندلي، عشيرة، باب السّباع... حتى حيّ النازحين... بات ضمن النازحين أيضاً... كلّهم هجّروا من أحيائهم بعد تهجير أهالي بابا عمرو والإنشاءات... خطّة وحشيّة لانتزاع حمص عن الثّورة، حين لم يستطيعوا انتزاع الثّورة عن حمص...

قصفوا الإحياء بالهاون، دمّروها، قتّلوا سكّانها إما بالقذائف، أو بوحشية بالسّكاكين، أو حرقاً بالبنزين...
اغتصبوا النّساء وعرّوا الفتيات أمام ذويهن لمزيد من الإذلال، قالوا أنّهن سبايا... بأنّهن خادمات لشبّيحة النظام... بكى الآباء، ازدادت لوعة الأمهات، انكسرت النّفوس، ولم يعد هناك من حلّ سوى الرّحيل عن الحيّ الذي يقطنون فيه...
امتلأت المساجد والمدارس بالأسر النازحة، وباتت السّيطرة على الوضع أقرب للمستحيل...
أخبرني أحد المشرفين على أمور الإغاثة أنه تمّ تسجيل نزوح عشرة آلاف عائلة عن حمص.. وبأنّ تأمين احتياجات تلك الأسر أشبه بمعجزة في مدينة وضعها كوضع حمص المحاصرة، حتى الإغاثة من المدن الأخرى ولو كانت عبر الهلال أو الصّليب الأحمر غاية في الصّعوبة، بسبب قيود النّظام ومطالباته بموافقات أمنية مشددة...
اليوم ظهراً ذهبت إلى أحد الجوامع، وفي الطّريق عند أحد الحواجز كانت كلّ السّيّارات تمرّ، إلا سيارات الهلال، كان جيش النظام يستوقفهم، ويدقق في أوراق كثيرة، ملامح وجوههم لم تكن سعيدة أبداً، بدوا في خانة الاتّهام، فهم في نظر النظام يساعدون الجماعات الإرهابيّة...
في الجامع الذي أوت إليه بعض الأسر النازحة كان العمل يجري على قدم وساق من أجل تأمين الثياب والغذاء والأغطية والسّكن أيضاً... مجموعة تجندت من الشباب والفتيات المتطوعات للعمل من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه... وأسرٌ خرجت من أحيائها بالثّياب التي عليها، لا تملك من حطام الدّنيا إلا كرامتها، خرجت بها نحو المجهول...
رجلٌ في السّتين من عمره جلس ليرتاح ويتحدث مع أحد المشرفين الذي قرّر أن يسافر به وأسرته إلى دمشق أو ريفها، قال له.. أرجو أن يكون البيت ممدوداً فقد عانينا الأمرّين الأيّام الفائتة... فهمتُ من كلامه أنه قضى الليل دون أغطية أو فرش، لذلك فأقصى

أمنيته هي سقفٌ وفرش وغطاء... غصصتُ بدمعة، تمنيت لو طالبت الجميع بالعودة إلى منازلهم، لو رجوتهم أن يصمدوا قليلاً... لكن لا يحقّ لي بأيّ حال أن أضغط عليهم، فما حدث ويحدث من تقتيل وإذلال وترويع فوق الاحتمال...

عامٌ مضى على الثّورة، حمص مدينة مدمّرة تماماً، من يزورها من الغرباء ويعايش ما يحدث فيها يظنّ لوهلة أنّه في الجحيم... لا حياة هناك، وبادرة مجاعة تلوح في الأفق في ظلّ نقص المواد التموينية وقفزات الأسعار الخياليّة والبطالة وإجرام النّظام...

من يقطن حمص ويعرفها يدرك أنّها لن تتراجع، ولن تستسلم، وستواصل الطريق...

الجيش الحُرّ الذي انسحب تكتيكياً من بابا عمرو والإنشاءات أعاد ترتيب صفوفه واستولى على دبّابة هناك، أخبار الانشقاقات مُبشّرة، وتفاؤل الشباب الثائر رائع، وعزيمتهم لا تُحدّ بسقوط النظام، بل تمتدّ للبناء والتنظيم بعد سقوطه...

حمص تتحلّى بالصّبر، تحاول الثّبات رغم كونها مُثخنة بالجراح... تُساندها إدلب بقوّة، فتبدوان كتوأمين رائعين في الثورة، وتقف إلى جواريهما درعا وحماة وريف الشّام واللاذقية..

أحرار دمشق وحلب ينتفضون، يحاولون صناعة فرقٍ في مدنهم النائمة، تستيقظ تلك المدن على أصوات الرّصاص والتّفجيرات...

النّظام يحصل على كلّ الصلاحيات العالمية بقمع الشّعب، سواء صرحوا بذلك أو أظهروا الإنكار، النظام يحصل على الدعم وعلى القوة العسكرية والآلة العسكرية، تسانده إيران وحزب الله في لبنان.. من أسماه الثّوّار حزب اللات... وأفكّر وأنا أرقب نقاط التّظاهر في المدن، كيف له أن يقمع كلّ هذا العدد من المدن والقرى الثائرة، الأمر جدّ مستحيل...

إنّه لا يواجه مدينة واحدة ثائرة، ولا ديناً أو طائفة بعينها، ولا حزباً خاصّا، ولا توجهاً فكريّاً مُحدّداً، أو طبقة تعاني من ظلمه، إنه اليوم يواجه الشّعب كلّه دون استثناء بأديانه وطوائفه وتياراته وأحزابه وأعماره وأجناسه ومن يواجه الشعب بكلّه أطيافه لابد وأن

يتحطم وأن يُهزم، خاصّة وأن هذا الشّعب قد وحّد كلمته وجعل شعاره... لبّيكَ يا الله!
الشّعب السّوريّ بعد عام من الثّورة عرف طريقه، وجعل اعتماده على الله وحده، لجأ إليه واستعان به، ومن لجأ إلى الله لن يضلّ ولن يُهزم ولن يخيب...

عنّي شخصياً لم أعد آبه بتوقيت انتهاء الثّورة، حتى وإن طالت عاماً أو عامين أو ثلاثة... أعرف أن موعد النصر بيد الله، وكلّ ما عليّ أن أسعى وأن آخذ بأسبابه، وأن أدع التدبير عليه...

بشار ساقط لا محالة، وشبّيحته دمهم مهدور، ونظامه تحت الأقدام، والشعب السوري فوق ذلك كلّه، وحمص لن تركع... أبداً لن تركع لغير الله..

- فليموتوا.. ونحن سندفع ثمن الأكفان..

اقتلوهم جوعاً... وسنرسلُ بعثة تدرس وضع الإغاثة..
هجّروهم... والملاجئ مؤمّنة..
اسجنوهم.. عذّبوهم... وستمتعض منظمة حقوق الإنسان..
رددوا عليهم في الصبح والمساء وردكم.. « قلوبنا معكم»..
خذوا قلوبكم.. احتفظوا بها...
وسنتكفّل بتأمين أكفانٍ لنا.. وشيء من طعام.. سنكسر أقفال السّجون بالحجارة.. وسندّخر ما تبقى معنا من سلاح لنموت بكرامة فوق تراب الوطن...

- أنتم لها يا شباب الثورة..

أنتم على قدر التحدي.. على قدر الصبر على المصيبة.. وعلى قدر الاستمرار حتى النهاية..
ما ابتلاكم إلا لأنه يعرف استطاعتكم.. وأنتم حتما تستطيعون..
منكم صبر على التعذيب
منكم من أسلم الروح لرب العالمين

منكم من باع كل ما يملك في سبيله
وفي النهاية لا نتائج!!
أوتظنون أن رب العالمين سيضيع تعبكم في سبيله؟؟
خطواتكم إليه غالية.. لكنه يريد أن يعلمكم أن النصر بيده هو.. وهو من يحدد كيفيته وساعته..
حاولوا تدارك كل خطأ سبق.. وحدوا كلمتكم.. رتبوا صفوفكم..
ولنبدأ من جديد..

- قد تتوقف الحياة تماماً في حمص في الأيام القادمة..

قد تغدو حمص كلها بابا عمرو..
لابأس... فحياة جديدة مشرقة ستولد بعد طول انتظار..
حياة حقيقية.. إنسانيّة..لمجتمع تعلم الترابط والتراحم..
لأفراد فهموا دورهم ورسالتهم..
لأناس ودّعوا كلّ متاع ومضوا في سبيل الله يريدون وجهه...
الحياة داخلهم نبض لا يتوقف..
حتى وإن استشهدوا... سيخلدون... ستخلد مبادئ غرسوها..
وستبقى حمص ذاكرتنا الحيّة... لتاريخ لا يُمحى..

- أكثر ما افتقدته في الحصار.. المظاهرات النسائية..

شطرٌ من الثورة ناقص دونها...
ولمظاهراتنا كان وقعٌ مختلف.. في المدينة.. وفي قلوبنا نحن..
الدبلان والملعب.. . شارع مدرسة الخنساء في الإنشاءات.. مظاهرات الغوطة والوعر

أمام ساحة الروضة.. مظاهرات الخالدية والقصور.. ذكريات لا تُنسى.. تاريخٌ ثوري لا يُعوّض..

كان للشوارع معنى.. كان للحياة معنى...

لا تلومونا مهما اكتأبنا...

حتى التشييع الأخير في الملعب كان بقيادة شهيدين من بلابل الثورة... لم يعرفا أو نعرف أنه تشييع الوداع...

- إذا أصابك شيءٌ من وهن.. وقررت الرّحيل.. تذكر..

برك الدّم التي ملأت أرض الوطن.. مازالت تتّسع..

حسرة أمّ الشّهيد وجراح لم تندمل..

صرخة حُرّة تُغتصب وثاراتٌ لم تؤخذ..

دموعُ طفلٍ يتّموه، وأتوا له بأبيه يودّعه الوداع الأخير.. يظنّه نائماً ولا يدري أنه أبداً لن يعود..

وصايا إخوتك الشّهداء وهم يرفعون سبابتهم ليعلنوا التّوحيد قبل الرّحيل..

المجازرُ التي لم تعد المقابرُ تتسع لها..

الجُثث التي تُركت طويلاً في العراء قبل أن يكتشفها أهلٌ يفتّشون لآخر لحظة عن ابنهم المفقود..

أنينُ حُرّ في الزنزانة حملوه ملطخاً بدمائه بعد جلسة تعذيب..

آثارُ قيدٍ على معصم فتاة أبية تفتح عينيها على الشمس لأول مرة بعد جلسة في المنفردة دامت أسبوعاً على الأقل..

مدينة كانت عامرة بالأبطال.. أرهقها القصف والحصار فغدت مأوى للأشباح..

تذكر.. دعاء المظلومين... وآياتُ الفَرج.. وسُنن الله في أرضه.. ونصرته لعبيده، وهزيمته لأعدائه..

ثم أخبرني هل ستتراجع خطوة عن درب سلكته مع الأحرار؟؟ هل تحيد؟؟ هل تتخلى عن عهدك؟؟

جدّد النّية وعُد..
فمكانك في الميدان لن يكون لغيرك..

• تتابعون أخبار حمص ومجازرها ومذابحها وأنينها وآلامها.. تصغون أو تتصنّعون الإصغاء..
ثم يقول أحدكم.. «يا حرام» آسفاً.. ثم يمضي ليواصل حياته العادية..
وأقول له لا تأسف لأن الدور سيأتي إليك، سيصل الخطر إلى دارك، سيقتلون منكم ويعتقلون ويذبحون.. سيستمرون باغتصاب النساء وتعذيب الأطفال... قرروا ذلك وسيفعلون.. سيستغلون جُبنكم وضعفكم ويرقصون فوق جثثكم ذات يوم..
هل أزعجك كلامي قليلاً؟!!
لا عليك... لا تتعب نفسك بالتفكير... فقط واصل المتابعة بصمت...

• **تعبتم؟؟**
معكم حق.. ستكمل ثورتنا سنة ونحن نذهب ونعود ونهتف ونكافح ونحارب لأجل رسالة ومبدأ..
احتملتم كل الأعباء.. ولوم الناس وقرفهم وإحباطهم ويأسهم.. احتملتم خوف أهلكم وحصارهم وتضييقهم عليكم..
هذا غير المواقف القاتلة من قبل دول العالم كلها.. وكون النظام يقوم بسد كل طريق ممكن عن لمساعدة أنفسكم أو غيركم..
لا أحد معنا بالمطلق... هذه حقائق..

هذا غير المواقف القاتلة من قبل دول العالم كلها.. وكون النظام يقوم بسد كل طريق ممكن عن لمساعدة أنفسكم أو غيركم..

لا أحد معنا بالمطلق... هذه حقائق..

يا ترى لو عاد بنا الزمن سنة كاملة وخيرونا أنخرج في ثورة أم نكمل حياتنا المعتادة، ماذا سنختار؟؟

هل سنختار حياة المذلة والمهانة والقيود؟؟ هل سنبقى نخجل من كوننا سوريين؟!!

هل سيبقى الصراع بين الحق والباطل في نفوسنا غير مكتمل؟؟ وسنبقى في دائرة الإثم كوننا نرى ونسمع ونشارك في معركة الحياة إلى صفّ الباطل.. بخنوعنا وجبننا وتخاذلنا؟؟

هل سنوافق على بيع الوطن أو تجميده في ثلاجة كثلاجات الموتى إلى حين يقظة جيل جديد؟!!

هل سنؤثر أرواحنا ودماءنا وحفنة من حقوق يمنُّ بها النظام علينا على حياة الخلود؟!!

دعونا نراجع أوراقنا كلّ لحظة ضعف، وكلما اهتزت مشاعرنا على وقع هزيمة..

دعونا نتأمل الإنسان الجديد الذي يصنعه الله على عينيه في ثورة مباركة... دعونا نفكر في مكتسباتنا الإنسانية التي حققناها... في الأمور المعنوية التي لم نحلم يوما برؤيتها على أرض الوطن... دعونا نستمتع بمشاهدة الإنسان الحقيقي وهو ينتفض من تحت الرماد ليغرس شتلة خضراء، ويطهر الأرض من رجس المجرمين، ويحقق ذاته المفقودة التي تاهت طويلا إما في الدوائر الحكومية بحثا عن حلم لايتحقق، أو كتب عليها الموت في ظلمات أقبية المخابرات.. فتشوا عن أنفسكم... وازنوا بين الربح والخسارة، انظروا كم ربحتم.. وكم خسر العالم وهو يكتفي بالمشاهدة... وواصلوا الثورة مهما كلفت.. وسيروا في دربها مهما طال.. فهناك ضوءٌ وإشراقٌ وأمل...

- يتحدثون عن الهجرة عن حمص... باعتبار أن أرض الله واسعة!

الآن؟!! وكأن حمص مادّة فقط؟!!

أجل أرض الله واسعة..

لكنها ليست أوسع من مدينة احتضنت الإباء والكبرياء والعزّة والشرف والنخوة.. مدينة سطرت الأمجاد وكتبت النصر وخطّت التاريخ ومهدت طريق المستقبل...

إلى الآن حمص بلا ماء.. لكننا لم نمت عطشاً بعد!

أحياء أخرى بلا كهرباء... لكن ثمة شموع تُضيء...

ثمة بيوتٌ تحتضن عدة أسر نازحة... ثمة طعام قليل لكنه يكفي الجوعى..

ثمة قصفٌ وعنف وإرهابٌ أسديّ.. لكن ثمّة قلوبٌ حيّة لم تمت بعد... وشهداء ينتظرون وفاء العهد.. ودماء لم تجفّ...

ثاراتنا لم تهدأ.. ومدينتنا ستصمد لأن فيها أناساً يستحقون الحياة.. بقدر حبّهم للموت..

- هنا أرواحٌ تنبضُ بالحُرّيّة

طفلٌ يرفعُ الراية بكل الكبرياء

وحُرّة توصي أخواتها بالثّبات وألا يستسلمن لوهن وألا يخشين إلا الواحد الأحد...

أصواتٌ تعلو بالتلبية

عِبادَةٌ نرفعها لله في السّرّ والعلن..

نجدد العهد كلّ جمعة

ونفضّ المظاهرة على أمل النّصر...

• افرحوا لأبطالنا الشهداء ولا تبكوا عليهم..
كتب الله لهم ساعة محددة للرحيل عن الحياة لا تتقدم ولا تتأخر...
فأبوا إلا أن يلقوا الله تعالى مقبلين غير مدبرين، وأن يخطّوا بدمائهم حكاية النصر، وأن يتوجوا رحيلهم بتاج العزّة والكرامة..
ابكوا فقط على أنفسكم... تقدموا وتأخرتم، ونالوا الجنة أحياء عند ربهم يُرزقون، ودفنتم أنفسكم أحياء والأرزاق تشغلكم..
أبصروا نهاية الطريق منذ البداية ففازوا بحسن الخاتمة.. واكتفيتم بالسير على الحافة وأوكلتم إليهم صعب المهام لتضمنوا نجاتكم، ففازوا هم، وتراجعتم..
شهادتهم وبطولاتهم نُـور، وصمتكم وتخاذلكم نار..
فاعتبروا يا أولي الأبصار...

• رفضت أن تتسلم من لجنة الإغاثة عباءة سوداء، قالت أريد أيّ لون آخر.. لا أريد السّواد.. فأنا أمٌّ لشهيد...
أم الشهيد فرحت بمقعده في الجنة، وألقت الحزن وعلاماته جانباً، واستبشرت بشفاعته، وابتسمت للحياة..
أمهات الشّهداء هُنّ ألوان الفرح، وابتسامات النّصر والإيمان التي نستمدّ منها الأمل بأنّا أقوياء، وبأن الصمود ممكن، والنصر قادم لأجل عيونهن قريباً بإذن الله..

• لن أواري دمعي تأثّراً بالخبر.. فقد أثّر بي وهزّني من الأعماق..
أطفالٌ يرسمون للثّورة، ويبيعون رسوماتهم ليتبرّعوا بها للجيش الحرّ!!
إدراك الأطفال وإحساسهم دائماً أنقى وأعمق...
فهل يخجل منهم أو يتعلّم معشر الكبار؟!!

• لن تنتصر ثورة نسبة المساهمين في العمل الإعلامي فيها على الإنترنت فقط أضعاف العاملين على الأرض..
نقطة انتهى!!

• بسيوف الخشب، بالعصيّ، بألعاب أطفالنا البلاستيكيّة، بنظرة من عيوننا البريئة التي ينطلقُ منها شرر الغضب... بقلوبنا الطاهرة النّقية، بإصرارنا على المتابعة والكفاح حتى وإن كان مؤلماً الدوس على الجّراح... بهمّتنا، بعشقنا للحياة، بقلوبنا التي يسكنها الحبّ، بدفء الشمس الذي نرنو إليه، بالأمان الذي نحلم به، بمستقبل مضيء نخطط لبنائه... سيزولُ حكمك يا بشّار، سيسقط نظامك، وسننهض بسوريّة الحُرّة بعد أن نغسلها من أنقاضك..

• اخترقت جسدها الشّظايا، سمعتهم يقولون لها «تشاهدي»، كما سمعتهم يقولون أنّها قد ماتت فعلاً..
كانت تحتفظ بوعيها الحقيقيّ الذي لا يدفعها لأن تعرف ما يدور في حولها فحسب، بل كانت تمتلك ما يدفعها لأن ترفع إصبعيها المهشّم أحدهما والملفوف بضمادة، لتُشير بشارة النّصر...
صبيّة تشبه حمص إرادة وكبرياء.. كم تستحق الاحترام!

• حتى وإن كنت مُصرّاً على النّوم.. هناك من سيجعلك تستيقظ وتنهض رغماً عنك، ليس لأنه يمتلك قوة خارقة ولا قدرات مبتكرة لإيقاظ النائمين..
بل لأنه يتحلى بالصبر والثبات الذي يجعله واقفاً بثبات أمام بابك يقرعه طويلاً دون كلل.. دون يأس.. حتى تفتحه ولو مُرغماً...

• أبوا إلا أن يُغيّبوا دور المساجد الحقيقيّ في حياتنا.. جعلوها ضراراً تخدم مصلحة حاكم ظالم، وحاشية أشدّ ظلماً، ومؤسسات تروّج للخنوع وتحتمي بظلال الحكّام، وتغيّب دور المسلم الحق..
وأبى الله إلا أن يُتمّ نوره ولو كرهوا..
فانطلقت ثورة الحق من المساجد، وارتفع التكبير من قلبها، وجالت خطوات المتظاهرين حولها، وعادت إليها محملة بالشهداء مُشيّعة إياهم إلى الجنان..
بات الارتباط بالمسجد ارتباط قلب مؤمن بالجنة.. ارتباط روح تهفو إلى بارئها، وقد تركت الدنيا وما فيها لأجله وفي سبيله وابتغاء مرضاته..
فلا عجب إن قصفوا المساجد والمآذن وأحرقوا فيها المصاحف أو سخروا من صلواتنا ودعائنا، فإنها أشد عليهم من السلاح ومن الرصاص..
الرائع في الأمر أن الأحرار لازالوا يصلّون في المساجد..
وقد صلى ثوار حمص في جامع الزاوية المهدّم صلاة الجمعة، وألقى أحدهم خطبة رنّانة عن الجهاد..
لما عرفت أيقنت أن كلّ ذرّة تراب، وكلّ حجر كانت تراقب وتبسم.. تماماً كوجه مدينة حمص الصامدة إلى الآن تحت القصف، ورغم أقصى درجات العنف!!

• شيء من الصمت رجاء أيّها الذين انسبوا لقافلة الأحرار..
شيء من الصمت يمكّنكم من الإصغاء إلى خطوات العاملين في الثّورة.. حتى وإن تخللته أصوات القذائف والرّصاص..
شيء من الصّمت قد يُجدي فتعلموا أن تشاهدوا وتسمعوا وتتفكّروا وتعقلوا لتُفتح لكم بالخير نافذة الكلام...

• في الثورة مراحل، تجاوزها كمن يتلقى مجموعة من الدورات التدريبية المكملة لبعضها، لن يستطيع أن يحصل العلم نفسه إن تغاضى عن
إحداها، لن يحصل على المكسب ذاته الذي حصل عليه سواه ممن عايشها...
لحظة تأخّر عن ركب الثورة خسارة فادحة.. لحظة تردد يصنع غيرك فيها إنجازاً لدينه ولأمّته، فانظر إلى موقع قدميك واعرف مكانك..

• قولوا عنها محتلة، قولوا منكوبة، قولوا مهدّمة، قولوا ميّتة لا حياة فيها... لا يهم..
فأنا لا أراها إلا جنّة!!
هذه حمص الرائعة بعد القصف والتهديم والحرق والنزوح...
هذه المدينة.. جنّتي التي أحب..

• في كثير من الأحيان نحتاج إلى « النسف» نسف الحواجز..
ليس بالضرورة أن تكون هجمات جيش حُرّ على حواجز أمنيّة..
لكن لابد وأن تكون هجمات شعبٍ حُرّ على حواجز أفكار ومعتقدات بالية...
ثورتنا ثورة تنقية فكر، واستعادة حقوقٍ، ونصرة مظلومين، وقد آن للأفكار النظيفة أن تأخذ حقّها، آن للقيم السّامية أن تتصدّر، آن لنا أنشيع ثقافة التطهير، وأن نرفع عند كلّ حاجز ننسفه علم الاستقلال...

• لمعلوماتكم العامّة.. للتاريخ.. للزّمن.. للجيل القادم..
أحياء حمص القديمة صامدة في وجه النظام منذ قرابة شهر...
المدّة وشراسة الهجوم لا تختلف عن ما حدث في بابا عمرو..
استبسال أبطال الجيش الحر هناك كان أروع مما نتخيّل.. صمودهم رغم تغييبهم عن

العالم كان أشبه بالمعجزة... إخلاصهم جعلهم يثبتون إلى هذه اللحظة... رغم قلة العُدّة وشُحّ الدعم كبّدوا النظام خسائر فادحة طوال المدّة الماضية..

إن غابوا عن أعيننا، ولم يعرفهم الإعلام كما يستحقون فكفاهم أنّ علام الغيوب يراهم ويسمعهم وهو ناصرهم بحوله وقوّته.. بقي أن نسأل أنفسنا كيف وقفنا إلى جوارهم؟ وماذا قدمنا من أجلهم؟ وهل حاولنا نصرتهم بما نستطيع كنوع من القيام بأقل الواجب... سؤال أترك إجابته أيضا للتاريخ.. للزّمن.. لجيل سوف يقرأ ما تخطّه الحروف على تراب الوطن الطاهر اليوم..

• همتها أكثر من أي وقت مضى في ساحات الجهاد، وفي بيوت النازحين، ورأيتها في عيون أمهات الشهداء، وقرأتها في همّة الأبطال...

اليوم خشيتُ أن أفقد كنز الصبر وأنا أتلقى الخبر المفجع تلو الآخر.. لكنني تذكرت الجنّة فعرفت أن الصبر هو الزاد الموصل إليها..

• في حمص قطعة من الجنّة، نعيمها ليس بأشجارها أو أنهارها، أو بزهورها وظلالها...

في حمص جنّة تصنعها رايات التّوحيد، بقلوب مؤمنة حُرّة... أنهارها من دم الشّهادة، وعطرها مسك وطيب، وغراسها شتلات زهر لقلوب حُرّة، وفيها تطوف أرواح نقيّة، قد جعلت الدنيا طريق العبور للآخرة..

في حمص تطوف أرجاء الجنان، لتشعر أنك في ضيافة الصّديقين والشّهداء والصّالحين، فتسأل الله أن تكون معهم وبينهم ترفع الراية وتُعليها في قلبك قبل أن ترفرف بشموخ على أرض الشّهادة..

• شاهد على إحدى الشّاشات من يتحدّث عن مرتبة الشّهيد..

قال لأمّه.. أريدُ أن أقدّم نفسي في سبيل الله، أريد أن أُقتل وتسيلُ دمائي غزيرة حتى يرضا الله...

قال لها.. لا أريدُ عُتمة القبر، ولا وحشته ولا عذابه..

أريدُ أن أدخل الجنة بلا حساب او عقاب...

بودّي أن أفهم لغزاً... كيف يعرفُ الشّهداء أنفسهم بأنّهم راحلون؟ بأي صدق يغادرون الحياة؟ باي تضحية يُساهمون!!

كانَ حديثاً واحداً استقرّ في قلبه، وغيّر مجرى حياته.. رتّب أموره، واستودع أولاده أهله.. وحين مضى استقبل الرّصاصة بابتسامة ظلّت باقية على وجهه حتى بعد الرّحيل...

كان حديثاً واحداً طبع كلّ ذلك الأثر، وحوّل \هدف شابّ عادي إلى شاب يكرّس عمره لله، يستكثر من الخير والطاعات ليستقبل الموت باسماً في أيّة لحظة..

حديث واحد أحدث في داخله ثورة.. يدفعني لأن أفعم جيداً عمق وأبعاد حديث: «بلّغوا عنّي ولو آية» ..

• الحُبّ الصّامتُ للثّورة لا يكفي..

تأمّلُ وجه الوطن وعيون المُدن في صُوَر عابرة ما عاد يُجدي..

وكتابة قصائد العشق والاشتياقِ في زماننا لا تترك أثراً إلا إن كتبت بحبر من دمٍ أو قلمٍ من رصاص..

الحبّ إن لم يتفجّر على الأرض بركاناً، إن لم يعصف بكلّ روح فيُغيّر تشكيلها، ويمحو آثارها الهشّة القديمة، وينصب أعمدة الرّخام داخلها..

الحُبّ إن لم يزخرف قُبّة من فسيفساء تسمح لنور الشّمس أن يمتدّ داخلها وينتشر بكلّ الألوان..

الحُبّ إن لم يشمخ كمئذنة ترتفعُ مع كلّ تكبيرة حتى تطال السّحاب..
الحبّ إن لم يطبع أثراً في العقول ولم يقنع بمجرّد كتابة اسم الوطن نقشاً على الصّخور، فذلك وهم، وليس بالوهم تُبنى الأمم أو تتحرّرُ الأوطان..

• كلّ شيء قد يتهاوى أمامك في غمضة عين، كما تتهاوى المباني تحت القصف في مدينة منكوبة..
علماء سلّمتهم عقلك أعواماً من الزّمان..
قدوات وثقت بهم..
أبطال قدّستهم ورفعت عنهم الخطأ..
سياسيّون ظننت أن الخلاص على أيديهم..
مثقّفون كنت تنتظر أن يمدّوا لكَ حبل النّجاة...
ثُوّار رفعت عنهم إمكانيّة الزّلل..
أصدقاء وهبتهم قلبك وروحك...
أهل انتظرت أن يقفوا إلى جانبك..

• قد لا يكون العيب فيهم بقدر ما يكون العيب في نظرتك المثاليّة لكلّ شيء، وفي كونك تنتظر أن يأتيك النّصر عبر أشخاص سواك.. وفي رغبتك بالحلول السّريعة.. وذلك أبداً لن يكون..
ابحث جاهداً عن المخلص، كي تتعاونان معاً من أجل التغيير، وليس من أجل التبعية له، واعلم أن في انهيار الأشخاص حكماً كثيرة من ضمنها ألا يتعلّق قلبك بغير الله... وأن تتحرّك منذ اللحظة بعد أن فهمت أن الخطأ لن يتغير حولك إن لم تغيّره بنفسك..

● حتى لا يهدأ الغضب في نفوسنا أبداً..
حتى لا نعتاد الوجع..
حتى لا تمرّ أخبار الشّهداء في أيامنا كأي خبر عابر..
حتى لا تجفّ الدموع..
حتى نتذكّر ما أقسمنا وتعاهدنا عليه معاً.. ألا نتراجع عن ثورتنا هذه..
إما النصر أو الشّهادة..
تبقى الصّور يكفّنها الحزن.. ذكرى للذاكرين..

● فيما يستعد طلاب الجامعات في سورية لتقديم امتحانات نهاية العام، تخلو مقاعد كثيرة.. ويطوي أصحابها الغياب..
مقاعدُ الشّهداء قد خلت، وقد نجحوا بامتياز في أكبر امتحان للبشريّة.. ونالوا المراتب العليا بامتياز..
مقاعدُ المعتقلين مُطالبة بالتّنكر لهم وقد نفى عنهم النظام صفة الوطنيّة.. فيما أحرزوا مرتبة الشّرف في مجال الإنسانيّة..
مقاعد الذين سافروا هرباً من السّجن والملاحقة والتعذيب أيضاً خاوية.. حائرة.. تشتكي وجع الفراق...
ثمة مقاعد خالية لثُوّار قرروا هجر الدّراسة والمرابطة على الثّغور لحماية المدن وأهلها من العدوان..
لم يذهبوا إلى هناك من باب التّضحية، بل من باب ما يُمليه الواجب والضّمير...
وفيما يجيب الطلاب على أسئلة الامتحان في القاعات الهادئة، يجيبُ أولئك الشّجعان على الظّلم بكتابة ملاحم البطولة...

قد يظنّ الناجحون اليوم أنهم فازوا حقاً باغتنام الفرصة، قد ينظرون للمقاعد الخالية بعين الشّفقة والرّحمة...

لكن الحقيقة أن الغائب اليوم لأجل رسالته هو من أحرز السّبق ونال النّجاح...

لا تصدّقوا أن كلّ النجاحات تُكتب على ورق، وتصوغها الأقلام، ويُحتفى بها في حفلات تخرّج.. وتُسلّم على شرفها الشّهادات..

بعض النجاحات تحدثُ بصمتٍ دون ضجيجٍ... لكنها تحقق الغاية الأسمى، وتقدّم لصاحبها ما تمنى لو أحرزه في أعوام...

- من فجوة القذيفة تتشكّل نافذة تُفسح الطريق لدخول النور إلى القلوب التي خنقتها العتمة.. وتخبّطت في ظلمات الياس...

من تلك النافذة المُطلّة على السّماء قد تتشكلّ خارطة جديدة مرسومة بعناية لتعطي منظر الدّمار انطباعاً آخر...

عبر تلك الفُسحة المُطلّة على النّور تلوح مئذنة.. لا تظهر في الصّورة مصادفة..!!

أنا لم أعد أؤمن بالصُّدف..

تلك المئذنة الصّامدة، والواقفة بكلّ كبرياء وعِزّة.. تبلّغ رسالة الفجر القادم...

سيكُون النّصر حليفك يا مسلم. إذا تشبّهت بها..

إذا فهمت معنى « الله أكبر»..

إذا أحييت « لا إله إلا الله « في قلبك..

إذا صدّق كلّ ذلك عملك..

ستخرج من قبور المَذلّة..

وتملأ العالم نُـوراً....

• ماذا لو أن حمص دُمّرت عن بكرة أبيها بفعل الزلزال..

ماذا لو انهارت البيوت، وقُتل معظم أهلها وزينة شبابها، أو ذاقوا الويل والآلام والخوف والجوع تحت الأنقاض... ماذا لو تحولت أسواقها الأثرية إلى ركام، وتهاوت أبراجها ومجمّعاتها التجارية؟!!

هل كنتم ستعترضون على هبّة أهلها لأجل الحُرّيّة، هل ستنعتونهم بالمتهوّرين؟؟ هل ستُنفى صفة العقل عنهم؟؟

لا أعتقد ذلك أبداً...

لكنكم تفعلون ذلك بكلّ انهزامية، فقط لأنّ حمص دُمّرت لأجل قضيّة... ولأن شبابها استشهدوا مُقبلين غير مدبرين.. لأنهم لم يرضوا لوطنهم ولأهلهم والضيم والوهن..

فاز أهل القضايا الكبرى، وخسر أصحاب العقول الضّيقة..

فاز المجاهدون المجتهدون.. وخسر المُقيّدون بقيود الذُّل والعبودية...

• لم أعد أنتظر لحظة سقوط النظام بقدر انتظاري لحظة نجتمع فيها على قلب واحد، لنكون الأمة التي تستحق النصر والخلاص..

• في لحظة ما.. تشعر بنفسك على شفير الانهيار...

تقولها سرّاً.. أو علانية...

«لقد خشيتُ على نفسي»...

في اللحظة التالية، يأتي الصوت أنقى وأصدق ما يكون... يُعطيك وصفة الثّبات...

«كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا...

إنك لتصل الرحم..

وتصدق الحديث...

وتحمل الكل...
وتقري الضيف...
وتعين على نوائب الحق».
حقاً هذا ما لاحظته من صفات الثّابتين في وجه العاصفة خلال هذه المرحلة... من سلكوا طريق الله... من رسخ الإيمان في قلوبهم، فكانوا معه، وهو معهم.. فلا خشية على أنفسهم...
لأن الله لن يخزيهم أبداً..........

- يطرُقُ الفرح القديم بابك.. ليزفّ لك بشارة كنت يوماً تحتفي بها.. حين كان كلّ شيء حولك مموّهاً..

الرّسالة والغاية، المبدأ والهدف...
الجنّة نفسها لم تكن صورتها محددة.. وحتّى النار ما كنت تظنّها يوماً لتستعر بسبب كلمة قلتها، أو كلمة سكتّ عنها...
تفكّر كثيراً ماذا تجيب..
أتتركه على الباب طويلاً حتى يملّ ويرحل؟
أتفتح الباب وتستقبله بشوشاً وكأن شيئاً في حياتك لم يكن؟
أليس الأفضل أن تعاتبه حتى يبكي ويعترف كم أخطأ في حقك حين التبس عليك فلم يخبرك عن حقيقته!
أتراكَ تُوبّخه.. حتى يعرف حجمه وقيمته فيخجل من قدومه ويتوارى عن الأنظار وقد حلّ محلّه عالم آخر مختلف...
أم تحتضنه مُشفقاً كصبيّ عرف خطأه.. فسامحته عليه وطلبت منه عهداً ألا يتبدل أو يتغير وألا يموّه نفسه بغير لون...

وأقسم هو ألا يخون العهد ما دمت حيّاً...
الخيارات كثيرة قد تخدعك – ربما – في حالات شتّى...
إن لم تفهم أن الفرح الحقيقي لم يعد له أي مكان هنا.. فهو ينتظرك هناك.. في دار الخلود..

• من بداية الثورة كنت أرى حمص ودوما مدينتين في قلب واحد..
دوما تحملُ روح حمص، وفي حمص روحانيّة أختها..
المُدن بأهلها.. برجالها... بنخوتها.. بصمودها ورباطها... بقدرتها على التحمل... (مكمن قوّتها)..

• كارثة..
أن نسجن المرأة في قفص عادات وتقاليد بالية، بينما هيأ لها الشّرع القويم فضاءات رحيبة تنهل فيها من نور الإسلام ما يعزز رسالتها في الحياة، ويعينها على أن تكون خير راعية، وخير قائدة في مجالها..

• كم كذبنا على شهدائنا وقلنا بأننا لن ننساهم...
ونحن في أماكننا لم نحرك ساكناً...
تركنا أماكنهم شاغرة... وانتظرنا غيرنا ليقوم بالمهمة... وتساءلنا متذمرين... لماذا لم ننتصر بعد؟!!

• أجمل الأقدار تأتيكَ على غير ميعاد، في يوم لم تحدده، بطريقة لم تخطط لها...
وأروع الأشخاص تُقابلهم فجأة، لتشعر أنكً تعرفهم منذ زمن طويل... تُعرّفهم على

نفسكَ دون تلك القيود التي تُحاطُ بك في المواعيد الرسمية والتقليدية، يتلاشى الحذر والمخاوف، وتجد نفسك تخوض أحاديث الثّورة لتعرف كم أنت قزم أمام عمالقة قصصهم تحدث، وبطولاتهم تستمر دون أن يدري أحد بهم، ويكفيهم أن مولاهم قد أحاط بأعمالهم فكتب الأجر والقبول...

تزورهم أحياناً بقصد الدعم النّفسي، لتدرك كم أنّك تحمل من عقد نفسيّة أمام معنويّاتهم العالية وهمّتهم الشّامخة...

قد يحضرون فجأة في أماكن لا تتوقّعها، تتوقف للحظة بعد مقابلتهم لتفكّر كيف ساقك القدر للقائهم..

تطرح على نفسك أسئلة كثيرة...

لماذا الآن؟ وكيف التقينا؟!

تُدهشك الرّسائلُ التي تنهال عليك بحكم وخبرات، وتجارب ومعارف، وأفكار ومشاعر...

تضحك مع نفسك وقد كنت تبكي معهم، أو تضحك معهم، وأنت – ضمناً– تبكي على نفسك...

لا يهم...

المهم في ذلك كلّه أنك وجدت نفسك في محادثة قصيرة لفتاة تطلب العلم على سُلّم أحد الملاجئ، أو في عيني طفلٍ مُشرّد في سوادهما سكينة العالم كله، أو في دمعة سيّدة معطاء لازالت تشعر بالعجز رغم تخصيصها كلّ وقتها وصحّتها للثّورة.. أو في همّة ثائر لازال يصارع الموت تحت حمم المدافع..

تحيّتنا هنا في أرض الرّباط ليست عابرة.. هي مشروع بناء نفس...

علاقاتنا هنا ليست عابرة... إنّها أعمدة بناء للمستقبل القادم...

مدينتنا ليست أكوام من ركام........

الطّاقات البشريّة المُنتجة هنا أكثر من رائعة... العقول التي تفكّر لتنتج جدّ مذهلة... والمطمئن أكثر من أي شيء آخر...

أن العاملين بصمت وإخلاص أكثر من المثرثرين المتفاخرين بأعمال شوّهها الرّياء...

نكتئبُ لأننا لا نعرفهم... ويواصلون العمل.. لا يهمهم أن يعرفهم أحد!

لكنّهم في كلّ مكان...

ويعجبون.. ونعجب...

كيف لا تزال حمص إلى الآن قويّة.. وصامدة!!

.

.

.

آخر الكلام...

كم أحنّ.. إلى سجدة شكر.. ولو فوق الزّجاج المُهشّم... في جامع الزّاوية..

- أعتب على كُتّاب التاريخ في أزمنة مضت، كيف كتبوا عن المجازر والمآسي والأحزان ، ولم يكتبوا عن الضوء في تلك الأزمات...

سأقاضي كاتب التاريخ حين يكتب عن ثورتنا بصورة سوداء، حين يوصلها قاتمة من بسمة أمل في قعر الآلام...

ليس ذنبي أنني أكتب بتفاؤل، ولا أنقلُ الصور البشعة..

إنما أحاول أن أجبر عثرات الكرام في هذه الناحية..

نحن شعب يُقتّل يومياً بالعشرات، نحن شعب نصفه في غياهب السجون أو في عداد المفقودين... نحن شعب نازح بات يقضي عمره في الملاجئ، نحن شعب فقد أغلب سمات الحياة، لكن لم يفقدها كلّها بالمطلق..

هناك في القرى التي ترتكب فيها المجازر أطفال يولدون، وأزهار تنمو فوق القبور، وفي السجون المعتمة وفي أقبية التعذيب ولدى أصحاب الأقدام المقطّعة التي تقطر دماً... ضحكات خفيّة، خطط وانتصارات، وفي الملاجئ ومدارس النزوح طرائف وحكايات فرح لا تنتهي..

أزور هؤلاء لأتفاءل أكثر، لأستمد منهم القوة، لأتغزّل بقدور الطهي الضخمة التي تعاونت النساء النازحات في إعدادها، وأتندر بإخبارهم أن عليهم تدوين ذلك في كتاب غينيس للأرقام القياسية...

أقرأ الموت لحظة في عيني أخت الشهيد ألماً لفقده، وعندما تمضي تلك اللحظة أقرأ بسمة الحياة بوجهها الفريد...

وأسأل من حولي أين الخارج من المُعتقل؟ أروحه لا تزال حيّة؟ وأرى كبرياء العزّة يقطر بين خطواته، فأكتسب أملاً وفخراً... وأعتب...

من كل قلبي أعتب على كاتب التّاريخ!!

• أشغلنا النزوح ومشكلاته شهوراً، لتطفو اليوم على السّطح مشكلة أشدّ إيلاماً في النّفس وأكثر تعقيداً... مشكلة الفقد..

أب مفقود، أم مفقودة، طفل مفقود، عائلة مختفية، شباب بعمر الورد أخبارهم في علم الغيب، شيوخٌ غُيّبوا بلا أثر!!

الغيابُ يتساوى هنا مع الغموض، مع الظلام، وفي الظلام يعتقد النظام أن بوسعه عمل كلّ شيء، وارتكاب أيّ شيء!

وفي الظلام ينقطع عنّا كلّ شيء وتضيء شعلة واحدة، هي الإيمان بالله... الإيمان يهبنا الصبر والقوة والثبات... الإيمان يهب الأمل... والعتمة تجعلهم يتخبطون حتى يصلوا إلى حتفهم..

نحتسب عند الله كل لحظة خوف أو ألم، نحتسبه كل دمعة وكل أنّة وكلّ وجع... نستودع عند الله من فُقدوا... تضحياتهم جسر عبور إلى ضفة الأمان في المستقبل القادم.. ولابد لكل منّا أن يقدّم شيئاً من ذلك شاء أم أبى..

- قلتها وسأظل أرددها..

لن أسامح من ضنّوا بمالهم وما يستطيعون عن دعم الثوار في أرض المعركة.. أولئك الأبطال الآن تحت النار منهم من يستشهد ومنهم من يُجرح، ومنهم من تصيبه عاهة تلازمه طوال حياته... ونحن في بيوتنا نراقب وننتظر النتيجة..

بات من المؤلم إلى أقصى درجات الألم أن أنظر في وجه الشهيد منهم... أحار كيف أعتذر له، وماذا أقول...

أخجل أن أقول له إن الناس يعيشون حياتهم الطبيعية، ويضحكون بأعلى صوتهم وقد اعتادوا حكايات الموت وأصوات القذائف.. أو أنهم فضلوا كل الكماليات عن ثمن رصاصة يدافع بها الثائر عن أرضه..

أستحي والله أن أخبره أننا استنجدنا بهم وخذلونا، فأطوي الجرح والحكاية.. وألتزم الصمت ولا أصغي إلا لصوت الغليان وتفجر البركان في أعماقي..

- فتياتنا العزيزات على أرض المعركة..

يمكنكن المساهمة بقوة وكسب الوقت بتعلم أمور كثيرة، وأهمها الآن الإسعاف والتمريض...

عندما تقع الكوارث قد يفتش المرء عن أي شخص يساعد ولو بتعقيم الجروح أو تجبير الكسور أو إعطاء الحقن...

حدثتنا اليوم فتاة قادمة من بابا عمرو عن أوضاع عايشتها منذ شهور كان الوضع كارثياً لا يسمح حتى بالكلام..
كانت الجثث حولهن فوق الستين... إضافة لكثير من الجرحى في كل مكان..
قامت هي وأربع فتيات بالمساعدة..
قالت لي؛ قمنا بالأمر بطريقة عفوية، تمنينا لو كنا نعرف أكثر، بدأنا بالعمل فورا فلم يكن هنالك من متسع للكلام...
في ظل هذه المعارك الشرسة أظننا قد تأخرنا كثيراً لنفهم...
مضى عهد التواكل، وآن لكل فرد منّا أن يقوم بدوره الحقيقي الآن..

• من دخل ساحة المعركة بقناعته التامة، بملء إرادته، بكل الإيمان واليقين بكل خطوة يخطوها إلى هناك أنها خطوة نحو تغيير عالمنا الأسود إلى عالم قابل لنفاذ ضوء الشمس عبره.. من حمله تفكيره القويم للتضحية بكل شيء مقابل هدم الوثنية، وتصحيح مفاهيم العبودية، من خرج ثائراً للحق وحده.. يستحيل أن يفكر بالتراجع عن خطواته... فقد خرج في تجارة مع الله وحده، ومن كانت تجارته مع الله يستحيل أن يردّه الله خائباً..

• اليوم النظام في حمص فقد عقله تماما... الدبابة تشعر بالإحباط تقصف وتقصف ثم تنسحب بعد معارك ضارية، إن لم يحوها الجيش الحر إلى حطام، المتاريس الحصينة تتحول إلى هباء مع تكبيرات الثوار المصاحبة للقذائف، الشبيحة لا تتسنى لهم الفرصة للشهادة أن لا رب لهم سوى بشار!!..
الطائرات تقصف وتقصف فتظن أن أهل حمص قد انتهوا فيخرجون لها من كل مكان...
الصواريخ لا تكل عن اختراق البيوت، ومن تلك الخروق يخرج الشعب الأبيّ ليلقنهم دروساً في الشجاعة... لم يعد لدينا ما نخسره... أما عن خسائر النظام فحدث ولا حرج...
معركتنا هي الرابحة وأقدامنا راسخة هنا بإذن الله..

- كل عشرة دقائق الآن في حمص هنالك جريح جديد!!

حتى المهنة الإنسانيّة تعدّوا عليها بطريقة لا إنسانيّة..

هذه المرّة لم يكن المتعدي بشار وشبيحته.. بل معظم من اعتنقها وأدّى القَسَم...

حين غادروا حمص ولم يلتفتوا إلى حجم الفراغ الذي تركوه خلفهم.. لم يسمعوا أنين الجرحى، لم يتساءلوا من لهؤلاء إن تخلّى الأطباء عن واجبهم؟!!

حكموا عليهم بالإعدام، ففي حمص المرضى يخفّفون كثيراً من العبء عن من تبقى من أطبائها بالموت...

الموتُ في عالمنا هو الرحمة لإنسان انقطعت عنه سبل الحياة تحت الحمم...

لن نسامح كلّ طبيب كان بإمكانه البقاء وغادر، ولا كل من استنجدنا به فخذلنا ليلهث خلف مصالحه..

دم الطبيب الخائف على نفسه ليس بأغلى من الأحرار الذي يسفح على الطرقات...

وتبقى حمص الوحيدة التي تحيا تحت ألطاف الله وبرحمته وحده!!

- مدينة حمص تتحولُ إلى أطلال...

حمص الماضي بقي منها بعض الذكريات والصّور..

ذكريات عادية لا تختلف أبدا عن باقي البشر...

حمصُ اليوم عبارة عن رُكام وأكوام من الحجارة..

حمص تلال من رماد...لكنها زاخرة بالذكريات القيّمة، باللحظات الاستثنائيّة.. بالملاحم والبطولات..

لن أندب حارات أحببتها كانت لي مهد الطّفولة والصّبا...

فقد نبتت لي جذورٌ جديدة في حارات لم أعرفها يوماً هي عندي من أطهر بقاع المعمورة..

لن أستسلم للبكاء وقد تحوّلت أجمل شوارعها وأكثرها أناقة وسكّاناً إلى شوارع موت تتجوّل فيها الأشباح بعد أن تكتب وصيّتها الأخيرة...

• لن يهزّني الشّوقُ إلى رُكنٍ خاصّ فيها، فلي ذكريات جديدة فوق كلّ حبّة تراب... ولي دفتر أدوّن فيه حكاية كلّ حجر..
بكاءُ الأطلال على عادة أهل الجاهليّة لا يعنيني في شيء...
فهنا فنٌّ جديدٌ للشّعر ابتكره أهلُ المدينة وأطلقوا عليه أسماءً للعشق لم ترد مفرداتها في دواوين نزار ولم تخطر ببال ديك الجن الحمصي وهو واقفُ على ضفاف العاصي..
هناك عشقٌ يُشبه الجنون، لا يحملُ للمادّة اسماً ولا معنى...
سَل أهل حمص عنها لتسمع ألواناً من الغَزل بالجدران المثقوبة، والأسقف المقصوفة، والنوافذ المكسورة، والأبنية المتهاوية...
عاطفتهم لا تتعلّق بالتّمسك بالحياة المادية بشكل أو بآخر...
عاطفتهم أسمى وأرقى واكثر امتداداً عبر الزّمن..
تتعلق بالكرامة والتّضحية والإيمان والجهاد والصمود حتى الرّمق الأخير...
تمعّن في وجوه أهل حمص جيداً وحاول أن تفكّر.. لماذا لا تفارقهم الضحكة رغم الألم؟!!
و لَمَ يودّعون الحياة دائماً بابتسامة؟!!

• كان حلمي دائماً أن أهاجر إلى أرض المعركة، أن أرفع راية الحق، أن ألتقي صلاح الدين الأيوبي، وسيف الله خالد، وابن زياد طارق.. ومحمد الفاتح..
اليوم أتت المعركة إليّ، وشهدتُ رايات الإيمان تعلو، والتقيتُ بأحفاد الصحابة.. أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم...
حقق الله لي حلماً لم يكن يوماً في دائرة الممكن..

فكيف لي أن أجزع تحت القصف ووسط لهيب النار؟!!
كيف يمكن ألا أحمد الله على شهود هذه المرحلة الفريدة من التاريخ، وكيف لا أشكره إن أذن لي بدور مهما كان ضئيلاً فيها، وكيف لا أستغفر الله تعالى لأنني كنتُ أقيّدُ الحلم كلما انتابني هاجسُ تحرير الأقصى...

● بصراحة..
بات آخر همّي تصريحات الغرب، أو تعاطف العرب، ونشرات الأخبار، وتحرك المجلس الوطني، وتعقيبات رياض الأسعد، ومبادرات عنان أو غيره..
لم أعد أتابع إلا تصريحات الثوار في قلب المعركة، وتعاطف أهالي حمص معهم، وتحرّكهم لنصرتهم، وتعقيبات الأبطال بعد كلّ نجاح أو حتى هزيمة، ومبادراتنا معاً في مدينتنا الغالية وما حولها وكل بقعة طاهرة من تراب سورية، وكل صاحب همة يعمل معنا بصدق خارجها.. لإزاحة هذا الهم الجاثم على قلوبنا منذ عقود..
فعذرا.. انقطع البثّ بيننا وفقدنا لغة التواصل بالتجربة!!

● ظنُّوا أن النّصر معقودٌ بأيدي البشر، وبأن الخير لن يأتي إلا عن طريق من اعتبروا أن بيدهم الحلّ للخروج من أزمتهم..
احتملوا ألواناً من الضغوط كي يجدوا المخرج...
غضبوا وثاروا، تشاجروا وأرهقوا... وما من نتيجة..!
حتّى قطعوا حبائل الأمل بكلّ البشر، وتعلّقوا بالله وحده.. سألوه واستنصروه، وانطلقوا نصرة لدينه... وحينها أتاهم المدد... مغانم غنموها من حيث لم يحتسبوا، ورزقٌ ساقه الله إليهم دون سؤال أو مذلّة، نالوه بتوفيق الله، ثم بشجاعتهم وتضحياتهم وبإخلاصهم..

فهموا حينها أن النّفع والضّر بيده وحده، وبأن الأرزاق عليه.. ووضعوا نصب أعينهم..
« إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك
وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك
رفعت الأقلام وجفت الصحف ».

- السّوريون يتبعثرون في أرجاء المعمورة..

نازحون.. متألمون.. خائفون.. هاربون من الجحيم..
يُقالُ أن حكومات وشعوب العرب والعالم متعاطفة مع قضيّتنا...
آن لهم أن يثبتوا ذلك، فلا يُضاموا ولا يذلّوا خارج أوطانهم...
وإلا فالموت داخل الوطن أهون بكثير من المذلّة خارجه..
ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل!!

- لا تخرجوا في مظاهرات نُصرة لحمص ولا لغيرها....

اليوم لا تتكلم سوى لغة السلاح..
مُدن قد تُمحى عن وجه الخارطة إذا أذعنتم للقعود..
لا تظنوا النجاة بصمتكم.. فمدينتكم ستكون هي التالية حتماً..

- ونرى المجازر تلو المجازر.. ونُقنع أنفسنا والآخرين بأننا نحنُ الضّحايا..

وبأننا لا حول لنا ولا قوّة.. ونحن كاذبون..
يشهد على ذلك صمتنا الجبان، وتبعيّتنا العمياء لرموز أو أشياء... أو أرقام!! وانقيادنا

المطلق لأصحاب القلوب المُعتمة.. ويشهد أيضاً جواز السّفر الذي حجزنا عبره تذكرة رحيل بلا عودة..

يشهد علينا أنين جرحى لم نتعلّم إسعافهم، ولا حتّى فكرنا بالتخفيف عنهم.. وكرامة فتيات نُهشت أعراضهن واحتفظنا ...بحياتنا خشينا أن نبددها فتبددت كرامتهن..

يشهد علينا سلاح فكّرنا بتعلم كلّ شيء في الحياة إلا إياه، ونحن من أمّة .. علموهم الرّماية! فزهدنا فيه وتركناه لهم..

تشهد علينا كلمة حقّ كتمناها خوفاً من سوط الجلاد وقضبان السّجان.. وما علمنا أن كلمة الحق ضوء بدايته الدنيا ومقرّه الفردوس..

تشهد علينا دُنيا عشقناها.. وسلّمناها القلب.. كُلّ القلب.. وحين أتينا نتحدّث بمفهوم الآخرة، اختلطت الحروف، وحارت اللغات.. وفقدنا القدرة على النّطق.. كيف لا نفعل وقد أصابنا داء الخرس أربعين سنة، واليوم نُقاسي الجهد والمشقّة لنقولها وإن كانت كتابتها خفيفة.. « لا « ...

كم جمعنا من « لاءات « في صدورنا وأخفيناها لدواع كثيرة، وأعذار شتّى... واليوم يطلقُ الشّعب لاءاته، فلماذا ننزوي بإعاقتنا ولا نُقدم لإجراء عمليّة جراحيّة تشفينا من العلل..!

أجل قد نقاسي ونتعب، ونعاني ونكلّ ونُجهَد.. أجل قد نصل الليل بالنهار ساهرين على ضوء آية نفكّر كيف نُطبّقها، وكيف نمرّ بها ولا ننافق أنفسنا... وقد تتورّم أقدامنا وُقوفاً متعبّدين على جبهات القتال بأسلحتنا... ذاكرين الله كثيراً مع كلّ طلقة نعتذرُ إليه فيها..

أجل.. قد يطاردنا الخوف حتى نملّه ونتحدّاه فنثبت..

قد تُنهكنا الجراح، لكنّ مداواتها وقد سالت في طاعة يُنسي الألم، ويُبعد الوهن.. وقد نُطاردُ فلا نهتمّ.. لأن الله معنا..

وقد نموت.. نستشهد... لكننا نحيا إلى الأبد..

- مسكينة أنتِ يا ثورة..

كم ألبسوكِ من الثّياب ما لا يليقُ بكِ
كم باعوا فيكِ واشتروكِ
كم تاجروا على حسابكِ وعادوا إليكِ بجيوبٍ خاوية
وقالوا إن بضاعتكِ خاسرة!!
وأعلنوا للعالم إفلاسهم منكِ
وعدولهم عنكِ
كم أرهقوكِ بشتاتهم
وأغرقوكِ بأوجاعهم
وخدّروكِ بعواطفهم
ادّعوا أنها من أجلكِ أنتِ
لكنّها كانت لهم دوناً عن كلّ البشر..
مسكينة أيتها الثّورة المُثقلة بكلّ ألوان العقول، المُرهقة بأعباء النّاس..
المُلقى على عاتقها كلّ ذنوبهم
المُحتملة إلى الآن خطاياهم.. الباكية على أطلالِ مقابرهم.. المُنتظرة يوم قيامتهم.. كم سيصمدُ فيكِ الوجع؟! وكم من الوقت يتّسع عندكِ للتّحامل على الجراح.. ومداواة القلب قبل أن يتصدّع؟!!
صامدة أنتِ كصُنّاعكِ، ذكيّة أنتِ لا يخدعكِ الزّيف..
قويّة أنتِ لتجتازي الدّرب المليء بالأشواكِ والحُفر..
نقيّة أنتِ قادرة على مغفرة خطاياهم..
جليّة أنتِ كالشّمس.. مهما شتتوكِ أو ضيّعوكِ أو نسوكِ أو تجاهلوكِ..
آتية مع الشّروق.. بنورٍ ساطع بهيّ..

فلا يُضيركِ خذلانهم، ولا يحزنكِ كلّ من يحاول تشويه الصّورة..
أنتِ الأصل وإن مثّلوا بكلّ الصّور..
بسمتكِ هي الباقية..
ومجدكِ هو الخالد..

• لا يزال في الوطن مُتّسع لمزيد من الجّراح..
فيا حامل السّهام أطلقها لتُجهز على من تبقى منّا..
سنُبقي عيوننا هنا تذكاراً لتعرف
بأننا قوم عشقنا الكرامة
وأبينا ألا نموت إلا وقوفاً كالأشجار..

• في المعارك والغزوات، منذ ١٤٠٠ سنة، كان يجتمع الشّاعر ذو الحسّ المرهف، والتّاجر بحساباته وأرقامه، وصاحب العلم الذي حاز السّبق بفهم أعمدته وأركانه، وحافظ القرآن الذي لم يحفظه عبثاً بل فهم وطبّق آياته... كان يجتمع الطبيب الذي يداوي الجرحى، بالفلاح الذي ترك فسائل النخل تنتظر ريّاً.. بالفقير الذي كان يجاهدُ ولو سيراً على قدميه، في حال لم يجد ما يحمله..
وكان للنساء دور وسهم هنا وهناك، وللأطفال دور..
لم تكن ثمّة تقسيمات تفصل صاحب الفكر عن حمل السّيف، ولا المثقّف من أن يكون في الصّفوف الأولى.. بل على العكس تماماً، كانت من نسمّيها الآن « نخب المجتمع « في تلك الصّفوف الأولى...
لكنّنا بتفكيرنا قررنا الفصل والتحييد والتّقسيم... وبتنا نخشى على هذه النخب أن تدخل جوّ المعركة فتضيع..

فهمنا أن الدّفاع عن الدين والأعراض ضياع، وعمّقنا فكرة صعوبة الإصلاح، طلبنا من المرأة ألا تتحرك، ومن المثقف أن يتحفنا بكنوز فكره بعيداً عن دائرة الخطر، ومن الشّاعر أن يجاهد بالقصائد من برجه العاجي، وحذار أن ينزل فحمل السّيف والقلم ثقيل في اليد الواحدة، هكذا اعتقدنا، وهكذا عمّمنا، وهكذا ضاعت منّا الفرص تلو الفرص..

ولو أننا فهمنا أنها معركة واحدة، إن نحن خرجنا فيها على قلب واحد، وهدف واحد، لو أننا أثبتنا حقاً أننا سواسية في الهمّ والغاية، وبأنها معركتنا جميعاً، ولو أثبتنا أن مجابهة الخطر وردعه ليس حكراً على فئة دون أخرى، بل هي دعوة للنّاس كافّة، لم يفصلها كتاب الله، ولم يؤخّر عنها إلا أصحاب العُذر.. لكنّا انتصرنا..

لكننا رحنا نلتمس العذر تلو العذر.. فإلى الله نشتكي ضعف قوّتنا، وقلّة حيلتنا، وهواننا على الناس.. وعلى أنفسنا!!

- «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا..»

ستحتاج حتماً لتغيير القائمة باستمرار..

ستتوقع فقدان رأس القائمة في كلّ لحظة..

ستبقى متأهباً للحظة يخبرونك فيها أنك لن تلتقي بهم مجدداً فقد أصبحوا تحت التّراب، أو غيّبتهم ظلمات السّجون، أو أرغموا على الرّحيل ولم يعد هنالك سبيل للعودة..

قد تجد نفسك للحظة غريباً.. وحيداً.. بعيداً عن حياة البشر المألوفة..

لكنّك في ذاكرتك ستجدهم، وقد حشدوا ألواناً من الخير والحب والجمال ما يدفعك لأن تتابع الحياة أقوى وأكثر ثباتاً من أي وقت مضى..

لقاء لله.. أخوّة فيه، محبّة في سبيله..

بهؤلاء يمكنك أن تصبر نفسك.. بالعاملين يتجلى معنى ابتغاء وجه الله.. بقلوب تعلّقت فيه وحده..

منابرُ النور لا يصعد إليها يوم القيامة إلا من استحقّوها.. تلك المنابرُ التي تردد صدى حياة دنيوية بنبض الآخرة..

● منذ بداية الثورة، لم يُحسب يوما في عمري لا أمر به على صفحتها، أو أراها فيه تتردد على صفحتي.. فكأننا نعيش يومياتنا في مدينة واحدة!!

كم كتبنا ومحونا، وخططنا ودبّرنا، كم بكينا على الشعب النائم، وفكرنا في صناعة نواقيس توقظه من سُباته..

كم ضعفنا وتقوينا ببعضنا.. وكم بكينا بصمت..

ثم جعلنا من الدموع ومن الغضب مصادر قوة...

كانت دمشق جميلة بها، وكانت الثورة تنبض بقوة الحرائر، لأنها ضمنهن..

وكان للحنان وللمشاعر زاوية لا تخفى..

آخر الليل نسترسل بها...

نحلم، ونشتاق، ونفكر كيف يُصنع النصر على أيدينا...

وكيف نصمد أطول مدة ممكنة...

قلبي مطمئن عليها...

شيء ما يخبرني أنها بحال أفضل من أي وقت مضى...

روحها التواقة، المشتاقة للمعالي تُصدّق حدسي...

مكانها فارغ لا أحد سواها يمكن أن يشغله...

والشوق إليها أعمق ما يكون...

سأحاول أن أرث عنها ذاك الثبات..

لعل الأيام القادمة تُفضي لي ببسمة طال ترقبها... وسجدة شُكر جبهتي تتوق إليها..

• ليلة جديدة يطويكِ فيها الغياب..
لو كنتِ بيننا الآن لصفعتِنا بحروفكِ..
ولناديتنا للجدّ والعمل..
ولاتّهمتنا بالتنظير...
لأننا نُصبّر ولا نصبِر...
ولأننا نتحدث عن التضحيات، وحين نُبتلى نعجز!!

• « لا إله إلا الله محمد رسول الله»..
ندفع ثمن الإيمان بها اليوم.. من دمائنا.. من أرواحنا.. من آلامنا وعذاباتنا...
لكننا على يقين أنه البيع الرابح...
لا إله إلا الله بطاقة نجاة وزنها تطيش أمامه كل الصّحائف!!

• ولم أعتقد أن الذاكرة قد تختزن داخلها ما يصهر الحديد، ولا تزال تستوعب المزيد... وأن الأمانة التي يُلقونها على عاتقنا قبل الرحيل، ووصاياهم هي فقط ما يُبقينا على قيد الحياة... ربما لأننا أحببناهم بصدق أكثر مما ينبغي... ربما لأننا نكره ألا نكون أوفياء...

• لم أعتقد يوماً أن القلب قد يطير إلى الجنّة على دفعات!!

• صديقتي التي كانت تحملُ عبء مدينتها على كاهلها منذ أول يوم في الثّورة.. وأعلنتها « ثورة مدى الحياة»..
هي المُرابطة في سوريّة رغم رجاءات الرّحيل..

هي المُجاهرة بكلمة الحقّ أمام جيوش المجرمين..
هي القنديلُ الذي أضاء ظلمات السجون..
صديقتي التي سكبت معنى الثبات وأمدتنا بالقوة في أشد لحظات الألم، ومدّت يدها بحبّ لتنقذنا من الانهيار..

• هي التي سخرت من الخوف، وارتضت لنفسها أن تُعتقل لتُنقذ طفلاً وقع بين أيديهم...
من كانت تبكي كطفلة إن توقفت يوماً عن عملها في الثورة، وتقول.. أخشى أن الله قد استبدلني...
من كانت تتمنى الشهادة بصدق، وتعطي دونما مقابل، وتحرّض كل من حولها على مضاعفة أعماله..
من عاشت بين سير الشهداء وصورهم...
من اشتمّت رائحة المسك يوماً من ثياب شهيد ملطخة بالدم، فكأنما استروحت رائحة الجنة، واشتاقت إليها..
من ازدرت حياة الرفاهية ورغد العيش وفضلت التعب والعناء وهجرت النوم وسألت الله الإخلاص وجدّت في العمل...
من كانت لا ترتضي أن تتعلم النظري حتى تطبّقه، فإن لم يُتح لها اكتأبت واتهمت نفسها بالعلم دون العمل، وتخوفت من عقاب الله لها أو أن تُقبض إليه وهي مقصّرة في أداء واجب...
صديقتي التي أثبتت فعلياً أن هناك فتيات بألف ، قد طواها عنا الغياب.. وتركناها في معية الله.. واستودعناها عنده..قد تحتاج منا تكثيف الدعاء، لكنها تحتاج أيضا أن نملأ الفراغ الذي تركته، وأن نسير على ذات الدرب الذي سلكته..

- كالرّوح والرّيحان تأتي لتسلينا عن حزن جاثم على القلب.. لتسكبُ الطمأنينة...

إنه شيء محتوم..
أمر الكافرين هيّن على الله..
وأمره تعالى نافذ في انتصار دينه...
« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون»..
تليها فوراً آية الأمر بالإعداد..
لم يطلب منّا تعالى أن نُعدّ ما لا نطيق، أو ما هو فوق استطاعتنا...
« وأعدّوا لهم – ما استطعتم– من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم «
دربُ هزيمة الكافرين الإعداد.. إعداد ما بالوسع..
فهل قدمنا كلّ ما هو باستطاعتنا؟!!
أم تركنا غيرنا يقوم بالمهمة وحده، واقتصرنا على القليل الضّئيل من الجهد والمال والعمل...
ثم تساءلنا أين الوعد بالنّصر؟!!

- قمة الزهد في كل شيء...

حتى في الأوكسجين الذي أتنفسه!!

- كثيراً ما وقفت إلى جانبي في أحلك اللحظات

كثيراً ما قلبت دموع الحزن إلى ضحك هيستيري..
كثيراً ما علمتني أن القوة فاعلية على الأرض
وكم تناوبنا على فأس واحدة نحطم بها أوثان العقول..
وكم خططنا لمشروعات قبيل وبعد سقوط النظام..
وكم تلونت أحلامنا ثم انحسرت في حلم واحد..
هو الجنة..

وهي التي سخرت من الخوف حتى أرعبته، وضاعفت العمل حتى أتعبته بهمّتها.. وهي الطاقة التي لم تنحسر يوماً، كلما أعطت؛ قالت هل من مزيد..

وهي التي كان يؤرقها قلة عملها – مع كثرته– ويرعبها غياب الإخلاص بحضرته...

وهي الحنان في أرقى صوره، والقوة على عرش كبريائها... وهي الفتاة تفهم حقوقها، وتنصّب نفسها محامية في محكمة الظلم لتدافع ولو بروحها عن كل ضعيف..

الكتابة عنها مُتعِبة... يكفي أنها هي!!

- يا الله مَن سِواك لأخواتنا في ظُلمات السّجون؟

يا من رحمتك وسعت كلّ شيء

تولّهن برحمتكَ، وأسبغ عليهن من عنايتك ورأفتك ما يخفف عنهن حجم البلاء.. وكن لهن عوناً ونصيراً..

يا من يُدافع عن الذين آمنوا.. قد استودعناكَ أخوات لنا هناك...

- أصعب من بناء الأمة؛ انتشالها من تحت الرّكام...

سيتطلب ذلك قوّة هائلة، وأدوات، وتخطيط، وذكاء..

سيتطلب قبل ذلك عناية ربّانية، كي تبقى حيّة..

ستحتاج إلى إنعاش وإسعافات أولية سريعة، سيتطلب الأمر شيئاً من الأوكسجين، وتبرع بالدماء، وأدوية، وعلاجات أخرى روحية وطبية ونفسية تتناولها على مراحل..

في تلك المرحلة سيرحل اليائسون، وسيكثر المثبطون الكلام، وسينتابهم اليأس من عدم الإصغاء إليهم، وسيرحلون أيضاً..

لإحياء أمة نحتاج المخلصين... من هم على استعداد للتضحية بأرواحهم في سبيل إنقاذها... من لا يهتمون لتحدّث الناس عن إنجازاتهم وبطولاتهم... لمن يُنحّون الأنا

دائماً في كل تحركاتهم... لمن غايتهم تلك الحياة الأبدية التي ستُوهب لهم حتماً، إن تركوا بصماتهم محفورة في مشروع حياة أمّة!!

• كلّما تدبّرتُ آية، وحاولتُ تطبيقها بصدق على أرض الواقع..
فهمتُ لم الجبل بقوّته وثباته ورسوخه وقساوة طبيعته.. يتصدّع خاشعاً إذا أُنزل القرآن عليه!
إنه ثقل الأمانة!!

.

.

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين..»

• ليتنا نتعلم من ماشطة آل فرعون، أن التّسويات وأنصاف الحلول مع الطّغاة لا تُجدي...
ولعلهم ساوموها على كلّ طفل يخطفونه من بين يديها ويلقونه في النار؛ حتى تتنازل فلم تفعل!
ولعلها فكّرت للحظة أن تحتفظ بآخر طفل تضمّه بين يديها، ويبقى لها العزاء والسّلوى..
ولكنّها فهمت أنها إن فعلت فالبيعة خاسرة، فلن يتركوها إن هي – بعد حين– تنازلت، فالإجرام لا يعترف بالعهود..
فآثرت أن تحتفظ بعقيدتها، وأن تسلّمهم للسّفاح، على وعد حق أن تلقاهم بعد لحظات في الجنّة!!

• إذاً كُنتَ في عزاء، فتعلّم أن تَقُل خيراً أو لتصمت، حرصاً على أهل الفقيد..
فكيف إذا كانت لك يد في رحيله بسكوت أو تهاون أو تقصير؟!!
ألا يجبُ أن تغرّب وجهك عنه إلى الأبد؟!!
أو تعمل بدل الكلام عن التّكفير عن ذنبك؟!!
سورية تحتاج اليوم إلى عزاء، إلى يد تمسح دموع الألم، وهي تحتاج أكثر لأن نكفّر عن ذنوبنا بشيء عملي ملموس...

• الثّورة..
أكبر فرصة تدفعك لأن تحيا بالقرآن..
لأن تتلو آياته، وكأنها تتنزّل عليكَ الآن..
الثّورة..
بمتاعبها، بمشكلاتها، بأخطائها، بعثَرَاتها..
تُذكّركَ بفترة نزول الوحي في الغار... ببداية يقظة أمّة... بانتشاله لها من قعر التّخلف والجهالة إلى أن تكون أمّة الحضارة...
الثّورة..
تتجوّلُ بكَ بين الفترتين، المكّيّة والمدنيّة..
تقودك معها ثانية إلى غار آخر...
تلدغك الحيّاتُ والعقارب، وتسيلُ من عينيك دموعاً تذرفها بصمت، وأنت ترقب الخروج من الغار للوصولِ إلى مدينتكَ المُنوّرة..
وفي قمّة الألم تسمعها تمسح عنك الجراح لتُشفى..
« لا تحزن إن الله معنا»..
الثّورة تُخبرك أن المستحيل لم يُخلق بعد أمام إنسان قد تسلّح بالقرآن...

والقرآن يخبرك كيف تبقى ثائراً ضدّ الظّلام والظّالم... حتى تلقى الله وفي قلبكَ يسكنُ النُّور.. وإلى جوارك راية الحقّ مرفوعة... تماماً كما تمنّيت... أن تستشهد وأنت تحملها...

• كلما بكت أمّ بيننا قُلتُ لها لا تحزني... الله تعالى أرحم بكِ من كلّ الخلائق، وأحنُّ عليكِ وعلى ابنكِ من كُلّ البشر...
وتذكّرتُ أمّ موسى وقد ألقت به في الخطر، وحرصاً على مشاعرها، ومحبّة ورأفة ورحمة وعطفاً عليها، عاد وليدها إليها لترعاه..
« فرجعناكَ إلى أمّك كي تقرّ عينها ولا تحزن»
فيا أمُّ أوكلي أمركِ للرّحمن، فهو العليم بكلّ دمعة، وبكلّ آهة، وبكلّ خطرة ألم..
ولو علم أن الخير في أن يعود إليكِ ابنكِ ليبقى أمام عينيكِ لأعاده كما أعاد موسى إلى أمّه.. ولا أهون من ذلك عليه سبحانه... لكنه وهو الرحيم.. وهو العليم بمواطن الأجر بما يناسب كل فرد من البشر؛ اختار لكلّ أمّ الأفضل لها عنده، وعلى هذا جرت مقاديره...
فاستعيني بالله وحده، وفوّضي أمركِ إليه وحده، واحتسبي، ولا تهني، ولا تحزني....

• عن رؤية للواقع، عن مشاهداتي، عن لقاءاتي بأكثر الناس تضرراً في الثورة:
نحن لا نقبل بأية صفقات فيها تنازل عن مبادئ الثورة الأساسيّة..
لا نقبل بعد كل الدماء التي سالت إلا نصراً نستحقه، وتستحقه تضحيات الشّهداء..
لا نريد التّخلص من بشار ليأتي عوضاً عنه ألف بشار آخر..
دعوه فقد انتهى تقريباً، وكلّت طاقته.. ولا توكلوا الأمر لطاغية جديد، بطاقة جديدة، وهمّة للقمع والإجرام جديدة...
ولا تأسفوا علينا إن لم تعملوا لأجلنا... دعونا فقط نصنع النصر بأيدينا نحن القلّة الثابتة الصّابرة...

دعونا نتابع حل مشكلاتنا، وترتيب صفوفنا، ونسعي لوحدتنا...
سننتصر، فأمورٌ كثيرة على أرض المعركة تقول بأن الله معنا...
سننتصر.. فالله تعالى يُسيّر ثورتنا...

- **رسائل.. قد لا تصل يوماً لأصحابها...**

ما عدتُ أرغب بالكتابة إلا لأولئك الذين انقطعت عنهم أسباب التكنولوجيا، وشبكات الاتصالات، وأسلاك الكهرباء، وعونُ الخلائق... ولم تنقطع عنهم عناية الرحمن وألطافه، ولا أجره أو نفحاته...
العاملون بحق...
هم فقط من يستحقون التّفاؤل، ونقل البشائر، والتثبيت، وجرعات الصّبر، وترقب النّصر...

- هو كذلك مخاض الأمّة...

« فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً»
دائماً وفي العتمة... حيثُ فقدان الأمل... يرسلُ الله للصّالحين من يثبّتهم...
« فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربّك من تحتكِ سريّاً»...
يلهمهم درب الخلاص... مما يقرّ به أعينهم...
« وهزّي إليكِ بجذع النّخلة تساقط عليك رطبا جنياً* فكلي واشربي وقرّي عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إنّي نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسيّاً»...
وصفة أخرجت للعالم الأنبياء...
نبتة طيبة، في تربة صالحة، ترعاها يد تقيّة، اختبارات وزلازل، آلام ومحن، ثبات في أحلك اللحظات، وضوءٌ في آخر النّفق يهدي للعبور... ومن ثمّ ولادة الفجر المُنتظر...

• لا تنتظر التغيير أن يأتي إليك... لا تُعوّل على أحد... لا تفتّش عن شخص يغطي الثغرات، لا تشتكي تخاذل العالم...

بل جنّد نفسكَ في كلّ ثغرة، رابط في سبيل تحقيق هدفك، اجبر عثرات الخلائق بالتّقرّب إلى الخالق...

حتى وإن بقيتَ وحيداً في عالم كلّ من فيه غافل...

كُن أنت الثائر الذي تسلّح دفاعاً عن الحق، والمسعف الميداني، ومعلّم الناس الخير، ومتطوّع الإغاثة، وبسمة الأطفال، وبلسم الجرحى...

لا تنتظر التّغيير أن يأتي إليك... لأنه لا يأتِ أبداً....

كُن أنت الشّمعة التي تحترق لتنير الدّروب...

الضوء المُنبعث منها في الظلام الحالك سيبشّرك لتقدّم المزيد، ستفهم كم كانت التضحية تستحق العناء...

لا تنتظر يداً لتمتد إليك، فتحتوي حزنك، وتواسي وجعك، وتمسح دمعتك، وتجيب صدى آهاتك...

اجعل يمينك هي البادئة... وكُن أنت التّغيير..

• كلنا نجزم يقيناً بوجود تلك (الكركبة) التي لا تُطاق في كل مجالات الثّورة..

فقط بضعة أشخاص، أحياناً لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة هم من يقومون بالعمل والترتيب وإزالة الأنقاض، والتخلص من النفايات، والتطهير وحتى التعطير... والبقية كل ما يقومون به هو إبداء الرأي قبل، وحتى بعد إنجاز العمل الشّاق أو المُهلك، والذي لا يناسب عادة أذواقهم الرفيعة!!

- أمسكت قلماً وورقة ونادتني..

ظننتها ستجري بعض الحسابات بحضوري، لكنّها كتبت بعض الأسماء، وفي ثوانٍ رسمت شجرة لعائلة كاملة، من آباء وأمهات وأبناء وأحفاد...
بالقلم أخذت تشطب على الاسم الأوّل...
قُتل ذبحاً...
الاسمين الآخرين قُتلا بالمثقاب الكهربائي...
الطفلُ ذو الرّابعة قُتل رمياً بالرّصاص، والآخر كذلك ذو الشهور السّبعة...
وهكذا ظلّت تسرد الأسماء وتشطبها، حتى انتهت إلى اسمين يتيمين تبقيا في الصفحة...
وقالت وأنا أحاولُ أن أتحاشى النظر إلى القلم واتجاهه...
أما هذا وهذا فقد أصيبا إصابة بليغة، وهما الآن كل من تبقّى من عائلة الشّهداء!!

- الدمعة لم تفارقها طوال الشّهر... كنتُ أراها كئيبة تبكي، وأقرأ في عينيها كلاماً لم أفهم ترجمته إلا بعد حين... بعد أن رأيتها تبكي بألم وقربها أم أحد الشهداء، سألتهما عن سبب البكاء فاكتشفت أنها أيضاً أمّ لشهيد...

حاولتُ كما تعلّمت أن أنتشل من قعر الألم شيئاً إيجابياً أفتح لها عبره نافذة للأمل...
خطفوا ابنها ثمّ ذبحوه، وأرسلوه إليها جُثّة هامدة...
كان ينقل الإغاثة للثّوّار، يُغامرُ بروحه ليقدّم لهم الطعام، يقتحم الصّعاب ليوصل إليهم شربة ماء...
كان رئة المحاصرين لكنّهم ذبحوه وانقطعت أنفاسه عن هذه الحياة...
الأمُّ الثانية كان ابنها ثائراً بطلاً قتلوه برصاصتين في إحدى المعارك الضّارية، وانضمّت إليهما الأم الثالثة لشهيد قُتل متأثّراً بجراحه على أثر قذيفة دبّابة...
الأمهات يبكين، وأنا أحاول استذكار كل الأحاديث التي تُبشّر بمنزلة الشّهيد عند ربه، وعن كونه حيّاً حقاً لم يمت...

وأجدهن يكملن الحديث عنّي... وأجدهن يتلين الآيات يحفظنها عن ظهر قلب... ويحلفن بالله أنهن قد رضين بقسمة الله وقضائه وقدره، لكنه ألم الفراق، واستحالة رؤية الابن الحبيب مرّة أخرى أو حتى سماع صوته!

وأجلسُ بين أيديهن، أشعر بالعجز.. لأول مرّة أعلن استسلامي، وعدم قدرتي على اسكات دموعهن أو مواساتهن بكلمة...

تختنق الكلمات والدموع داخلي، فلا تجد لها سبيلاً أو مخرجاً... ويغدو كل شيء قد يُقال بلا معنى....

وبعد دقيقة أجدهن يفتحن الحوار مجدداً... فخورات مؤمنات سعيدات بأولئك الأبطال الذين رحلوا بعد أن ضحّوا بالدّماء...

- ولدي نطق بالشّهادتين جهراً في المشفى الميداني، ثم أسلم روحه لله...

- ولدي أرهب الأعداء وانتصر لدين الله...

- ولدي أحبّ فعل الخير، فأحبّه الله واصطفاه...

تهدأ نفسي قليلاً وأنا أتابع العزاء على طريقتهن...

وحين أنسحب من الجلسة مع إحداهن على عجل... تهمسُ لي قائلة...

- أرأيتِ أمّ ذاك الشّهيد - تُسمّيها- إنها حقاً من الصابرات، لما سمعت قصّة استشهاد ابنها هدأت نفسي قليلاً، وخجل صبري أمام صبرها...

أسايرها في فكرتها ومشيتها، ونمضي... أستمع لذكرياتها مع ابنها الشهيد، المواقف والطّرائف والصّعاب والنجاحات والأفراح... تسردها ونضحك... وكأنه حيّ بيننا، وكأنه واقف ينتظرها في نهاية الطريق ليوصلها إلى المنزل..

هو حقاً حيّ.. هو ينتظرها في نهاية الطّريق ليوصلها إلى قصره في الجنّة...

أودّعها معاً... هي وهو...

وأعودُ وحدي إلى المنزل..

أغلق الباب، وأتذكر الحكايات الثلاث، تتداخل مع دموع الأمهات الثلاث، أتابعها تنهمر كشلال عذب تنهمر... وأفقدُ القدرة على البكاء...

- بتنا نزور صفحات الشّهداء لنُسلّم عليهم بدلاً من أن نزور قبورهم...

وبتنا نغرسُ هناك كلمة طيّبة عوضاً عن الغصن الأخضر...

لابأس... سنبتكرُ كلّ يوم بدائل جديدة، لنواصل المشوار، حتى وإن كنّا ندوس على الشّوك، ومع كلّ خطوة نفتق الجراح..

- لا تسألوني أنعود الآن إلى أرض الوطن أم نساعد في الغربة!

لن أكون عاطفية ولن أحكّم عقلي، ولن أكذب فأقول.. لا حاجة لكم بيننا..

ولعلكم تعلمون أن المخلصين قلّة ههنا، وأن المخلص يحمل على كاهله كل الأعباء، ويعهد إلى نفسه بكلّ المهام ما يُطيق منها وما لا يُطيق وكل ما يحتاج إليه اليد التي تسانده وتحمل معه ليثبت ويتابع الطريق...

ليعد كل قادر.. فبالخير لا توجد مشورة!!

- إلى شهداء أول أيام العيد، والذين ناهزوا (١٠٠) شهيد...

تقبّل الله طاعتكم وهنّأكم بالعيد السّعيد...

ثيابُ السّندس والإستبرق وأساور الفضّة تليقُ بكم...

والعيدُ في الجنة أغلى الأمنيات، فبأيّ عمل صالح نلتم الشّهادة؟!!

وأيّ سرّ في داخلكم قد استودعتموه ربّ العالمين حتى رزقكم صُحبة الأنبياء؟!!

وهل يَا تُرى... تستبشرون بنا؟!!

• هنا بوابة السماء تُفتح، ليس لقبول الدّعاء فحسب، بل لتوافد الشّهداء الذين تسابقوا إلى الجنّة في العشر الأخير كما نُسابق في الدنيا لنيل الأجر... يتجاوزون هم المسافات والزمن...

هُنا لا نستقبل العيد ببياض الكَفن... فلا أقمشة بيضاء تكفي لشهدائنا، ولذلك نلفّهم بألوان من القماش مختلفة...

ويبتهج الناس في العيد بألوان الثياب، ونتباهى هُنا بألوان الكفن...

نلقى الله ببهجة المُشتاق إليه...

فهنا يغدو العيد عيدين... بل أعياداً..

عيدُ السّعيد، وأعيادُ الشّهيد!

• ما أجملها صلاة التّراويح وعن يمينك أم شهيد، وعن شمالك أخت أسير، ومن أمامك أمّ مجاهد، ومن خلفك أخت جريح، وأمّة تنتظرُ الفجر القادم بهمّة الحرائر... وجيل النصر والتّحرير...

• لو لم يكن أداة تصنع سهاماً تُطلق في سبيل الله على أعداء الله...

لو لم يكن نداء يستنهض همم القاعدين، وبوقاً ينفخ صاحبه فيه من روحه ليوقظ الأموات...

لو لم يكن محرّكاً للعقول لتدرك غاية وجودها، وكوكباً يضيء سماوات الفهم ليهب الحكمة...

لو لم يكن دافعاً للتغيير... وسُقيا الرحمة التي تنهمر على الأرض البور فتُنبت الزرع والنخيل والأعناب... ومن كل الثمرات...

لما أقسم الله تعالى بـالقلم... وما يسطرون...

هي ليست حروف مرصوصة... إنها حياة أمّة...
ومهدرة هي الأوقات والحروفُ والعقول... مهدر الحبر والورق... هشّة حوائطنا الإلكترونية... إن لم تجنّد فيها الأقلام لتصنع وتسهم في تلك الحياة!

• كلما عصف بي الألم، وقيّدتني الغربة، وشعرت أن الحق سيضيع...
أتتني عبارة «لا يضرّهم من خذلهم» فثبتتني... وواستني... وكفكفت دمعي... ورسمت في دربي ابتسامة شموخ...
اللهم اجعلنا منهم، واستعملنا وثبّت أقدامنا على الصّراط المستقيم...

• الإحساس يتلاشى تدريجياً كلما طال وجودك على الكرسيّ أيّاً كان حجمه ومستواه وارتفاعه عن الأرض...
نصيحة إنسانيّة: حاول أن تجلس على الحصير مرّة أو مرّتين في اليوم، حتى يؤثّر في جنبك، أو تتألم من جلوسك عظامك، أو تشعر بذلك الخدر في أطرافك... وستفاجأ بشيء مختلف ينبض في عروقك!
وإن لم يتوفر في بيتك هذا الاختراع «الحصير» فبإمكانك الاستغناء عنه وتلمّس برودة الأرض التي يجلس عليها سواك...
دخلتُ بيوتاً فُرشت بالكارتون... بقايا الصّناديق... ليعوّض عن البلاط...
كان أصحابها يعتبرون أنفسهم محظوظين لأن لمسكنهم نافذة يمكن إغلاقها عند اشتداد البرد، وباباً يمكن إغلاقه عن عيون بل عن خطوات المتطفّلين... ولأن فيها زاوية ما تستعمل دورة للمياه قابلة للتحسين والتطوير مع الأيّام...
كلماتي لن يكون لها أيّ معنى إلا بالتجربة...
يُشردون فلا نشعر بهم وإن تعاطفنا... ينزحون فنواسيهم، ولا نحسّ بقيمة السقف.

الذي يظلّنا... يُقتلون فنبكيهم من بعيد... من فوق كراسينا الخاصة، حتى وإن كانت مجردة عن أية وظيفة أو منصب... ولا نطرق أبوابهم، لنقترب منهم، لنعيش الألم حيّاً معهم..

- إنسانيتنا أحياناً تُسلب منّا في غمار عملنا في المجال الإنساني...

الروتين يقتل... المهام الاعتيادية تقتل...

وقناعة تتنامى لدي أن الإنسانية الحقيقية لن تكون بالمراسلة، أو بالاستشعار عن بعد لذبذبات العاطفة والتفاعل الحقيقي...

أرواحنا تُسلب منا بأيدينا، وقد تعود...

بفنجان قهوة فوق أسطح أحد الأبراج التي لا تزال على العظم!

في ضيافة أسرة نازحة.. ابتسامة الرضا هي الدنيا وما فيها ..

- نحن شعوب لم تعتد بعد على فكرة النقد، فبات الانتقاد مهما كان عادياً يُفهم على أنه جبهة حرب مفتوحة، أو عداوة لمن يوجه إليه...

رجاءً فرّقوا بين العداء، وبين إسقاط الضوء على المشكلات لعلاجها، وللبحث عن حلول، وأضعف الإيمان لتلافي الأخطاء وعدم الوقوع فيها من قبل آخرين....

لو اكتفينا بامتداح الآخرين... لو غضضنا الطرف عن المشكلات، لو عتّمنا على الأخطاء... فأية بيئة لتكاثر الجراثيم ستغدو؟؟

لا أحد يحب نشر الغسيل الوسخ، لكن الإغلاق عليه سيدفعه للتعفن...

أنا مع اخراجه وغسله وتعقيمه، ليتألق ناصعاً تحت نور الشمس...

- أغلى مقاعد للدراسة هنا..

لأنها تكلّف في كل دول العالم المال... وتكلّف في وطني الأرواح...
في حمص سيضطر النازحون في المدارس إلى النزوح مرة أخرى، إلى أماكن خطرة... بين أحضان الشّبّيحة... سيسكنون في معسكرات، أو حتى مراكز تسوّق! سيواجهون مصيراً مجهولاً سيوضع في خانة النسيان... كي تفرغ المدارس... وتسير عملية التعليم بشكل عادي.. فهل رأيتم أغلى ثمناً من المقاعد أو الكراسي على شتى أنواعها في سورية؟!!.

- كان من المدهش، والمؤثر رؤية أشخاص استيقظوا للتوّ من سُباتهم، وغادروا كهوفهم المُظلمة، إلى عالم النور الرحيب...

لذة اكتشاف أبواب الخير، وحلاوة الإيمان أثناء قرعها، وخفض الجناح لحُرّاسها والقائمين عليها، وطلب الانضمام إلى أسراب العاملين فيها... بعد أن خالجنا اليأس طوال هذه المدّة... أن الناس في الكهف تحجّروا فما عادوا يستطيعون الفكاك من قيودهم، أو التخلي عن أوثانهم...
اليوم رأيتُ الأوثان تُهدم، والمارد العملاق يتجوّل... بكبرياء وعِزّة لا تُشبه تلك التي كان يرتديها قناعاً من قبل..
اليوم رأيتُ في الأفق بارقة أمل... عبر أفراد قِلّة، لكنها بالتأكيد تعكس صورة المجتمع... بشكل أو بآخر...
بقي علينا أن نثبت أكثر، أن نعمل أكثر... وأن نكون مع الله أكثر... ففي الغيب البشائر مخبوءة... وعند الله لا يضيع صالح العمل...
...
قد يتساءل أحدهم.. آلآن؟!!
وأقول... أجل... الآن...

- فرقٌ شاسعٌ بين المرونة.. والتّنازل عن المبادئ!

- حمص غائبة عن الوعي منذ مُدّة...

ظنّ بعضهم أنها قد ماتت سريريّاً، فقرروا فصل الأجهزة التي تمدّها بالحياة... من باب الحنّيّة!! كي لا تتعذّب أكثر!
لكننا نعيشُ داخل قلبها، نشعر أنه ينبض بقوّة، ونرى أنها بحاجة لأن نقف معها أكثر من أي وقت آخر، أن نمدها بالرعاية والدعم أقوى من أي وقت مضى...
أن نساعد المخلصين الذين يموتون ألف مرّة لأجل حياتها وحياة جيل قادم يكمل المشوار..
هم يريدون العلاج بالبتر... لكننا هنا نسعى لتغيير الأدوية، والتّبرّع لها بدماء جديدة، وإجراء عملية زراعة قلب أو كبد أو كلية...
هم فقدوا الأمل، لكننا لن نفقده أبداً... لأننا نحياه في مواقف كثيرة نعايشها، في أحداث لا تُروى لنا بل نراها رأي العين...
امسحوا حمص إن شئتم عن خارطة اهتمامكم... لكننا سنبقى إلى جوارها حتى آخر لحظة...
حتى تموت ونحن قربها، أو نموت وهي في قلوبنا...

- «عُمــر» جديد يرى النّور...

برعم زهر يتفتّح.. مولودٌ يطلّ على الحياة... عبر اسمه رسالة... وتحدّ، وإعلان بقاء...
على قدر كراهيتهم لعمر، على قدر حبّنا له، واعتبارنا إياه الشّخصية القدوة الأكثر تأثيراً وتميّزاً..
لا تظنوا أننا ننسى...

وإن فعلنا فستذكرنا أسماء الجيل الواعد... أن نطلب العزة بالإسلام... لنلتمس في طريقنا هذا المخرج...

لم نختر أسماءهم من فراغ... إنه جيل النصر القادم... إنه حلم المستقبل الذي نسأل الله أن يصنعه على عينه... ولن نفرط في رسالتنا عبره أبداً...

- عتّموا على فكر سيد قطب ومنعوا « في ظلال القرآن» وغيره كثر من أصحاب الفكر الحر...

لكنهم لم يستطيعوا هدم المنجم، ولا تغييب الأصل... « القرآن».

حاربوا أهل الحق، سجنوهم أو قتّلوهم أو نفوهم، ظناً منهم أن القضيّة غُيّبت، ودُفنت إلى أبد الآبدين...

فرضوا عيونهم وحرّاسهم في كلّ مكان... سنّوا قوانين تُقيّد الحريات، جعلوا كثيرا من الناس يتلفّتون حولهم خوفاً وقلقاً... ظناً أن الدولة قد دانت لهم، وبأنهم امتلكوا السّلطة... اعتقدوا أننا سنموت... حين أماتوا روحنا، حين ميّعوا قضايانا، حين جعلونا تحت أيديهم كالقطيع...

لكن القرآن كان موجوداً معنا رغماً عنهم، ما استطاعوا تغييبه أبداً...

منبعُ القضية، وأصل الحرّيّة، ودستور أهل الحق، ومرجع أهل الإيمان على مرّ الزمان...

ما استطاعوا تغيير آية، أو تبديل كلمة، أو حذف حرف!

كانت تعاليمه واضحة، أوامره جليّة، إنذاراته حاسمة، وعيده مرعب، ترغيبه مُحفّز، منهاجه واضح لا لبس فيه...

الحق كان بأيدينا.. لكنه لم يكن في صدورنا، لم تعيه عقولنا، لم نطبّقه واقعاً على الأرض...

القرآن معجزة الله على الأرض تحداهم فكراً وقوة وحضوراً...

لم يكن بحاجة منا إلا حسن الأخذ به، والإحسان في الدعوة إليه، والتقوى في تطبيق تعاليمه... كي ننال نصراً وقوة وتمكيناً...
إنه موجود دائماً معنا.. إلى يوم الدين... ليأخذنا إلى درب النجاة... سبيل حق، وراية خير أنزله الله لنجاتنا... لصلاح أمرنا... لما فيه رشدنا...
كم سيكون موجعاً أن يغدو حجّة علينا... كم ستكون المحاكمة عسيرة حين نفشل في تقديم أعذارنا وحججنا...!!

• حين تستشعر في داخلك حيّز فراغ يدفعك لأن تهبط درجة بدلاً من أن ترتفع... أو تقلّ كميّة العطاء، أو أن تفتر الهمّة، وتكلّ الأقدام عن السّعي...
فعُد إلى المقياس الذي سيشخص لك المرض، ويقدم لك الدواء، ويملأ كيانك خيراً...
عد إلى القرآن وستجد في داخلك الجنّة!

• سوى عائلتي الحقيقية التي أفخر بها، هناك أسرتي الثّوريّة، من أبناء وبنات، وإخوة وأخوات، تعرفت إليهم منذ بداية الثورة، وتعلمت منهم الكثير.. ومازلت... أراهم من أكثر الناس فاعلية وعطاء..
أراهم يسدّون كلّ ثغر، ويعملون على كلّ الجبهات، أعمالهم خفيّة إلا على خالقهم... ولو سردت إنجازاتهم لملأت فيها الصّفحات وما اكتفيت...
انطلاقتهم من فكر أصيل، وإيمان عميق... نواة ذلك الفكر « اقرأ» ومنهاجه القرآن، وغايته الجنّة... جنود مجهولون خرجوا في سبيل الله، وقدموا التضحيات تلو التضحيات.. كدّوا وتعبوا، تألموا وأرهقوا، لكنهم أبداً لم يتوقفوا...
لو لم يكن في الثورة مزايا إلا أنها عرفتني عليهم وأعطتني عبرهم أغلى الدروس لكفّت ووفّت...

لا أملك إلا أن أدعو لهم في السّرّ والعلن... جزاهم الله عن الإسلام كلّ خير وآتاهم سؤلهم، ورفع درجاتهم وجمعنا بهم في الدنيا على خير وطاعة، وفي الآخرة في فردوسه الأعلى......

- حمص بلا مدارس... فقد أصبحت هي السكن والمأوى لمئات العائلات...

حديث النساء اليوم بعد السؤال عن الأحوال.. هل وجدتِ لابنكِ مدرسة؟!!

مجموعة من النساء شعرن أنهن محظوظات، فمدرسة أولادهن المعتادة قد فُتحت كالعادة... ولم ينزل بها نازحون... ولذلك بدأ فيها الدوام وحضر مجموعة لا بأس بها من الطلاب...

والسبب معروف لأهالي المدينة...

بوابة المدرسة أمام حاجز الجيش مباشرة، وعلى بعد بضعة أمتار فقط من القنّاص...

وتستمر الحياة.....

- بدأت بعض المتطوعات في حمص شغل النازحين في المدارس والبيوت بدورات محو الأميّة...

أخبرتني إحداهن كيف تفعل « اقرأ» بكيان الإنسان...

كيف تحدث ذلك الزلزال الذي يقلب الأرض فيهيئها للحرث والبذر والغرس...

كيف تحمّله همّاً ما كان يوما في دائرة اهتماماته...

استقبلت يوماً فتاتين في العشرين من عمرهما، لتعرفهما على الأحرف الأولى من الأبجدية...

كانت الفتاتان تضحكان عندما قدمتا إليها، لكنهما – ويااللغرابة- خرجتا والدموع في عيونهما...

دموع الألم على ما فات، والخوف أن يتبدد العمر ولا تلحقا بالرّكب...

دموع من فُتحت نافذة للضوء في عقله، فتنبه إلى الوحشة والظلمة والغبار الذي تراكم فيه على مر السنين...

قالت المعلمة لي...

العقلاء مُعذّبون دائماً....

- لا تحدّثوني عن الرومانسية...

فقد اكتفيت...

من الدموع والشموع وقصائدُ الشوق والعشق والحنين والأنين...

وأحلام تقبيل ثرى الوطن...

ورؤيته سعيداً حُرّا من الغاصبين...

العاشقُ قد هجر حبيبته...

رغماً عنه...

وأرسل يخبرها كم أنه - طوال عمره- قد أحبّها...

وكم سيبقى وفيّاً لها...

هي الجريحة...

إذاً سيرسل لها ثمن الدواء...

وسيكون كريماً أكثر، ويهيئ الغذاء والكساء...

وإن هي ماتت..

فسيتكفّل بثمن الكَفن...

وسيقرأ على روحها الفاتحة كلّ ليلة..

وسيفتح لها في صفحات التواصل أجمل صفحة...

وينشئ - زيادة في الخير والأجر- مجموعة تضم عشّاقها أمثاله...

ليتسابقوا في كتابة الشعر وقصائد الرثاء...

ليعددوا محاسنها ومناقبها، وكم أنها كانت جميلة...
وكم أنها كانت عظيمة...
وسيتطرقون لذكر المجرمين الذين جاسوا أرضها بأقدامهم...
وسيلومون حرّاسها الذين لم يحسنوا حراستها كما أوصوهم وشددوا عليهم، وفشلت خططهم رغم أنهم قد دفعوا لهم ثمن الذخيرة...
ياالجحود البشر للبشر...!
وستحفل الصفحات بسبابهم وشتائمهم...
وسيعينوا رمزاً لهم أكثرهم شدّة في الشتم، وأقواهم بأساً في اللعن...
وسيعودون إلى حياتهم المعتادة...
فقد عرفوا أن الغضب مضرّ بالصّحة...
وبأن الغضب يسبب أزمات قلبية... ويشلّ الحركة...
وسيأتي من يُثني عليهم، ويذكّرهم بـ «لا تغضب»
وإن لم يكن ذاك المقصد!
المهم أن ترتاح الضمائر... المهم أن يمحى الألم..
المهم أن نراقب من يموت فلا نشعر بأدنى درجات اللوم ولا نشعر أبداً بالندم...
لكننا رغم كل شيء عُشّاق بامتياز...
نجيدُ كتابة الشعر والنثر، ونتفنن في القصة ونبرع في المقال...
وعن الخطبة حدّث ولا حرج... كل شيء فيها مسموح إلا ما يمسّ مشاعرنا... ومشاعر الآخر...
الجهاد؟!!
وقع هذه الكلمة قوي...
فاحذفوها...

وتحصّنوا من عيون الأمن... وأطفئوا أنوار البيوت وأشعلوا مصباحاً ضئيلاً...
يكفي لأن تكتبوا على نوره قصيدة...
في حُبّ الوطن!!

- صديقتي الغائبة الحاضرة...

هنا زرقة جامدة بلا روح..
شمس بلا دفء...
كلمات بلا معنى...
صدقكِ كان ينادي الطيور المهاجرة، ويبعث الغيم في السماء... ترعد وتبرق...
تهطل وتهطل...
قوّتكِ كانت تُثير زلازلاً في النفس...
وأحلاماً لا قرار لها...
لا شيء هنا حي... سوى ما تبقى في الذاكرة من عبقٍ قديم...
ياله من حزن... إن تركناه فأنى له يتركنا...
وإن تجاهلناه... وجدناه يعترضنا كقاطع طريق... يأبى إلا أن يستنزف منا كل شيء...
وتأبى وصيتك إلا أن تدفعنا للحفاظ على كل شيء...
كل شيء يستحق أن نأخذه معنا إلى هناك...
حيث الموعد واللقاء المنتظر...
ياللغياب....
ياللغياب الذي لا يرحم!

• المثير للدهشة في حياتنا اليوم.. أننا نُفتشُ عن العظماء لنزجّ بهم إلى ساحات القتال... نتمنى في أعماقنا أن يعيشوا أعماراً طويلة، وأن يربّوا الأجيال على أخلاقهم ومبادئهم، وأن يلقنوهم رسالتهم....

لكننا لا نملكُ إلا أن نحفّزهم، وأن نشجعهم بكل وسيلة للجهاد... وأن نحتمل خبر رحيلهم عنا واحداً تلو الآخر... وأن نتصبر على وداعهم، ونتحلى بصفاتهم، وننفّذ وصاياهم، وننتظر موعد اللحاق بهم...

إن عاشوا أثمرت حياتهم خيراً ونُـوراً... وإن رزقوا الشّهادة فقد حققوا مناهم، ونالوا أعلى مرتبة يتمناها مسلم...

الموتُ لم يعد ذلك الشبح المرعب الذي يطاردنا...

ماضون على الطريق... لنبني ونعمر... وإن كنا مع الموت على موعد، فأهلاً به.. وما أطيبه لقاء الله لمجاهد طلب الشّهادة، ونال الفردوس بإخلاصه وحسن عمله...

• لنُحدث التغيير المرجو على أرض المعركة، لابد أن نصنعه من مواقعنا، لابد أن نبذل أكثر، أن نضغط على أنفسنا أكثر...

باتت الكماليات في حياتنا كالذنوب، لأن تسخيرها لدعم الثوار قد يقلب المعادلة للأفضل..

مصاغكن يا حرائر، إلى متى سيبقى مجمّداً، والموتُ ليس له موعد أو ضمانات، لن تأخذن معكن حُليّاً إلى القبر، ولن يُصب من بعدكن بفقر مادمتن بذلتن ما معكن لله..صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال.. « ما نقص مال من صدقة»

وصدق الله تعالى حين قال: « والله يضاعف لمن يشاء»..

إنما هو مشروع وتجارة، ربح وخسارة، فاشترين الجنّة واشترين الآخرة، واشترين رضوان الله.. ما نفع حياة نفقد فيها إنسانيتنا، ما نفع دنيا كل ما فيها ذُلّ ومهانة؟!!

إلى متى نفكر بأنفسنا، ونخشى الفقر وما عند الله يُغني عن الدنيا وما فيها؟!!
إلى متى ندعي العجز وبأيدينا ما نقدّمه؟
ابذلن وشجّعن على البذل، فلكن دور يضاهي دور الرجال في المعركة، أوليس من جهّز غازياً فقد غزا؟!!
وهل من شعور أعظم في النفس وسعادة أكبر من أن تري مجاهداً يقاتل ببندقيتكِ، وبذخيرة قدّمتِ ثمنها من حُرّ مالك؟!!
الأمر لم يعد دعوة للتفضّل أو التكرم.. الأمر بات واجباً مُلحّاً... ففي رقابنا أيضاً تأمين شبابنا المجاهد، وما كانت المؤمنة لتخذل إخوانها وتضنّ بما لديها وهي قادرة، وإن لم تملك فلتجمع وتُجهّز.. ولا تستهنّ بجهد ولو كان قليلاً...
إنها رسالتنا جميعاً وقضيتنا جميعاً.. وقد دعانا داعي الجهاد فلنُسهم بما نستطيع لعل الله يقبل ويكتب النصر ولا يجعلنا من المتخاذلين...

- هؤلاء هم شبابنا الأبطال... إيمان بالقرآن، نورٌ يسري في جوارحهم... عزّة بالإسلام، وإقدام في غمار المعارك لا يخافون في الله لومة لائم...

هؤلاء إخواننا الذين بهم نفخر.. وبخطاهم نقتدي... منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر... وما بدلوا تبديلا...
فليعلم عدوّنا من يُحارب، إنما نحاربهم بعقيدتنا، ويحاربون بأوثانهم... والعزة لن تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين....

- زينة شبابكِ يا سورية يتسابقون إلى أرض المعركة..

تركوا الراحة والنعيم والدّعة، وأيقنوا أن لا مجال لإحراز النّصر إلا في ساحات الجهاد...

تخلّوا عن مشروعاتهم، أجّلوا السعي لنيل شهاداتهم، في سبيل شهادة أسمى وأعظم، ومشروع أغلى وأنبل...

شاهدة يا أرضنا الحبيبة على وقع أقدامهم الطاهرة فوق ثراكِ..

شاهدة على نجوم تطلّ في عيون أذبلها الأرق من أجل قضيّتكِ..

شاهدة على ابتسامات تلوح بعد تكبيرات نصر أو نطق للشهادتين كبداية تحقيق الحلم بالوصول إلى الجنّة..

شاهدة على لقاء الأحبّة هناك، وتباشير تلوح...

على أرضكِ اليوم سوريّتي أرى رجالاً بحق...

صدقوا ما عاهدوا الله عليه...

خرجوا وفي قلوبهم تفتّح الزّهر، وقد حملوا في أيمانهم أدوات النّصر، وقد سعوا جاهدين لشقّ طريق لعبور المؤمنين... للتمكين لهم في الأرض... مهما أتعبهم الطريق، وأرهقهم عناء السّفر...

رحلة تمحيص، واختبارات لا تتوقف، ناجحون. صاعدون إلى العلا... أو ساقطون في الحُفر...

يزولُ الطالح.. ويبقى الصّالح..

يهربُ المنافق، ويرسخ الثّابت...

يخيبُ سعي المُخذّل... وتُشرقُ روح الواثق بالله...

تحت راية لا إله إلا الله..

- ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)) .

اليوم فهمتُ حقيقة معنى الحديث، وقد رأيتُ دموع أرملة.. زوجة شهيد تقفُ لتطلب حاجتها، فلا أحد يأبه لها، ولا يلتفتُ إليها...

كانت تشتكي أنها بحاجة لمأوى... غرفة تحتويها وأطفالها الأيتام الأربعة، وتستعجل من يعطيها لأنها تركت ابنتها مريضة، حرارتها مرتفعة.. ولأنها قطعت طريقاً طويلاً مغامرة بحياتها وهي بلا هويّة، فقد أخذوا هويتها وبيتها وقتلوا زوجها، وتركوها تقف بذلّ تسأل الناس...

أشار لها أحدهم دون أن يلحظ كم آلمها...

اذهبي واسألي عن حاجتك في مكان سمّاه لها...

انهارت وقتها باكية، وفقدت القدرة على الكلام...

وحين التفت إليها أحدهم، وقدم إليها نقوداً.. قالت لا أريد النقود، وعلقت عبارة لم تستطع نطقها خجلاً.... أريد بعض الاحترام...

السعي ليس بتقديم الماديات فحسب، السعي بالخدمة، بخفض الجناح للمؤمنين...

السعي المخلص، والعطاء اللامحدود، المقترن بحسن الخلق، والصبر وتحمل المشقة اقترن بالجهاد.. لأنه جهاد للنفس، فاتحة النجاح في طريق كل جهاد...

- الحياء لا يأتي إلا بخير...

صحيح أن الثورة علّمتنا الجرأة، لكن على ألا تقتل فينا الحياء...

العمل للثورة لا يتعارض مع التقوى، واستحضار مراقبة الله تعالى لنا في كلّ خطوة، ووضع حدود في التعامل، تدفعنا للتقدم بالعمل، دون الانجراف إلى الطين...

وكلما استُحضر رضا الله، وأُخلصت النيّة، وكان العمل كله، بكافة تفاصيله في سبيل الله.. كلما ساهمنا في صناعة نصر على أسس متينة...

الثورة ساعدتنا على التخلص من قسم كبير من مشكلات النفس والمجتمع، وبقي قسم آخر، علينا أن ننقيه بأنفسنا...

إننا قد خرجنا نطلب النصر كمن خرج لصلاة الاستسقاء، فأعلن توبته وإقلاعه عن كل

ذنب، وألقى الدنيا عن كاهله، وتوجه بكلّيّته لله تعالى... فهل يخيبه الله؟!
حاشاه....

• محسوبون على الوطن..

ولكن إلى متى؟!!
أعضاء المجلس الوطني الذين يزورون سورية لالتقاط بعض الصور قرب الدبابة أو مع الرشاش والبندقية، ثم يغادرون وقد أثتوا شجاعتهم وبطولاتهم بهروبهم مع أول إشاعة عن هجوم النظام...
وفي الخارج هم مشغولون باجتماعاتهم عن أوضاع الجرحى المنسيين في المشافي التركية... مشغولون عن زيارة لمخيم الزعتري الكارثي في الأردن، ففنادق الخمس نجوم تعوّد على تبلّد الحسّ وعيش الرفاهية يورث اللامبالاة بأي شيء... ولو كان أحدهم صادقاً مع نفسه فليحجز خيمة في الصحراء إن لم يستطع بإقامته هناك أن يحرك الرأي العام أو أن يحسن الأوضاع، فهو على الأقل يقدم الدعم المعنوي لمن يعيشون حياة الذل والإهانة هناك وسط الأفران الحرارية المدعوة بالمخيمات!!
سئمنا من استعراض القوى الفارغ، ومن بيع الوطنيات...
سئمنا من جنود ينشقون فيغادرون إلى تركيا ليسقطوا النظام من هناك!
سئمنا من الرموز فقد ابتُذلت، ومن الوعود فقد أخلفت، ومن اللهجة الخطابية فقد قُتلت كذباً، ومن الأمانات فقد ضُيّعت....
قليلاً من الإحساس فقط بأناس يعيشون هنا تحت النار، بمجازر يومية، بعداد شهداء يستحي أن ينزل عن المئة شهيد يومياً، برؤوس أطفال تُقطّع، بحرائر تُخطف، بسجون لا يعرف ما يدور بداخلها من عذابات إلا الله....
إن لم تستطيعوا خدمة الوطن من مواقعكم فلا داعي لمجلس وطني، ففي الداخل بوسعنا أن نؤسس البدائل، وبلّغوا العالم عنا... من أراد أن يحاور، فليتفضل إلى الداخل!

• تصبحون على أمل...

أمل لا يشبه الحلم الورديّ الذي تشاهدونه في معرض مناماتكم في أن يزول الهم والغمّ ويُرفع الحداد وتُعلن الأفراح...

ولا علاقة له بالمعجزة التي تنامون كل ليلة بانتظار أن تتحقق...

ولا يشبه ما تتمتمون به في أدعيتكم - في الحالات التي تكونون فيها في أشد الحماس للثورة، والنقمة على الظالم، والألم على المظلوم-.

تصبحون على أمل من قوّة الإحساس به يجعلكم لا تنامون لحظة، ومن عمق الإيمان بضرورة تحقيقه تتحرك داخلكم كلّ ذرّة تحفّزكم للعمل، وتحدثُ زلزالاً ضخماً مع كلّ لحظة قعود...

أمل ينتشلكم من قعود العاجزين، وشلل اليائسين، ومعاناة البؤساء الباحثين في كل ليلة عن عذر جديد يضيفونه إلى قائمة أعذارهم عن عدم التحرك...

أمل ينتصر على الأمراض المزمنة، والميؤوس منها، يقهر كل عوائق تحدّ من خطواتكم نحو الحرّيّة المُنتظرة...

أملٌ يدعوكم للتحليق... دون قيود...

لن تحصلوا عليه بسهولة، لن تنالوه بمجرد الرغبة والتسويف...

الأمل لا يستحقه إلا أصحاب العمل... والعمل لن يكون يوماً إلا أمل ولكن... في أبهى صوره...

• آخر الكلام...

لقد استنفذ النظام معكم كل وسيلة لإغضابكم...

اغتصاب وذبح.. موت تحت التعذيب.. مجازر.. أشلاء أطفال...

وأنتم تحديتم أنفسكم فلم تغضبوا...!

وقُلتم للمجاهدين اذهبوا وربّكم فقاتلوا إنا ههنا قاعدون!

أولا تخشون عقوبة التيه في ظلمات حكم طاغية جديد أربعين سنة، تتخبطون فلا تجدون لحرياتكم فرجاً أو مخرجا؟!!

أو ظننتم أن يُمكّن لكم في الأرض وما أخذتم بأسباب التمكين... وأشركتم كل شيء مع الله...

وكان..» آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله»

إذاً...

« فتربصوا حتى يأتي الله بأمره...»

...

لا تنتظروا نصراً يأتيكم من غامض علمه...

إلى الآن وعلى بعد كيلومترات قليلة من أمكنة المجازر يعيش الناس حياتهم الطبيعة وأكثر!

إلى الآن لا يملك من يُحسبون من المحسنين في الثورة إلا لغة الكلام...

إلى الآن نحسب تعاطفنا مع المظلوم من باب الإحسان لا من باب الواجب! فكيف بنا بنصرته!!

إلى الآن نُسجن في حدود الأنا ونظن أنفسنا من المُحسنين...

الأوطان لا تُسقى إلا بالدماء... والشّح بالدماء لا يُباعد عن الموت خطوة! فأي شيء يزهدكم بالشهادة؟!!

كأني بكل شهيد في نعيمه يردد.. « يا ليت قومي يعلمون» !!

• ليست الغاية أن ننتصر..

وإنما أن نُرضي الله عنّا.. أن نُقابله بصحيفة بلا سيئات.. أن نُسابق الصّالحين ونجاورهم في جنانه.. أن نسير على درب النبيين الذين قضوا كل حياتهم في ابتلاءات وحروب ومواجهات ومشاق في سبيله...

نحن نكذب على أنفسنا في كل شيء...

في دعاء لا يصدقه العمل..

في دموع تبلل الوجنات ثم لا تلبث تجفّ ولا تحفر أثراً في القلب يُغيرنا معه..

في تعاطف ظاهر... والباطنُ ملوث بحب الدنيا وكراهية الموت..

في كلمات تخرج من اللسان لا يصدقها القلب ولا تدرك معناها الجوارح...

في نوايا يُبعثرها التسويف...

في عمر يُقضى في أحزان تتراكم في طريقنا لا تزيد الدرب إلا عوائق وسدود، ولا تزيدنا إلا شللاً وقنوطاً...

في تفاؤل أحمق... لمجرد التفاؤل... لا يدفع للفاعلية وإعمار النفوس خيراً...

في ذاكرة مفقودة لا تفهم معنى الخلافة في الأرض!

في محاولات لتبرير العجز والاستسلام لا إصلاح الخلل، والاعتراف بالخطأ...

في التعتيم على النقد مهما كان بنّاء... واختلاق الأعذار مهما كانت واهية...

ألوان الكذب كثيرة، ووجه الصّدق واحد...

والعبرة فيمن أنقذ نفسه وانتشلها قبل حلول الكارثة، ومشى خطوة إلى الله... هذا أضعف الإيمان فسواه يجري.. وسواه يأتي إلى الله هرولة! فهل تعلمون هؤلاء كيف يتقرّب الله إليهم؟؟ كيف يُرضيهم ويرضا عنهم؟!!

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.. واجعل حياتنا جهاداً في سبيلك، وميتتنا شهادة.. مقبلين إليك غير مدبرين... مخلصين العمل غير خزايا ولا مفتونين.

• أمهاتنا العزيزات.. دموعكن غالية، لكنها لا تقدم أو تؤخر من القدر.. فهذا عمل ملك الموت الذي لا يؤجل..
صبركن يجمّل تضحياتكن... ورضاه تعالى خير من الدنيا وما فيها...
أرأيتن أما وضعت فلذة كبدها في التابوت فألقته في اليم، أولم يتولاها ويتولاه الله برحمته؟!!
أرأيتن من أرسلت ابنها للجهاد، هل كان الله ليخيّبها؟؟
حاشاه...
فهي مكرّمة ما عاشت في سبيل الله، وإن ماتت فإلى جنان الخلد بشفاعة شهيد أو مجاهد..!

• الزمان والمكان هنا لا يتّسع إلا للأبطال...
أنت إذاً في مواجهة مع كلّ شيء!
مع الكوارث والأحزان والفجائع والآلام، مع المشكلات والمصاعب والمخاطر...
مع عالم يرفضك داخله لأنك تخالفه بمبادئك، لأنك تهدم أوثانه بيديك، لأنك تزعزع ركان ظلمه بصرخة حق...
انسحابك عجز، ترددك موتٌ محقق...
لا خيارات أمامك، سوى أن تتقدم، أن تُقادَ إلى البطولة رُغماً عنك...

• عجيب كيف نُطالبُ بحرّيتهم، وهم لم يكونوا يوماً إلا أحراراً..
حتى داخل الأسر!!

• أخرجوا قلوبكم من ثلاجة الموتى التي وضعتموها داخلها، ثم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا...

• كما كانت تقول دائماً..
ثورة مدى الحياة...

• سننتصر...

حين تلاحم القلوب، وتتوحّد الشّعوب... فتهبُّ المدينة لنُصرة أختها، وتنتفض الشّعوب نجدة للشعب المظلوم..
سننتصر.. حين نغدو يداً واحدة... حين لا نسمع شكوى الأخ من إعراض أخيه حين يدعوه إلى الجهاد، حين لا يرتفع أنين امرأة قد أهينت، إلا وقد هبّ لنصرتها آلاف الجنود... حين لا يُذبح طفل إلا وتشتعل الشوارع غضباً وقهراً، فتثير الرّعب في الجاني، وتؤكد له أن القاتل يُقتل، والظالم يُعاقب والجلاد يُجلد، لا تراجع ولا ركوع..
سننتصر حين ننزع الأنا من أنفسنا، ونطلّق العجز ثلاثاً، ونلقي الأعذار لتغادرنا إلى غير رجعة...
وحين نشعر أن إنسانيّتنا الحقّة لا تكون إلا بصدق الفعال... وفي السباق نحو المعالي...
هذه أمّتكم يا شبابها... بين أيديكم مصيرها، فاحكموا، أعدموها أو حرّروها... وتذكروا أن الفرصة لا تعوّض، وأن قوماً غيركم قد يأتون، يستبدلهم الله عنكم... ينالون المجد والرفعة، وتنالون الخيبة والخسران..

• آلمني كثيراً ما قاله أحد الشباب في الداخل عن تفكيره في إرسال أحد الشباب الفاعلين هنا إلى تركيا لمتابعة أحوال الجرحى المهملين، ومحاولة تقديم العون لهم أو حتى تفقدهم! لا تعتقدوا أن النشاط الثوري للمغتربين سيكون حقيقياً إن اقتصر عن جمع التبرعات أو المساهمة في بعض المؤتمرات..
هناك أيضاً أرض للواقع تتطلب النزول إليها، هنالك عبء ضخم ينتظر من يحمله،

هناك وظائف شاغرة كثيرة للعمل في سبيل الله..لكنها للأسف مُهملة، وهذه المرة الأعذار غير مقبولة...

لن نسامحكم إن اضطر شباب الداخل لترك الثغرات التي يحرسونها للقيام بعمل أهمله القادرون عليه..

صرخة ألم... قد تزعجكم قليلاً... لكن تأكدوا أن هناك الآلاف منها موزعة بين اللاجئين المنسيين الذين لا يعرف العالم عنهم!

• « قالت يا أبتِ استئجره إن خير من استأجرت القويّ الأمين»..

عرفت قوّته حين رفع غطاء بئر لا يقوى على رفعه إلا جماعة

وعرفت أمانته إذ سار أمامها حين أرادت دلالته على بيت أهلها لئلا يختلس نظرة إليها!

....

ما أحوجنا اليوم إلى أشخاص أقوياء بكل ما تحمله القوة من المعاني، أمناء بالنظرة والسّلوك والأخلاق.. حتى نضبط إيقاع الثورة على خطوات ثابتة تتقدم فيها نحو النصر..

ابحثوا على أشخاص بهذه الصّفات، وأوكلوا إليهم من المهام ما يتلائم مع خبراتهم...

دعونا نخرج قليلاً عن إطار المحسوبيات في الثورة، وتقدير الأشخاص لمال أو حسب أو شهادة علمية قد لا تكون بالضرورة عملية!

دعونا نطمئن إلى الإحسان والتقوى على سفينة الثورة، لعلها ترسو أخيراً بسلام..

• هنيئاً لمن تابع الدرب مجاهداً وقد نذر روحه ودمه في سبيل الله، وجعل من نفسه مشروع شهادة حتى يلقى الله وقد صدقه...

فهو يعيشُ حياة يتمنّاها حتى الشّهداء في فردوسهم..!

• لاجئات للخارج، أو صامدات في الدّاخل..
بحاجة مادّية، أو ميسورات الحال...
المشكلة واحدة وإن تعددت السيناريوهات..
فحتى المرابطة في الدّاخل قد تُزوّج لمن لا يستحق من باب الحاجة، وإن كان سوريّاً..
وحتى ميسورة الحال قد يكون والدها طمّاعاً أو بخيلاً فيزجّ بها إلى قفص الزوجية، لتتساوى بالمعتقلة وقد زُوّجت عن كراهة...
إن شئتم أن تُضخّموا المشكلة، فأسقطوا الضّوء على القيم المُهانة، وعن الأخلاقيات التي تنسلّ بين أيدينا تحت عناوين كثيرة...
وإن شئتم أن تدافعوا... فعن الحقوق السّليبة، وإن أردتم أن تصلحوا، فاطرقوا أبواب الضّمائر... فإن العَوَز لا يعرف جنسيّة، وإن التعامل مع المرأة كهمّ أو كسلعة... مشكلة الشعوب التي تقدّس قيم المادّة، وتؤمن بالتّعدّي على الحقوق...
هذّبوا أخلاقكم، وساهموا برفع الظّلم تحت أي عنوان كان، تصلح ثورتكم... وتحققوا خطوة على سبيل نصر أمّتكم...
ولا تنسوا.. كرامتكم من كرامة حرائركم...

• كان لديهم - مثلكم - أطفال يحبّونهم كما لم يحبّوا أبداً من قبل...
وكانت أمنياتهم أن يشهدوا على كلّ لحظة يكبر فيها الصّغار في أحضانهم... وأن يستمتعوا معهم بكلّ موقف، وبكلمة « بابا» تخرج عذبة، فتذيب قلوبهم حُباً...
ولهم خطط مستقبلية، ومشروعات لتربيتهم وتعليمهم، وأحلام مستقبلية ليشهدوا فيها يوم زفافهم - مثلا- أو يوم التّخرج، أو حتى لحظة قدوم الحفيد الأول الذي حتماً سيحمل أسماءهم...
لكنهم تركوا كلّ ذلك، وقدّموا العاطفة الأغلى على كلّ عاطفة، وفضّلوا أن يحتوي أجسادهم تُراب مدينتهم الطّاهر الذي اختلط بدمائهم..

يوم تقدّموا لم يلتفتوا خلفهم... كانت كل الخواطر والذكريات والأحلام تشدّهم حتماً للقعود... لكنّه عِشقُ الشّهادة، ونداء الحُور في الجنّة، وصحبة الأنبياء.. ذلك ما كان يدفعهم دفعاً للتقدم للحلم..

فكانت حكايات الشجاعة، وملاحم البطولة تحكي عنهم قصصاً كالخيال...

• للهم إنا نُطيق العيش في مدينة مُدمّرة، لكننا لا نحتمل التّعامل مع النّفوس المُدمّرة... فإن قدّرت لنا الأولى، فأعنّا على إصلاح الثّانية... فإنها حجر الأساس، وعليها نُعوّل في الصمود وفي الثّبات، وفي متابعة الطّريق... واجعله بنيان تقوى وبارك بكلّ فسيلة تُغرس يا جبّار يا كريم..

• لا جديد...

سوى أن جُرح العراق تفتّق أكثر...

وأنّ وجعه امتدّ ليشملنا... ليوحّدنا أكثر...

• الرسائل الربّانية قد تأتي من حيث لا تعلم..

عبر برميل متفجّر مثلاً، يسقُط على أحد الكتائب في حمص القديمة.. في ظلّ انعدام الذخيرة، فلا يتفجّر!

فيتلقّونه كهديّة من السّماء، ويتّخذونه مادّة لصناعة المتفجّرات..

لو نطق هذا الجهاد لقال... اصبروا وصابروا.. واعلموا أن الله يعلم سرائركم... فهو معكم ولن يضيّعكم...

• من استطاع في هذه الأيام أن يكتسب علماً ليسدّ ثغرة في الأمة فليفعل، وليفتش عن كل ما ينقصنا، ويجاهد في تعلمه ومن ثم تعليمه، فإن الثورة لا تسير على البركة، وإن سارت لفترة فإنها تتوقف، وتحتاج لدفعة للأمام، وهذه الدفعة إن لم تكن عن علم فهي تسير بنا نحو الهاوية...

نحتاج لعلم في السياسة، علم في التخطيط الحربي والعسكري، علم في التصنيع، علم في فقه الجهاد، علم في فقه الخلاف، حتى في الاغاثة والطب والتمريض...

الأمر يتطلب جهداً ومشقة، خاصة مع العمل الميداني على الأرض لأهل الداخل، وهو ميسر بإذن الله لإخواننا المغتربين، المهم أن نبدأ، وليحاول كل شخص منا أن ينفع الأمة بعلمه، فما دمر الأمة إلا التركيز على تعلم الأمور الثانوية، والجهل بالأولويات، أو العلم دون عمل وتطبيق..

• بدلاً من حملة الدعوة للإضراب وإغلاق أبواب المنازل دون أن يتغير أي شيء... ومواكبة لها... أدعو لحملة توعية وتنظيف لشوارع المدينة التي حولت ما تبقى منها إلى مكب نفايات...

• الموت الحقيقي هو توقفك عن النبض في قلب أمّة تنتظر حراكك..

أردت لنفسك صعود المعالي، وانقطعت بك السّبل للوصول إلى هدفك، هل تُغلق الباب عليك وتنتظر الفَرج؟!!

أم تتحرك في كل اتجاه، وتقوم بكل عمل ممكن؟

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يحمل على ظهره الطحين ويطهو للبؤساء والمحرومين...

الصّديق كان يقوم في حاجة امرأة مُسنّة مُقعدة، يعمل سِرّاً ويبذل في ذلك وقتاً وجهداً ليس بالقليل...

القيام على حاجات الناس من إغاثة وتعليم وتربية وتوجيه، وبناء للنفوس وتهيئتها لتكون أمة الحق والخير...

كلها مسؤوليات تقع على عاتقك، ولا تسقط عنك بمجرد نيّتك وتأهبك لحمل السلاح، بل تسير إلى جانبها، وتتمازج معها، وتقوم في الحي المُحتل والمُحاصر، على الجبهات، وفي المعتقلات كلها على حدّ سواء!.

• لقد تأخرنا كثيراً لنفهم مدى فاعلية القرآن إن خرجنا به من دائرة السباق على الختمات، والسرعة الضوئية في القراءة للمنافسة في الحسنات، كان علينا أن ندرك كيف يكون السباق للخيرات، والعمل بمقتضى الآيات...

تأخرنا ولكن لم يَفُت الأوان بعد لنفتح المُصحف، ونمرّ بالآية، لا نتجاوزها حتى نطبّقها، ونعلم الناس كيف تطبّقها...

لم يفت الأوان لندرك أننا معنيّون جداً بالخطاب القرآني، والرسالة القرآنية، والعبر والأوامر والنواهي.. وبأنه دستورنا الشخصي، ودستورنا العام، وسبيل النجاة، وجوهر الوصول إلى النصر الدنيوي والأخروي على حدّ سواء...

• من يعمل ليرى النصر، ستمر عليه الدقيقة وكأنها عام فيتثاقل بخطواته، ويشعر بالألم أضعافاً مضاعفة.. ومن يعمل وهو يحتسب كل لحظة، كل وخزة ألم، كل دمعة، كل صرخة في سبيل الله، سيتمنى لو طال الزمن، وبقي يضحّي رغم العناء، حتى ترتفع عند الله درجاته أكثر..

اعملوا واحتسبوا، واتركوا موعد النصر ونتائج العمل لله، وكونوا على قدر المسؤولية، وعلى قدر رفعة العبودية، لمن استعملكم عنده، وعلمكم كيف تتقربون إليه، وهداكم سُبل تكريمه بيديه..

• كما يُضمر كلّ حاجّ أمام البيت العتيق دعوة خاصّة، من قلبٍ متعلق بحبائل الرحمن، متيقن من الإجابة... وهو على شفة الفراق ليغادر كما ولدته أمه؛
يحملُ كلّ مجاهد في الشام داخل جعبته دعوته الخاصّة، على شفة الموت شهادة أو المتابعة على طريق الانتصار، تنطلق تلك الدعوة، خفيّة صادقة نقيّة، تُفتح لها أبواب السماء، كيف لا ومع كل خطوة له إلى الله يُغفر له، وترتفع درجاته..
اللهم اجعلها خالصة لكَ وفي سبيـــلك..

• طولُ الطريق الموصل للنهاية أو قصره، مرهون بمقدر ما تبذله من جهد فيه...
ضاعف همّتك ومجهودك وعملك، تصل أسرع مما تتخيّل بكثير..

• طائرات تقصف ذهاباً وإياباً بشكل متواصل طوال النهار...
صواريخ، قنابل، حتى وصلنا لمرحلة البراميل...
إطلاق من المدفعيات من كل الاتجاهات...
جيش مدجج بالسلاح عند الحواجز ورؤوس الطرقات والتقاطعات والمفارق...
دبابات يحركها مُجهدة من ناحية إلى أخرى، لتقصف من مواقع أفضل.. حتى من أعلى القلعة!!
تسلل إلى المجارير، تلغيم وغازات سامّة...
استهلك النظام، استنفذ خططه، وطاقاته، وجنوده، وكثير جدا من عدته وعتاده...
وثوارنا صامدون، ثابتون، راسخون...
لو أحصينا شهداءنا منهم سنجد العدد أقل بكثير من الشبيحة الذين نُقلوا بالشاحنات، إلى جهنم...

الوضع صعب، لكن الثبات يسهل الصعب، ويرفع الروح المعنوية، ويزيد إيماننا بالله..
لو لم يكن معنا، لأصابنا الانهيار من أول رصاصة، فكيف بنا صامدون تحت البراميل!!
الله أكبر!!

- تعلمتُ من الهدنة:

- ليست كل الأيدي التي تمتد إليكَ نظيفة...
- الطّعنات الغادرة تأتي تحت عناوين خادعة..
- اللون (الأخضر) ليس مبهجاً ولا يدعو للتفاؤل به دائماً..
- واصل السّير ولا تنتظر المكافآت، فقد لا تأتي أبداً...
- أحمقٌ من يصاب بالإحباط لكذب عدوّه...
- أحمق من يصدّق وعود طاغية..
- أنت مُنهك، وتحتاج للرّاحة، راحتك ليست بالضرورة أن تتوقف عن العمل، بقدر ما هي في تنظيم العمل وترتيبه وتوزيعه...

- «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..»

التقوى... خوفك الدائم من بطلان العمل ومن الزلل أو التّقصير...
التقوى... عملك الدؤوب للحق، وفي سبيله، وتطبيقك للقرآن... دستور المسلمين على الأرض، لا تأخذ فيه بعض الكتاب وتدع بعضه!
التقوى... القيام بكل ما بوسعك، في ظل الإمكانيّات المُتاحة، لا تتذرّع بالعجز، ولا تضع اللائمة على الظّروف...
التّقوى... عيونٌ لا ترى إلا الجنّة عبر حياة عامرة بالخيرات، وحُفرة تزينها أنوار الإيمان...

التقوى... هذه التي يتفاضل الناس بها عند الله، الخفيّة الصّالحة، الطيبة الدّقيقة، هي الباقية في الميزان... هي الدّافع للاستقامة ودوام العمل وصحّته وسلامته من كل شوائب... فليتلمّس كل واحد منّا قلبه، وليفتّش عن موقعها فيه..

- تُغمضُ عينيك محاولاً أن تستسلم للنوم بعد يوم شاق..

يُعاودك ذات الألم، يرغمك أن تفتحهما فجأة، يجتثّ كل الطمأنينة في صدرك، وأنت تُفكّر بها...

تلك السّيّدة التي أرسلت أولادها لساحة المعركة حتى يُدافعوا عنكَ، ونزحت في غيابهم، وهددوها بالطرد من المنزل إن لم تؤمّن مبلغاً حتى حلول المساء..

وما أسرعِ المساء حين يأتي مُلوّحاً بالألم، وليلٌ ليستخرج كلّ الهمّ والآلام...

كانوا يوماً قربها، يحملون العبء، ويخففون الهم، ويمسحون الدمعة...

ظنّوا بغيابهم أنك ستعتني بها، لكنّك قصّرت، ولعلك نسيت...

لكنها لم تنسَ أبداً طعم المهانة، ودمع الأسى، ومذاق القهر... والليالي الحالكات لا فتيل يشعل شمعة الآمال فيها سوى بعض الذكريات...

....

وأنتَ.. يا أنتَ... أيّ همّ هذا الذي يؤرّقك؟!!

لم ترَ تلك العجوز ذات الثمانين عاماً تُفتّش في القمامة عن كسرة خُبز، وأنت تفكّر بألوان الطعام والحلوى، وتتباهى بشكل المائدة، وتتذمر من السّمنة، وتفكّر في إنقاص وزنك لتليق بك الثياب الجديدة، وتغضّ بالنظر عن الأناقة في سبيل النوم لساعات من التّخمة!

أيّ ليلٍ هو ليلك؟!! أيّة أحلام تُراودك؟

أو تشبه أحلام تلك المسكينة في تأمين طعام لأولادها؟ أم غطاء إضافيّ في البرد القارس،

وهي تراهم يتكوّمون في الزاوية ليكفيهم الغطاء، ليسكتوا تقلّبات همومهم، لئلا يزحف البرد حين ينزاح طرف الغطاء، لئلا يمرضوا، فهم لا يملكون ثمن الدّواء...
هل تعلم أن حلم السوريّ العادي اليوم ثياباً شتوية وغطاء؟!! ونافذة مغلقة بإحكام لا يتسرّب منها البرد والمطر، وحكاية مفعمة بالأمل عند حلول العاصفة وانقطاع التيّار الكهربائي تُنسيك للحظة صوت القصف، وطعم الموت، والتّهيؤ لخبر فاجع أو مباغتة أمنية تقتلعك من أحضان أهلك...
....
تلك همومهم، فبالله عليك أين همّك؟

- من أول الثورة وهم يرددون على مسامعنا..

لا تطلعوا بالثورة... لا تشاركوا... لا تجيبوا لنا البلا...
واليوم أرد كلامهم عليهم.. وأقول...
البلا لم يأتِ إلا من صمتكم وتخاذلكم...
يا ريت تسكتوا وما تجيبوا البلا...
البلاء بمفهومكم غضب النظام، وهو بمفهومنا غضب الله...
فارحمونا يرحمكم الله!

- بين الخطوة الأولى ونقطة الوصول؛ خطوات كثيرة لا تقل أهمّيّة عن البداية والنّهاية، لكننا كثيراً ما نفكر بهما، ونُغيّب باقي المراحل فلا نحسن التجهيز ولا التخطيط ولا الإعداد..

ولذلك، غالباً ما نُحبط، أو نسقط، أو نضيع...
إننا مأمورون بأن نرسم أمامنا الطريق، بعقباته وحواجزه وتفرعاته وتشعّباته وأفخاخه،

حتى نعبر بأقل أضرار ممكنة، حتى نثبت، ونحتفظ بقوّتنا وإمكانيّاتنا... حتى نُفرّغ وقتنا وجهدنا وطاقاتنا لأمور أخرى مهمّة.. ومن حمل في يمينه قنديل الحكمة وثاقب النظر وحُسن التوكل على الله فلن يضيع...

● الفرح الحقيقي لا يأتي إلا بعد عناء وتعب...
تشعر بحلاوته في قلبك، وتتعلم تدريجياً كيف ترفع سقفَ الحياة، فلا تقبل بالعادي والتقليدي، والباهت، والجامد، والفارغ...
فتبذل جهداً جبّاراً لتُغيّر الدّفّة لتتجه إلى عيد حقيقي...
لا شيء فيه مُصطنع...
ولا خيار فيه عن خلق بسمة ما رغم سيل من دموعٍ تؤجّلها لئلا تهيّج الأحزان والذكريات...
تفعل ذلك وأنت تُطبّق العيد عبادة وطاعة وعملاً..
تحتسب بسمتكَ عند الله أجراً... فالبسمات اليوم كزهر الربيع.. نشتاق إليها في وأنت في غمرة الشتاء، ووقت هبوب العاصفة، وتحت الجليد...
لتجدها شقّت طريقها، وأزهرت أجمل مما تتخيل!
هكذا هو العيد...

غسيل ثياب!

• إحدى الأخوات غير السوريّات أرسلت تسألني عن أية طريقة يمكن فيها أن تخدم ثورتنا، ولو كانت غسيل ثياب للجيش الحر! وعندما أخبرتها أنها نالت الأجر بإذن الله بنيّتها هذه، وأن بوسعها المساعدة في دولتها، قالت، الموضوع ليس موضوع أجر، إنه موضوع واجب..!

بالمقابل أرسل أحد الإخوة يوبّخني لأنني أحفّز الإخوة في مدينتي على الجهاد بدعوى أنني أقودهم لعمل أهوج، وأكلفهم ما لا طاقة لهم به... وفي الحقيقة لم يكلفنا الله إلا ما علم أن بوسعنا فعله..

وخلال فترة الحصار هذه بوسع الشباب القيام بأعمال كثيرة، كالتدرب على السلاح والإسعاف، ومساعدة الثوار بالحراسة وجلب الطعام والكساء، بإمكانهم إيقاظ النائمين باستمرار عبر المظاهرات الطيارة التي يمكن أن تستمر مهما كانت القبضة الأمنية مشددة وهي لا تتجاوز عادة سبع دقائق أو أقل، بإمكانهم وضع المناشير على الجدران وتذكير الناس بإخوانهم المحاصرين كلما مالوا للحياة الطبيعية، واهتموا بالكماليّات..

بإمكانهم أن يخلفوا الغازي في أهله، ويفتشوا عن أي شيء يخدم الثورة يجيدونه، فيطوروا أنفسهم، ويعلموا غيرهم كثيراً من المهارات..

إضافة إلى التوعية بالقضية، وغرس الهدف والتوجيه للرسالة السامية التي تحملها ثورتنا وأخلاقيات الثائر...

أمور كثيرة يمكن أن نفعلها وفي نفس الوقت نفكر ونجتهد ونعمل ونسعى لفكّ الحصار...

كلامي لم يكن يوماً موجهاً لفئة معيّنة أو حيّ معيّن، ولم أتعدّى به حدود الممكن والمستطاع..

دائماً هنالك عمل، ولكن للجادّين فقط، للذين لا يلقون اللوم على من يطالبهم بتأدية واجباتهم، على تعدد الواجبات..

للذين يقصدون وجهة ما، فإن توقف بهم المسير، أو تعرقل، لا يتوقفون، بل يتابعون عبر كل الطرق الممكنة، ليكون الالتقاء بالنصر المبين بإذن الله تعالى..

جزى الله تعالى العاملين في ثورتنا المباركة، الخارجين عن نطاق الحدود الجغرافية، والتعصب لجنس أو لون كل خير...

وكل عام وثورتنا مستمرة بالإصلاح والتّغيير..

- اللهم كُن لإخواننا المُجاهدين عوناً ونصيراً...

يا من شرّفتهم بحمل السّلاح دفاعاً عن دينك، يا من أخرجتهم من بيوتهم، وأبعدتهم عن أولادهم وزوجاتهم وأمهاتهم فقط ابتغاء رضوانك، يا من زرعت النخوة في قلوبهم، وهديتهم إلى نصر المظلومين..

سدّد رميهم، وحّد كلمتهم وصفوفهم، لمّ شملهم، انصرهم على عدونا وعدوّهم.. وارزقنا وإياهم التّمكين، والنصر المبين، والثّأر للمظلومين...

تقبّل شهداءنا وألحقنا بهم واجمعنا برفقتهم مع النبيين...

عافِ جرحاهم وجرحى المسلمين...

كُن مع كلّ عبد لكَ خطا خطوة إليك، لا يبتغي بها إلى وجهك الكريم، بارك له وبه، وأيّده وانصره..

اللهم فرّج عن المعتقلين، ثبّتهم وصبّرهم، وارزقنا يوماً نكسر فيه أبواب السّجون، ونفكّ الأغلال، ونفسح للشمس طريقاً في الظلمات لتعيد نور الحق من جديد، وتطهّر الأرض من رجس الطغاة الظالمين...

اللهم اجبر قلوب الأمهات الثكالى، وداو أحزان الأرامل.. وامسح بيد الرّضا واليقين دموع اليتامى والمنكوبين...

اجعلها أمّة تقوى عند الشّدائد، وتعيد ترتيب نفسها لتنهض من جديد...

• اللهم إنا نعوذ بكَ من قهر الرّجال، وأن يطغى عليهم أحد من خلقك، فيستعبدهم وقد خلقتهم أحراراً، ويذلّهم وأنت من وهبتهم الكرامة بك..
نعوذ بكَ من دموعِ العجز في عيون شبابنا، وقلّة الحيلة عن تغيير الظلم، ومن الوَهن والخوف والجُبن... ونعوذ بك من الخذلان.....
يا من تحيي الأرض بعد موتها، أحي ما مات من عزيمة الشباب، واجعل شجرة الإيمان تمتد في قلوبهم، فتكسر كلّ قيد يبعدهم عنك، ليأتوكَ ملبّين.. قولاً وعملاً..
ويأتوك مُكبّرين وقد تضاءلت كل قوة في أعينهم حين جنّدوا أنفسهم في سبيلك..
ويأتوك طائعين وقد أرخصوا أموالهم وأنفسهم ونذروا دماءهم من أجل رضاك..
وارزقهم حياة الكرامة عامرة في سبيلك، واعصمهم من الفِتن ما ظهر منها وما بطن..

• اللهم مَن لأحزانِ الطفولة سوى فيض رحماتك، مَن لعيون الطّفولة سوى نُـور الإيمانِ بك، مَن لبراءة الطفولة إلا حفظك وحمايتك..
اللهم هذا جِيلٌ يُولد من تحت الدّمار، وينمو تحت القصف، وينتشل نفسه من قلب المجازر، ويتشكّل قويّاً رغم الرّعب والخوف والتّضييق والإرهاب..
فمن له سوى عينكَ التي لا تنام لتحرسه وتهديه وتصنعه وتُرشده سُبل السّلام؟!!
اللهم إنا قد نذرنا هذه البراعم النديّة لكَ وحدك، فأنبت لها من الجذور ما يثبّتها بدينك وإن طافت حولها الأعاصير وكثرت الزلازل...
واجعل لها من الأشواكِ ما يمنحها القوة.. حتى تنمو فتغدو حرباً على أعدائك، وارزقها من العطر أريجاً تحمله أينما سارت نثرت خيراً بين عبادك..
اللهم إننا استودعنا في هذا اليوم المبارك أطفال المسلمين... فكن معهم وكُن لهم.. يا من لا تضيع عنده الودائع..

• اللهم لا تدع أَمَةً تضيعُ بلا هدف، ولا زهرة تذبل بلا عمل، ولا طاقة في فتيات ونساء المسلمين تخبو دون أن تصنع منها وبها ما يُعمر الأرض بالعمل المتقن، وبالإحسان يُزيّنه، وبالإخلاص يطهّره من شوائبه...
يا من وهبت العقول، وأنرتها بالقرآن...
ارزق المسلمات من الأهداف العَلِيّة ما يحركهن لتربية أجيالٍ من القادة والفاتحين... وبارك بأيديهن الكريمة لتنسجنَ لواء الحقّ المُبين، وبعقولهن لينتشلن الأمة من الضياع، ويرشدنها بعد التّيه، يُسرجن المصابيح في الظلمات، ويعلين راية هذا الدِّين..

• اللهم أعد لأمّتنا العزّة، وارزقها غضباً في سبيلكَ تُزلزلُ فيه عروش الطّغاة.. وعلماً وحكمة تبني فيه صروح المجد بعد اقتلاعهم من أرض الإسلام..

• بقايا القلعة.. وأطلال جورة الشّيّاح...
وجامع خالد بن الوليد... قد سمحت له المباني التي تهاوت أن يتصدر الصورة..
ليقول لنا جميعاً أنه سيبقى أثبت من أيّ وقت قد مضى...
والأشجار التي أرسلت ما تبقى من أوراقها الخضراء إلى حيثُ تغدو نسيجاً لراية حق تعلو على جباه المجاهدين...
آثارُ قذائفٍ أحدثت حُفراً عميقة في كلّ زاوية في ذاكرتها نحن...
ووقع أقدامنا تحت المطر يحكي قصّة البداية والحماس...
ويغصّ حين يتطرق لحكايات الرّحيل...
و « الله أكبر » تعلو... وتعلو... تُسكتُ الحزن والأنين..
ما أكثرهم من كانوا هنا... وهناك!!
ذكريات.. وذكريات...

لا شيء سيبقى لنا سوى الذكريات...
قلتها...
فرأيتُ تشرين جالساً يبكي على الرّصيف..
كان طوال الوقت ينتظر عودتهم... فعاد اليوم ولم يجدهم...
ما أجملها تلك الصّور التي عرضت سير حياتهم على شريط وصل الأرض بالسّماء..
كقوس قزح.. لوّنوا وجه المدينة بالحياة...
ذكريات انهمرت بلا توقف..
هنا تشييعٌ زلزل أركان الأرض غضباً لله..
وشهيدٌ يبتسم...
وطفلة ترسل من شُرفتها كومة من الياسمين...
وأمٌّ تكفكفُ دمعها، وتعانقُ صورة لتهدئ مرارة الشوق بنظرة..
وكلمة تمسح عنها الحزن في لحظة..
- ما عند الله خير وأبقى..
وهناك عيون تحرسُ على الثغور.. لم يغمض لها جفن منذ أيام..
قد صمدت هنا لتصنع النصر مهما كلّف ذلك من ثمن...
مهما تخضّب بالدماء..

- اكتشفت أننا نعيش في عالم غريب...

نصف سكانه من الشهداء والنصف الآخر مشاريع شهادة..
نتقابل.. نتحدث مطولاً.. يسردون لي قصصهم بتفاصيل دقيقة، أعيشها معهم وكأنني كنت هناك...
الغريب أنهم رغم كل المآسي صامدون...
يبتسمون.. بمرارة..

لا بأس... يكفي أنهم يبتسمون...
نفترق فقط لأن الوقت داهمنا... والشمس قاربت على المغيب...
نغادر... ولا أحد منا يعرف في أيّ الدارين سيكمل قصته للآخر...
وهل ستكون تلك التتمة في حضرة الشهداء!

- «لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً»

يا له من نعيم تشتاقُ إليه النّفوسُ وتحنّ إليه الأفئدة...
عالمٌ من الصّدًق، لا يعرفُ الكذب، ولا السّطحية، ولا الفراغ...
جنّةٌ لوحدها أن تعيش ذلك العالم...
قد لا تستشعر زيفَ عالمنا في البداية..
قد تُطعن في الظهر مراراً...
قد تسمعهم يكذبون أمامك لتصدّقهم بكل الوسائل، والمشكلة أنك شاهدُ عيان على أكاذيبهم..
قد تتجاهلُ كل ما يُقال ولا تواجههم بكذبهم... ربما لأنك ضعيف... إيمانك ضعيف لا يهبك الحجة على المنازلة، أو لأنك لم تعد تمتلك الرغبة في فتح جبهة حرب جديدة تستهلك قلبك ووقتك وطاقتك.. أو لأن الصمت في بعض الأحيان ينفع إلى حين العودة القريبة المظفّرة..
ولعلك في أحيان كثيرة تمنيت لو كنت أصمّاً... وكم غصصت بدمعة وأنت تواصل سماع الأكاذيب..
وتحترق.. في داخلك الكلمات، وأنت تفكّر بقلب الصفحة، وتغيير الموضوع، لتنسّق خطة هجوم محكمة... قد لا تظفرُ منها إلا بشيء واحد... أنك قررت أن تُنقّي الجو فجأة، بكل وسيلة ممكنة...

أنك استحققت فعلاً أن تغدو من أهل الصدق.. من أهل الحق.. ونلت المكافأة، وحظيت بوعد الله للمؤمنين في الجنة..

• لا توجد فاتورة ما يتم تسديدها للثورة من التضحيات...

إنما خُلقنا لعبادة الله، وعمارة الأرض بكل طاقاتنا وإمكانيّاتنا وقدراتنا حتى آخر نَفَس لنا في الحياة...

لا يمكن أن نعمل بالثورة مدة عام مثلاً، ثم نتوقف لأننا أدينا ما علينا... ولا أن نخرج من المعتقلات لننزوي في البيوت ففاتورة التضحية دُفعت، ولا أن نحمل صورة قريبنا الشهيد وساماً على صدورنا، فتكون بمثابة بطاقة إعفاء عن أي عمل ثوري...

الثورة حياة، والحياة ثورة، لا ينفصلان...

فلماذا نخرّج لأنفسنا شهادة وفاة إنسانيّة... وطاقاتنا موجودة، وقدراتنا عظيمة، وإمكانياتنا فاعلة!

تعاملنا مع الله، وليس مع البشر، ولابد أن نرتقي لحجم هذا التعامل، وأن نستحق معنى الخلافة...

• بي حنينٌ لمنبرٍ تعلو فيه كلمة الحقّ رغم أنف الطّغاة...

كحنين الجذع واشتياقه لرسول الله.. صلى الله عليه وسلم..

وبي أنينُ حزنٍ يشبه ذاكَ الآنين...

تحرّقاً ليوم مجدٍ وعِزّة...

يوم نُشهد الله وملائكته وأهل الأرض والسّماء بأنّا حقّاً مسلمين!

بي حُرقة على المساجد، خاوية القلب والرّوح...

لا صوت إيمانٍ يهزّ أركانها، ولا تكبيرات غضب تزلزلها... ولا أحد سوى العدوّ يعرف

قيمتها، فلايزال يقصف مآذنها، ويحرق مصاحفها... ونحن..

آه يا نحن...

يطوينا الغياب...

شبعنا يا أمتي ذُلاً، وأرهقنا مُرّ الخنوع...

وقد ولدتنا أمهاتنا أحراراً... فلماذا نحفرُ قبورنا برؤوس منكّسة كالعبيد؟!!

لا عشنا ولا طابت لنا حياة إن لم نُعد مجدنا الغابر، ونرفعها فوق كلّ منبر.. راية التّوحيد..

● المناطق الآمنة لم تعد آمنة...

على العكس... أثبتت أن رقاب الشعب بأيدي النظام، يقتل منهم ما يشاء، يسرق وينهب ويخطف ويعذّب متى شاء...

هل لازلتم تخافون من الحراك الثوري فيها خشية القصف؟؟؟

فليقصفونا ولنمت بكرامة...

ذلك أهون بكثير من منظر اعتقال الشباب وإعادتهم جثثاً أمام أعيننا وكأنهم القطيع!!

● لكل مؤمن ببشريته وقدرته على التغيير...

لكل من يدرك أن الحياة أغلى من أن تفنى بشكل عادي كباقي البشر، وبأنها تستحق أن تُعاش بشكل فريد، وأن يترك فيها بصمة ذات أثر...

لكل من ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه، وهو ينتظر أن تُهيأ له الظروف ليشارك في كتابة التاريخ... وللأسف ظروفه تعانده لحد الآن وتأبى أن تخضع له من ذات نفسها...

لكل من ينتظر أحدا ما يهبط عليه من غامض علم الله يحرّكه ويسيّره ويوجهه إلى الطريق الصحيح... حيث لا يستطيع التحرك من تلقاء نفسه...

لكل من لايزال يحدّق ببؤس في جواز السفر لعل معجزة تدفعه ليحسم قراره بالعودة للداخل...

لكل من لايزال يحدق بجواز السفر بذات الطريقة وقد حجز تذكرة الرحيل للخارج...

لكل من لزم بيته ينتظر انتهاء كابوس الثورة لعله يخرج منها بأقل خسائر مادية ممكنة...

لكل من يكتفي بدور المراقب من بعيد، وكأنه غير معنيّ أو مسؤول عن الهدم والبناء...

الوقت يضيع.. وكل يوم يمضي من أعماركم هو أكبر خسارة، فرصيد أشخاص بمثل ظروفكم ومشكلاتكم وتعقيدات حياتكم قد فاق المتوقع بتصميمهم وبإرادتهم وعميق إيمانهم بالله...

الثورة لن تتحرّك من تلقاء نفسها... لابد لكل واحد منا أن يحركها بطاقاته وقدراته وفاعليته...

كفانا سلبيّة وصمتاً وخنوعاً وذُلاً...

تحركوا... رجاءً تحركوا....

● عند بوابة المبنى أتوقف كل يوم أمام حاجز أنشئ منذ شهرين، لم يكلّ يوماً من حينها وحتى اليوم عن طلب الهوية، وأحياناً يصعدون إلى السّلّم، ليكونوا أقرب من باب بيتنا، وحال خروج أي شخص منا يطالبونه بإبراز هويته... يحترمون المرأة فلا يدققون كثيراً فيما تحمله...

مسلحين دائماً بأسلحة خفيفة أو ثقيلة... حسب المتوفر...

اعتقلوا يوماً ابني الصغير لأنه كان يصرخ، واعتبروه من فئة الشبيحة، وأغلقوا دونه البوابة، حتى تدبرنا واسطة وأخرجناه سالماً... بعد أن سألوا السؤال المعتاد... أنت شبيح أم جيش حُر...

والجواب معروف، والوداع بكلمة يجيدون نطقها بطريقة جديّة...

تفضل الله معك...

إنهم أطفال رائعون ما بين العاشرة وما فوق... ينتسبون ضمنياً للجيش الحر، يستقبلون كل يوم يأتي بحرارة الشوق لأن يكبروا ويتمكنوا من حمل السلاح الحقيقي، والوقوف على حاجز حقيقي، يفصل الأشرار، ويحمي مدينتهم... يأسرون كل من يتمادى على الحق، ويتابعون طريق الآباء بنصر مُنتظر...

أراه في لمعة العيون، وفي الهمّة... وفي صدق الرغبة بنسف حاجز الذل، وبناء مدينة مسوّرة بالقيم... كيف لا يفعلون والله تعالى معهم!

- لا شيء في الكون يُسكنُ ألم روحي مثل سجدة أخبركَ فيها بما لم تذرفه الحروف... رُحماكَ ربّي بأمّة مقطّعة الأوصال، لا سبيل لنجاتها غير رحمتك...

ولا حول لها ولا قوة سوى إيماناً يحرّك أحباباً لكَ اصطفيتهم ليقيموا على الأرض عدالتك...

- وأنا أغلق النافذة هذه الليلة فهمت حقاً كم أنها نعمة عظيمة أن تمتلك في مسكنك نافذة ما، تُفتح وتُغلق...

ياله من اختراع عظيم!!

من رأى النازحين في الأبراج التي اضطروا للسكن فيها وهي دون إكساء، واضطروا لجلب ألواح خشبية لسد النوافذ لتقيهم حر النهار وبرد الليل... سيفهم كم هو مُرّ شعور أن تستيقظ في الصباح ولا تجد نافذة تفتحها، وترى العالم من خلالها، وتخبرهم أيضاً أنك على قيد الحياة، فتقبع في ظلمة كئيبة...

من رأى هؤلاء سترتفع معنوياته ويفهم أنهم بألف خير أمام نازحين يقطنون في أمكنة لم تتوفر فيها تلك الألواح الخشبية، فبدأ البرد يلسع أجساد صغارهم الغضة، وقطرات المطر تنهمر إلى الداخل لتتطفل على الحصير والفرش دون استئذان...

هؤلاء جميعاً بخير وترف ونعمة أمام من يسكن المخيمات...

إنه لا يمتلك نافذة... ولا جدران... ولا سقف... ولا حماية... ولا أمان....

رؤوس صغيرة بريئة تطل على العالم من نافذة وحيدة، هي نافذة الألم... داخل بقايا مدينة منكوبة...!

أحلام القطيع

• الخراف لا تحلم بأكثر من مرعى... طعام ومأوى...

فكيف ننتظر من مجتمع القطيع أن يتحرر، وأن تُنظم أموره، وينتصر، ويحتلّ الصدارة، والعلم صفر على الشّمال، والعلماء طواهم الغِياب...

اليوم بعد أن استيقظنا على الحقيقة، والمذابح، ورأينا الذلّ بأعيننا، وانتهاك كرامتنا، والقيود التي تلفّ عقولنا، والضرائب على الهواء الذي نتنفّسه... والسّوط فوق رؤوسنا... حقيقة لا مجازاً... ولا كلمات تقال في قصيدة شعر قديمة، ولا حكاية خارجة من كتب التاريخ... اليوم نرى أمة في الحضيض، يأكلها الشّتات وينخر فيها الفساد، ويقتلها الجهل والتّخلّف...

الآن باتت حاجتنا ماسّة لفهم حكم الشّرع في كل خطوة، فباتت الضرورة تقتضي البحث، والتعمق والفهم... في غياب العلماء وصمتهم وانسحابهم من الساحة..

الآن استيقظ فينا الوعي، على تعلّم السّلاح... بل على صناعته...

الثورة علمتنا أن ندافع عن أنفسنا، وقلة المال دفعتنا لإيجاد البدائل...

اليوم نستيقظ على نسبة مرعبة من الجهل والأميّة... ويستيقظ فينا وعي أكبر للإصلاح والتعليم والبدء من نقطة الصفر...

واليوم نفهم تأثير العمل وفاعليته أياً كان... فبتنا نقبل بأعمال كنا نعتبرها انتقاصاً من كرامتنا، رغم أن فيها كل الكرامة...

اليوم حصحص الحق... وآن أوان التغيير...

اقتلاع الأشواك ليس سهلاً، والسير في حقول للألغام أمر شديد الخطورة، قد يكون ثمنه حياة ذلك الإنسان صاحب الهدف والعقيدة والمبدأ... وتمهيد الأرض واستصلاحها للزراعة من أشق الأعمال، فكيف بتهيئة عقول تحجّرت بفعل الزمن والعادة، وتلوثت

من مصادر شتى، وغُيّبت عن واقعها، وتخبطت فما عادت تعرف العدو من الصديق!!
لدينا عمل كثير، ومشاريع تحتاج أن تتجاوز مرحلة المكوث في العقول أو على الورق... ورحم الله عبداً سار إلى الله بإخلاص نيّته وصالح عمله... وسار بأمته على درب الحريّة فانتشلها من الحضيض وصنع مجدها بيديه...

• كل زمان له صراعاته وحروبه، خلافاته ونزاعاته..

أمم تحاول أن تسود، أو أفراد تحاول أن تسيطر وتتسلط...
كل يتعنت برأيه، كل يظنّ أنه الأفضل...
في كل الأصعدة والمجالات.. لا نهاية لمسألة الخلافات... لكن السؤال...
من مِن هؤلاء قام للحق، وسار به في مشوار حياته؟!!
أيعقل أن يكون في زمن من الأزمنة فرداً واحداً يحمل الرسالة؟!!
أيّ ألم يحتمله قلبه، وهو يرى ويسمع، يرجو التغيير ولا أحد يتغير؟!!
إنها الاختبارات، لم تكن يوما بالكمّ ولا بالعدد، بل هي لنوع خاص جداً...
نوع إنساني موحد يتحول المؤمن الواحد من خلاله إلى أمّة...
ولنا في أبينا إبراهيم خير أسوة ومثال... «إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا»...
وزماننا هذا يشتاق لأفراد بأمّة، يعبدون الدروب، وينشرون النور، يصبرون ويصابرون، لا يعرفون الاستسلام ما دامت قلوبهم تنبض بالإيمان مهما رأوا من مشكلات، ومهما مرّوا به من أزمات...
أفراد ما كلفهم الله بشيء إلا لأنه عرف فيهم قدرتهم على التغيير، وإحداث فرق وسط مجتمع مليء بالجاهلية...
أفراد يقتلون اليأس والإحباط بسيف الإرادة والقوة والعدالة..
يشتاقون إلى الجنة ويهيج قلوبهم الحنين للقاء الله...

وكلما اشتعل ذلك الفتيل في قلوبهم حرضهم للعمل أكثر...
الحق قد اشتاق لرجاله... فهل اشتاق الرجال للحق؟!!
الأمة تنتظر....

• الغريب أن العاطفة في حكايات الحب بين ذكر وأنثى توزن عندهم بالقنطار..
وأن ذات العاطفة في حكايات الحب بين إنسان ووطنه لا توزن بدينار!
فهل القلب هو القلب؟ وهل الشعور هو الشعور؟!!
وهل يصح أن يطلق على شعور كهذا اسم الحُبّ؟!!
يتساءل مُراقبون...

• رحم الله الشيخ علي الطنطاوي حين قال:
«إن من لا يفي لربه بخمس صلوات في اليوم لا يفي لأمته بالتضحية في سبيلها»

.

.

إنه هرم الأولويات الذي يجب على كل فرد منا أن يستعرضه قبل كل خطوة... فقد تزل الأقدام بسبب مخالفة لنهج الله، وقد يصيبنا الله بعذاب من عنده إن اجترأنا على قوانينه وأحكامه تحت أي سقف أو مسمى...
ومن لا يقدس حقّ الله فكيف يقدس حق الوطن!!

• كانت تخشى عليّ من ذاك الألم اللئيم فتوصيني دائماً ألا أشرب قهوتي مُرّة في الصباح...
ليتها تراني اليوم أشرب الصباحات مُرّة دون قهوة... وأطارد ومن معي شبح الألم اللئيم الذي امتد ليطوّق وطناً بأسره..

• ثلاثة أبطال من حمص القديمة تغلبوا على الظروف الصّعبة، على الآلام، على ما نظنه نحن نهاية الطريق، واستطاعوا بإرادتهم صهر الحديد...
أولهم يقتحم المعركة ويهدّ الجدار بيد واحدة سليمة، فالأخرى كُسرت باختراق رصاصة لها...
وثانيهم يساعده... رغم أنه لا يرى إلا بعين واحدة...!
وثالثهم إعلاميّ اضطر لحمل السلاح في ظلّ الحاجة لتفعيل جهود الجميع في المعركة...
الإيمان هو الذي يجعلك تتغلب على عجزك، وتفعل المستحيل..
الإيمان هو الذي يحركك، بطاقة متجددة ومعنويات عالية، لتتابع المشوار ولو زحفاً...
ولا يجعل ذرّة من اليأس تجتاح قلبك...
الإيمان هو الذي يحوّلك إلى عملاق في غمضة عين... يُنسيك ألمك وهمومك... يطرد كل هواجس سيئة تلاحقك، يُريك النصر بعينيك... فلا تزال تقترب منه بكل ما أوتيت من همّة وعزيمة وشوق... حتى تحققه... وأنت حقاً تستحقه...!

• « إن المسلمين الأولين لم ينقلوا الإسلام إلى الأمم... ولكن نقلوا الأمم إلى الإسلام»
.ابن تيمية...

.

.

واليوم أمم بأسرها تنتظر تلك النقلة، فهل نكون من المسلمين السابقين في هذا الزمان لدحر ظلام الجاهلية؟!!

• مذهل ذلك الحس الإنساني في قلب عمر...
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنت لا أشاء أن أرى رجلا من المسلمين يُضرب إلا

رأيته فقلت: لا أحب إلا أن يصيبني ما أصاب المسلمين...
ولذلك أعلن إسلامه بين المشركين على الملأ، وقرع أبوابهم واحداً تلو الآخر، يتحداهم بإسلامه، ويقارعهم بقوة إيمانه... وينال الأذى طلباً له، ليشعر بما شعر به من سبقوه... ليعيش الحدث على الأرض لا عبر ثقب الباب ولا من برجه العاجي...
حتى عندما أجاره خاله، قال له: جوارك رُد عليك..
يقول مقالة زلزلتني...
فمازلت أضرب ويضربونني حتى أعزّ الله بنا الإسلام...

- لا تدعموهم...

إذا كانت أرواحهم بيد الله.. كفاهم ووقاهم وأعانهم وثبتهم أربعة أشهر تحت الحصار...
فهل سيضنُّ سبحانه عليهم بتدبير الأرزاق؟؟
كيف وإن طلبوها نصرة لدينه، وجهاداً في سبيله؟!!
كيف وإن أتوا الله مخلصين ناصرين لدينه؟
أولا يأتيهم هرولة؟!!
لا تقفوا إلى جانبهم...
الله حسبهم ونعم الوكيل...

- أخشى أن نتحرر من النظام على الأرض، ثم نجده يسكن عقولنا... يشل قناعاتنا... يشككنا بأنفسنا، يعيدنا عبيداً من حيث لا ندري.... فترى الواحد منا يقوم بعمل ثوري، في غرفة مغلقة، ويتلفت حوله، يظن الشبيحة سيخرجون له من سماعة الهاتف، أو نور المصباح، أو ثقب الباب، أو سلك الكهرباء، أو عبر الأقمار الصناعية، وعبر شاشة التلفاز...

وربما يظن أنه ابتلع جهاز تنصت في وجبة طعام، أو أمسك لغماً في معجون الأسنان...
وتراه يسير مرعوباً، يعتقد أن العالم كله قد كشف فعلته، وبأن المحقق من عينيه سيكشفه، فيبدأ بسرد اعترافاته، وما لم يفعله...
الخيال مطلوب... لكنه قاتل أحياناً...
والحذر واجب... على أن يبقى في نطاق المعقول... المعقول فقط!!

• بكى رفاقه السجناء يوم أخبرهم عن إطلاق سراحه، لما كان يقدمه لهم من علم شرعي، وفكر وتوعية...
كان لا ينام إلا ساعتين، يتجند بعدها للدعوة بمفهومها الواسع...
خرج إلى النور لينشر النور في عالم أوسع...
لكن خطواته الجادة على درب الفلاح أرّقتهم...
اعتقلوه مجدداً وقادوه إلى ظلمات السجون...
تألمتُ كثيراً لخبر اعتقاله... لكنني تذكرت ما كان ينشره من بِشر وإيمان وخير داخل النفوس الحزينة المتألمة في الأسر... فعلمت أن أقدار الله تسير لحكمة، وأنه تعالى أراد أن يستخدمه على ثغر عظيم، فاصطفاه لذلك...
أسأل الله تعالى له ولرفاقه يوم حرية قريب، نفك فيه الأغلال ونكسر أبواب السجون...

• قيننا بالله وبالفرج كبير.. لا نعرف الآلية ولا الكيفية.. أكثر ما نأمل به الآن أننا أفقر ما نكون إلى رحمة الله، وأقرب ما نكون إليه، وبين أيدي رحمته.. نقرع بابه بعجزنا، ونستغيث بحوله وقوّته.. وإننا على حالنا هذه لو استعنا ببشر لأعاننا.. فكيف ونحن نطرق باب الكريم العظيم؟؟ حاشاه أن يخيبنا..

- نحن صنعنا الرمز، وقدسناه، وجعلناه وثناً... وألّهناه... وعبدناه...

ولما تبيّن لنا أنه بشر كسرناه، ووبخناه ودسنا عليه بأقدامنا....
لم نفكر كم أخطأنا.. كم ابتعدنا عن حقيقة خلقنا، عن غاية وجودنا، عن إخلاصنا في توجهنا..
لم نستشعر حجم الفراغ الهائل في حياتنا، والانحراف العجيب في تفكيرنا....
اصنعوا رمزاً واهدموه.. قودوا الناس لتقديسه، وإذا زلّ أحرقوه...
هكذا تُساق الشعوب منذ قرون... وهكذا ننجرف بإرادتنا نحو الحضيض...

- « إن الله يدافع عن الذين آمنوا...».

حقيقة لا لبس فيها... وقاعد ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الأشخاص...
الله جل جلاله كفيل أن يُدافع عنّا...
شريطة أن نكون من الذين آمنوا حقاً...

- وأقول للمتخاذل... قد خذلت نفسك...

وللحاقد... حقدك يُصيبك..
وللنّاقم.. اجعلها على أعداء الله تجد أثر نقمتك..
ولليائس... ستموت بالسّكتة القلبية ولن تنل في سبيل الله غايتك..
وللمُحبط.. افعل شيئاً ينفع أمّتك..
وللمشتت.. هناك متسع لتعيد ترتيب أوراقك..
وللتّائه... دربُ الله يُرشدك..
وللضّعيف... انتحارٌ ضعفك..
وللبخيل... سيكوى بما ادخرت يوم القيامة جسدك..
وللمُخبر... انتهت دولتك..

وللجبان... اقهر خوفك تقتل عدوّك..
وللشّجاع... أقدم.. فيدُ الله معك...
ولحامل الرّاية.. لن ندعك تتركها... فأيدينا كلها معك..

• حمص القديمة...
لطالما تمنينا وحلمنا وفكرنا في فك الحصار عنكِ...
موعده، كيفيته، تبعاته ونتائجه...
ولعل الله خبأ لكِ الأفضل، واختار لكِ درب الخلاص من حيثُ لا تحتسبين...
فاثبتي، واصبري، وقاتلي... فأنتِ التي عهدناها في كل أزمة قوية شامخة...
ومين يدري... فلعلّ عدوّك سيفك عنكِ الحصار دون أن يدري...
وسيخرج أبطالكِ رافعين رايات النصر فوق جثث الظالمين وأشلائهم...

• الانتصارات الحقيقية لا تصنعها إلا الشجاعة الحقيقية.. وهذا الشجاعة لا تولد من فراغ، بل تتفجر من إيمان عميق بالله يدفع الإنسان لأن يصنع ما يشبه المعجزات...
الشجاع هو الذي يقتحم غمار الموت اقتحاماً، لا يخاف في الله لومة لائم، لا يخشى على شيء، فقد باع لله كل شيء... نفسه وماله وأهله، وهو يمضي في سبيله قُدماً بفرحة من أيقن ربح البيع، وأن الله تعالى معه ولن يخذله...
سهمه في يده، ويده ثابتة لا تتزعزع... وقلبه نابض بالإيمان... وقدماه على الأرض راسختان... لا يرعبه في الوجود شيء إلا أن يخالط عمله الرياء، أو أن تتداخل في طريقه النيات... فحيد عن سبيله... ويتحول مسار هجرته، فلا تكون خالصة لله ورسوله..
قد نرى انتصارات مؤقتة، لا تحفر عميق الأثر في حياة الأمة، لأنها لا تقوم على عقيدة الحق، ولا تصبو إليه...

وقد لا نلقي بالاً لانتصارات صغيرة، ولا نلتفت إليها، لكنها تكون كقطرة الماء التي تشق الصّخر...
كم يلزمنا من نقاء وإصرار لنبلغ هذه المرحلة، وكم علينا من العمل لتأهيل هذا النوع من الجيل!!

• لو لم يكن من فضائل معركة أحد إلا أنها عرّفتنا على وجه الهزيمة، وأذاقتنا مرارة الشعور بالخطأ لنترفع عنه، لنصلحه، لنتجاوز أنفسنا ومطامعنا الشخصية، لننسى أهواءنا.. لننفض خلافاتنا، لنتوحّد أكثر مع كل ألم، لنتلاحم مع كل خسارة، ليقول كل واحد منا لأخيه... لستَ معصوماً من الخطأ.. ولستُ أيضاً كذلك...
فتعالَ نتعلم من أخطائنا، ونعيد لمّ الشمل، ونرتب أنفسنا، وننهض لنحول هزيمتنا إلى نصر...
هلمّ إلينا... فلا وقت للوم والتقريع والخلاف على اقتسام الغنائم، ولا فائدة من معرفة أسماء أول وآخر من خالف الأوامر... مادمنا سنتحول إلى شتات...
لا فرق في الجيش الواحد بين أهل الصفوف الأولى والمتأخرين... مادام الأوائل يقارعون العدو بشجاعتهم، والأواخر يحمون ظهره...
مادام قلب الجيش ينبض بالحياة ليربطهم ببعضهم، يمدهم بالطاقة... مادامت الميمنة والميسرة تتحدان في توافق عجيب كجناحي طائر حُر يعرف مساره...
المهم أن نعرف الوجهة حقاً، وأن نحافظ على الراية مرفوعة... وأن نُقاتل في سبيل الله... فقط في سبيله...
أجل قد نخطئ... ولكن لنتعلم...
قد نُهزم.. لنفهم عيوبنا...
قد نختلف... ليفهم أحدنا الآخر أكثر...

قد سبقنا أجدادنا الأوائل لهذا، وتركوا لنا إرث الرسالة...
عار علينا أن زعزعنا الصفوف... عار علينا إن نحن سلمنا الراية أو بعناها... أو كسرنا السيوف بدعوى الخلاف...

• قد غفلت عيوننا عن المظالم، وارتضينا لسوط الجلاد أن يلسع أجساد المظلومين... ولسكّين المجرمين أن تذبح قبل كل شيء كرامتنا... وشغلتنا أموالنا وأنفسنا... وتسابقنا لمليونيات الاستغفار لنمحو عارنا... وبقينا لا نحرّك ساكناً في مواقعنا...
فلا الظلم زال، ولا السوط تمزّق ولا السّكّين انكسرت ولا الجلاد جُلد، ولا القاتل قُتل... فإلى متى نموتُ ونحن أحياء، وإلى متى نعيش ونحن أذلّة؟!!

• لا تنتابكم غُصّة الخذلان... فلو علموا عظمة الأجر الذي تُسابقون إليه لزاحموكم، ولقدّموا المال والأرواح...
الإسلام هو الأعلى، فأيُّ شيءٍ نضنُّ به عليه؟!!
وأي شيء ينفع إن أضعناه منّا ذات أنانية...!
والتضحيات العظيمة لا تقدّمها إلا النفوس العظيمة، من تُعطي بسخاء.. من تقدم كل شيء لا تطلب الشّكر ولا الجزاء...
شُعور العِزّة بالدين لا يعرفه إلا من ذاقه، ولا يستشعر حلاوته إلا من جرّبه... فإن فعل.. آثره على كلّ شيء... وإن أدمنه.. لم تطب له الحياة إلا به...
ولعل هذا ما ينقصنا... ولعل هذا ما ينعقد عليه صلاح أمرنا...

• لا تنتابكم غُصّة الخذلان... فلو علموا عظمة الأجر الذي تُسابقون إليه لزاحموكم، ولقدّموا المال والأرواح...

الإسلام هو الأغلى، فأيُّ شيءٍ نضنُّ به عليه؟!!
وأي شيء ينفع إن أضعناه منّا ذات أنانية...!
والتضحيات العظيمة لا تقدّمها إلا النفوس العظيمة، من تُعطي بسخاء.. من تقدم كل شيء لا تطلب الشّكر ولا الجزاء...
شُعور العِزّة بالدين لا يعرفه إلا من ذاقه، ولا يستشعر حلاوته إلا من جرّبه... فإن فعل.. آثره على كلّ شيء... وإن أدمنه.. لم تطب له الحياة إلا به...
ولعل هذا ما ينقصنا... ولعل هذا ما ينعقد عليه صلاح أمرنا...

حق التوكل

• معركة الحق والباطل لا ترتبط بمرحلة زمنية معينة، ولا بمكان معيّن، وليست رهناً بشخصيّات محددة، إنما هي للأمة كافة، كل على حسب دوره الذي يؤديه وعمله الذي يقوم به...

خُضنا معركتنا في بدايتها قوية، مزلزلة، هادرة بالغضب...

وقفنا مع الحق، تخلينا عن كل شيء في سبيل الله، قبلنا بكل التضحيات، مقابل نصرة دينه...

وما كان لنا اليوم أن نتخلى عن دورنا أو أن نتنازل عن الحق تحت أي مبرر كان...

مهما كانت الاختبارات قاسية، لابد وأن نثبت... وأن نسلّم أمورنا لله، متوكلين عليه.. مفوّضين أمورنا إليه... لا نعتمد في ذلك على عرب أو عجم، ولا نأمل شيئاً إلا برب البشر...

التوكل على الله لم يكن يوماً داعياً لترك العمل، بل هو في صميمه... لا ينفصل عنه أبداً...

التوكل الذي يدفع الإنسان لمحاربة الباطل وأهله، والثبات على المبادئ، والصبر على الآلام، والاستعداد للتضحية، والرضا بالمكتوب...

ولذلك كانت مكافأة المتوكلين على الله من أعظم المكافآت يوم الدين...

في الصحيحين عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

بغَيْرِ حسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بغَيْرِ حسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ»؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، ولا يكتوون، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

- سماء مدينتي أبيّة..

في عيونها دموع... تغصّ ببكاء مرير... ولا تلبث تحبسه بكبرياء...

- من فوائد الاختلاف في الآراء أنه يقود إلى البحث والتحرّي لمعرفة الحق..

ومن فوائد التشويش على الحق أنه يدفع صاحبه للتثبت والتيقن، فيتابع الطريق بإيمان أكبر وقد عرف الله أكثر، حين فتح آفاق عقله لمعرفته، فلم يغلقه هرباً من الشتات، بل فتحه للتحري، لمزيد من الثبات..
ولهذا خُلقنا..

- اليوم كانت المواجهة أكثر مباشرة مع طائرات الميغ..

الشعور الأول الذي راودني وهي تحلق على ارتفاع منخفض، ومن ثم تقصف فتهتز أركان المنزل من هول القصف..
عرفت كم أننا أقوياء، رغم أننا لا نمتلك أية أسلحة نوعية لتصطادها، أقوياء.. رغم الحصار..
أقوياء رغم أن نصف المدينة مدمّرة..
أن تأتي إلينا الطائرات قاصدة، متحدية مواجهة..

فلنعلم أننا ارتفعنا إلى مستواها..
وقبلنا التحدي..

- مخيم الزعتري..

صورة مصغّرة لوجوهنا القبيحة التي نتجاهلها ولا نبالي بها كلما نظرنا في المرآة.. لأننا مشغولون برسم الأقنعة!

- لا شيء كالكتاب...

هادئاً تحادثه ويحادثك..
تفهمه ويفهمك..
يتقبل انتقاداتك بصدر رحب..
ويفسح لك صفحة بيضاء في بدايته لتعبّر عن انطباعك الأول، ولا يعترض على تسرعك..
ويعطيك كل الهوامش لتقيم فيها ثوراتك وحروبك ومعاهدات الصلح والهدنة..
ويهبك صفحته الأخيرة بيضاء أيضاً، وكأنه يقول.. قلبي يتسع لكلماتك، مهما كنت قاسياً، سأحترم رأيك ما دمت محقاً، وإن أخطأت، فلي شرف المحاولة معك..
لا أحد كالكتاب، يربّت على كتفك عند المحن، يهبك أغلى ما لديه بوضوح، يُبين لك عن مشروع حياته دون مواربة، ولا يخجل من قناعاته، وهو يعرف ضمناً أن علاقتك به تؤسس قناعاتك..
يُتيح لك حرية الدخول والخروج والإقامة أو الهجرة إلى عالم آخر..
يودعك بحنان ويقول لك باسماً..
فتّش لك عن وطن..

وإن عجزت..
سأكون لك وطناً إن أحببت!

● حتى العقول.. باتت كحقول ألغام، لا مناطق آمنة يمكنك التجوال فيها...
لا فسيلة بوسعك أن تغرسها فيها، لأن محاولة تقليب المفاهيم وتهيئة التربة الصالحة للغرس قد يُحيلك إلا أشلاء..
ومع ذلك، لن تكلّ عن المحاولة، فالمحاولة تستحق البذل..

● حتى العقول.. باتت كحقول ألغام، لا مناطق آمنة يمكنك التجوال فيها...
لا فسيلة بوسعك أن تغرسها فيها، لأن محاولة تقليب المفاهيم وتهيئة التربة الصالحة للغرس قد يُحيلك إلا أشلاء..
ومع ذلك، لن تكلّ عن المحاولة، فالمحاولة تستحق البذل..

● وفيما كنتُ أسرد بعض السّطور أراجع فيها كتاب « هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس»..
وجدت أهل البيت التفّوا حولي وقد اجتذبتهم الكلمات كما المغناطيس وهم يقولون..
أهذا تاريخ وما نتعلمه في المدارس تاريخ؟
كأنه يتحدث عنا الآن...
كنتُ أؤمن وسأبقى.. أن في التاريخ حياة الشعوب..
وأن جزءاً كبيراً من الحلول المستعصية لمشكلاتنا كامنة فيه..
لكن بوجهه الحقيقي.. دون تغييب..
دون كذب أو زيف أو تدليس..

- كم هو غريب أننا لم نكتشف بعد الكنز الذي يحاربوننا لأجله منذ عقود!

- كل شيء يمكن أن يوضع في الثلاجة فيُحفظ، إلا العقل..

إن لم يتم استخدامه وتفعيله في كل مرحلة ووفق المعطيات والمستجدات، فإنه يُشلّ مهما كان كبيراً وناضجاً.. وقد يموت إلى الأبد!!
رسالة إلى كل من يؤجل عقله وعلمه إلى المرحلة المقبلة وينسى أهمية هذه المرحلة..

- ظلالهم في كل مكان...

نميزها عن باقي البشر..
لأنها على العكس تماماً..
ظلالنا قاتمة، وظلال الشّهداء حولنا تملأ الأرض مساحات من نُـــور..

- مرحلة البناء الهادئ الحر الواعي آتية بإذن الله..

لكنها لن تأتِ إلا على أيدي أشخاص صقلتهم المحن، وبذلوا الروح والغالي والنفيس في سبيل الله، أشخاص لم يضيعوا أوقاتهم في الترقب والانتظار، بل جعلوا من كل دقيقة خطوة إلى الله..
أسسوا ليوم التمكين في اللحظات القاسية والعصيبة، وقدموا الدماء لتكون كلمة الله هي العليا..
البناء الحقيقي، الذي عُجن بمعاناة الشعب وهمومهم، واقتبس من صبرهم وتضحياتهم مشكاة تضيء، و أضفى عليها من العلم والإيمان ما يقويه ويثبته.. لا يضنّ فيه أحد بعلم، ولا يتعالى على أهل المعاصي والذنوب، ولا يفقد الأمل من المتشبثين بآرائهم، الذين لا يجدون على الأرض من خير سواهم، بل يحاول ويتعب وينصح ويوجه، محتسباً ذلك كله عند الله.. متحرياً التقوى، متحريا تحقيق الرضوان..

{ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

• مطلوب متطوعين يتجندون لتحقيق معنى..
« فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم»
ومن امتثل لأمر..
« وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين»
نبذ النزاع، ولان قلبه للصلح والإصلاح..
ومادامت القلوب قد اجتمعت على الطاعة، فلن يفرقها حب الدنيا ولا هوى النفس ولا كيد شياطين الجن والإنس..

• والقلب آلة بلا معنى، إن لم يُضخّ الضوء داخلها عبر آياته..
والعقل تعاريج بلا معنى، إن لم يبث في كل خلية فيه طيب معانيه..
والروح كقطعة قماش خلقة، لا يحييها إلا « الكتاب»!!

• كل إنسان منا يعيش داخل قوقعة خاصة مغلقة، ليس بالضرورة أن تكون قبيحة، بل على العكس، إنها تتبدى لنا في أبهى صورة، لتخدعنا، لتشدّنا إليها كلما حاولنا أن نفتح الباب، ونطلّ على الخارج...
قوقعتنا قد تسرد لنا كل يوم، وقبل النوم حكايات مخيفة عن الخارج، عن الوحوش والغيلان، والعقارب والذئاب، عن الناس السيئين الذين ينتظرون خطوتنا الأولى ليقضوا علينا...
وهي تبتسم بارتياح كلما حشرنا أنفسنا داخلها أكثر.. حتى وإن كبرنا.. فهي توهمنا أن المكان مُتّسع...

بداعي الحب الأناني، والخوف المرضي، بداعي قيود العادات والتقاليد، والأفكار البالية..

بداعي الخوف من التجربة، والخوف من الفشل، والخوف من الجديد أيا كان..

أشخاص كثر ولدوا وماتوا داخل القوقعة..

وأشخاص كسروا حاجز الوهم، واكتسبوا التجارب والخبرات، بنوا نجاحاتهم من الأخطاء والفشل المتكرر، صقلوا شخصياتهم وخبراتهم من الاحتكاك بالناس..

خرجوا بالمبادئ والقيم، لتُطبّق على الأرض، كما أراد الله لها أن تكون، لا كي تموت هي الأخرى في قلب إنسان واحد كتمها عن العالم الذي يحتاج إليها، وحرمها من أن تتطور إذا ما خالطت النور...

البداية دائماً في الخروج من القوقعة، في عدم الاكتفاء بالنظر إلى العالم من ثقب صغير أو حتى من نافذة...

ليس المطلوب أن تنفصل تماماً عن قوقعتك، بإمكانك حملها والتجوال بها لتحتمي بها من العواصف، لتراجع فيها أفكارك، لتنقل إليها كل جديد فتغدو مختبراً لأبحاثك واستنتاجاتك... لتخبرها أنها وطن جميل ستبقى تحمل له الحب والامتنان، لكن العمل على الأرض وطن أجمل وأرحب..

• كل الثروات في الوطن تمّ إهدارها، نهبها، تبديدها، سرقتها، تدميرها..

وبقي الإنسان..

ثروة كامنة، وطاقة خلاقة، وقوّة متجددة...

لكنّها لم تُستغل بالشكل الصحيح بعد!!

• وللحزن أجنحة تمتد في ظلام الليل فوق المدينة مثل سماء ثانية.. يحاول طيّها عبثاً،

فيمزجها في ظلمة الليل يموهها بالسّواد، ويفكّر ملياً أن لونها الأصيل المتجذر فيها سوف يمزج بالضياء، وستنبت في أجنحته المعتمة نجومٌ متلألئة تزين صفحة السماء..
ويراقبُ قلب المدينة ينبض مصرّاً على الحياة، فيحكي حكايته الصغيرة للساهرين على الوجع حتى ينقضي الليل ويرحل وهم نيام.. عسى تتسلل عبرها عند الفجر بواعثُ نور، تكفكف دمع الليلة الثكلى، فيفتر ثغرها عن بسمة تشفي الجراح وتداوي الألم..

• زمن انتظار النصر حرام أن ينقضي بالترقب والثرثرة، فالشهور التي مضت لو استُغلّت كما يجب، لتم تجاوز المشكلات عوضاً عن تراكمها، ولبنينا النفوس فلم ندعها عرضة للتلوث والتشوّه، ولاستطعنا لم الشمل بالتذكير وبالموعظة الحسنة فاحتوينا الوجع لنداويه، فلا نسمح لجرح أن يتسع فيهدد أن يصيب بمقتل...
عدّاد الأيام يمضي، وواهم من اعتقد أن أحدا يعرف متى يسقط النظام، وإن سقط فمتى تُكفّ يد الظالمين... والأمة التي لم تُهيّأ وهي في الشّدّة للنهوض، لن تتحرك في الأمن والرّخاء... واللبيب من الإشارة يفهم...

• تأخير النصر، وزيادة التعذيب والتنكيل والجور، غفلة العالم، اشتداد الألم والقيود.. كلها عوامل تصقلنا، تعلمنا الصبر، تقوّينا لنستطيع مواجهة القادم مهما كانت درجة صعوبته، تؤهلنا لمرحلة فريدة لا يستطيع القيام بها إلا الرجال بحق، الذين يؤمنون بالله تعالى وحده حق الإيمان، ويتوكلون عليه وحده حق التوكل، ويتعبدونه بفضائل الأعمال، ونبيل الخصال، فيحتملون المشاق في سبيله، ويخلصون النوايا ويتوجّهون إليه بكل صالح طيّب..
وهم أبداً لا يكتفون بالمتابعة بذات الأدوات التي بدأت ثورتهم بها، بل يعملون على التطوير والتحسين والتنظيم ما استطاعوا إليه سبيلاً...

يفتشون عن صلاح الأمة، لا عن رغبات فردية، وأهواء نفس، وانتصارات صغيرة مؤقتة...

هم يعملون بنفوس تواقة للمعالي، وهمّهم أن يملأ عدل الله الآفاق، ويشعّ نوره على العالمين، وأن يسهموا بذلك فيقابلونه وقد أدّوا ما عليهم...

زمن انتظار النصر حرام أن ينقضي بالترقب والثرثرة، فالشهور التي مضت لو استُغلّت كما يجب، لتم تجاوز المشكلات عوضاً عن تراكمها، ولبنينا النفوس فلم ندعها عرضة للتلوث والتشوّه، ولاستطعنا لم الشمل بالتذكير وبالموعظة الحسنة فاحتوينا الوجع لنداويه، فلا نسمح لجرح أن يتسع فيهدد أن يصيب بمقتل...

عدّاد الأيام يمضي، وواهم من اعتقد أن أحدا يعرف متى يسقط النظام، وإن سقط فمتى تُكفّ يد الظالمين... والأمة التي لم تُهيّأ وهي في الشّدّة للنهوض، لن تتحرك في الأمن والرّخاء... واللبيب من الإشارة يفهم...

- ومع كل ليلة قصف أدرك روعة الصمود والثبات لشعب أبي لا ينام الليل وهو يخطط لصناعة الغد المشرق..

المدينة تُهدُّ من ناحية، وأساساتها تُبنى من كلّ ناحية، ولا ينهار فيها إلا عرش الظالمين...

كذبوا حين قالوا قد انهارت مبانينا...

أيّ شيء تعني أكوام الحجارة أمام إنسان يُبنى، عملاق يُصنع على عين الله..

ولعلهم أدركوا قوّة هذا الإنسان فحاربوا الأطفال بالدبابات، وهاجموا الشيوخ بالقذائف والصواريخ، وقاتلوا الشباب بالمروحيات..

وتفجرت الدبابات، وسقطت المروحيات...

ونحن ههنا باقون... وسنبقى..

• أن تكون في مواجهة يوميّة مع الموت فهذا يجعلك ضمن أمرين..
- أن تفقد الشعور بشكل تدريجي، ويصبح أمراً معتاداً رؤية الدماء والجثث، ولا تأبه أنت، بل تنشغل في مشكلاتك الصّغيرة، وقضاياك اليومية، الطعام واللباس والمأوى وقليل من التسلية والمرح وشيء من الرفاهية التي تعتبرها انتصارات في هذا الوقت.. وغالباً ما تغمض عينيك كل ليلة سعيداً أن سوءاً لم يمسّك بعد، وأنك ومن حولك بخير أي أنكم لم تموتوا بعد!..
- أو أن تكون ضمن من يتحرّكون لإنقاذ الضحايا، ودفن الشهداء، وغرس غصن فوق كل قبر، والعمل على شلّ اليد التي تقتل وتدمّر.. حينها تكون أكثر احتكاكاً بالموت، وأكثر مواجهة للخطر، أكثر تحدّياً وقوّة وشجاعة وإقداماً.. لأنك تعرف أن الوقت الذي يستغرقه سواك في الترقب والانتظار، والنوم مللاً وبؤساً ويأساً... بإمكانك أن تصنع فيه حياة، وتغيّر التاريخ...
مادام الموعد مع الموت واحد لا يتغيّر، لِمَ لا نقابله برؤوس مرفوعة، بنفوس عزيزة، بقلوب مؤمنة، وهمم لا تكل حتى اللحظة الأخيرة؟!

• عمر بن الخطاب قضى على زمن العبيد في عهده، وأعلنها حُرّيّة حقة!
افتداهم ودفع تعويضاً لكل من كانوا يمتلكونهم... ففكّ أغلال الجاهلية والعبودية للبشر، بسماحة الإسلام وعدالته..
«فكّ رقبة» تمّت بأروع صيغة حضارية شهدها التاريخ في العهد العمري..
واليوم هناك عقولٌ أسيرة، عقولٌ مُستعبدة...
فكّها قد يكون بجهدك أنت، بقليل من المال تدفعه لتحرر عقلاً عبر كتاب وفكر ومعرفة، عبر آية تُبلّغها ليعيها الناس، فلا تُحفظ
لتُردد دون فهم، دون أن تصل إلى الوعي والتطبيق..

العبودية في زماننا أصبحت أصعب، أعم، أشمل لأنها تتخذ وجوهاً كثيرة.. أغلالها ثقيلة..

لكن مفاتيح الأغلال في أيدينا...

لن يأتي فارس من كتب التاريخ ليحررها، الفارس موجود في داخل كل شخص منا..

عبيدٌ كثر ينتظرون التكريم الحقيقي للإنسان.. فلم لا يكون هذا التكريم عبرك، وعن طريقك؟!!

● مُرعبٌ هو الإصلاح، لا يمكن أن تخطو في طريقه خطوة، ولا أن ترفع له شعاراً، ولا أن تأمر الناس فيه، قبل أن تبدأ بنفسك!

عظيمٌ هو التّغيير الذي تلمسه في كل أصحاب الهدف... شكلاً ومضموناً.. قولاً وعملاً.. حتى يقف المرء بكل الصدق الذي يملكه في مواجهة آية، فلا يملك أن يحتال أو أن يوارب أو يتنصل من المسؤولية...

لا يملك وقد عزم على ما عزم عليه من إصلاح الأمة إلا أن يقولها بكل ذرّة في كيانه.. سمعنا وأطعنا..

● الحماس وحده لا يُسقط أنظمة، ولا يحلّ أزمة، ولا يبني أمّة...

والتّواكل على شخص بعينه أو جماعة بعينها لاجتياز العوائق وتحقيق النصر أمر لا يوجد إلا في الخيال..

مع كلّ خطوة، لكل شخص منا مهمة ووظيفة ليست لغيره أبداً..

أجل نفرح ونحن نجد من يعيننا على العبور، لكننا نتابع في مشروعاتنا، ومهامنا، نواصل القيام بأدوارنا، ونرجو الله أن نثبت جميعا على الحق، حتى نلتقي في النهاية على نصر حقيقي غير وهمي، حتى نتيقن أننا نسير على أرض صلبة، وبإمكاننا أن نُعلي عليها صروح المجد..

• مشكلتنا رغم اختلافاتنا ونزاعاتنا وفرقتنا، أننا جميعاً نعرف أن الدواء واحد، وأننا نفهم العلّة تماماً، وندرك كيف يكون العلاج ومراحله، ومع ذلك نكتفي بتعميم الوصفة والتحدّث عن أهميتها، وكيف سيعود الجسد سليماً بها..
لكننا في النهاية لا نتناولها!

• وفيما تمضي مع القافلة، لابد وأن تعتاد على العوائق في الطريق، وعُطل طارئ في العجلات، والسير حافياً في البراري حين تتحول الأرض إلى لهيب، واجتياز الأنهار في الليالي الباردة حتى تغدو كقطعة من جليد.
لابد أن تتعلم كيف يكون الثبات كحصن في وجه العاصفة، وأن تتوقع خنجراً يُغرز في خاصرتك من شبح ارتدى زيّ صديق.. وأن تتوقع هجوماً مباغتاً من قطّاع الطريق، وأن تفقد على الطريق أغلى صديق..

لابد وأن ينفد الزّاد فتمضي الليالي على كسرات خبز، أو تمرض فتجوب القفار فلا تجد الدواء..
وأن تتشاجر في البرد مع الشمعة لأنها لم تتحول إلى جمرة تدفئ، ومع السّراب لأنه لم يتحوّل إلى ماء...
في الطريق لابد وأن ترسم على وجهك ابتسامة ثقة لتُطمئن بها مَن حولك إذا ما هاجمكم قطيع من الذّئاب...
وعلى طول المسافة الواصلة بينك وبين هدفك، وفيما أنت تواصل التقدم ستنعش روحك المُتعبة بزادك اليومي من القرآن، لينسيك الخوف والألم، والحزن وفكرة التراجع أو الندم...

وستدندن أنشودة تعشقها كلما انتابتك وحشة المسافر، والشّوق إلى الوطن الأبدي؛ لتُنسيك صوت نباح الكلاب الذي لن يتوقف أبداً طالما أنت تسير..
وفي رعاية الله ستبقى تسير..

• هرموا واشتعلت رؤوسهم شيباً.. ومفاتيح بيوتهم لازالت بين أيديهم، والإصرار على العودة كل يوم يزداد أكثر...
ما فقدوا الأمل لحظة..
كلما هاج الشوق في نفسهم للأرض أخرجوا المفتاح، ليروا فيه لون سماء الوطن، وليسمعوا ضحكات الطفولة تجوب بين كروم العنب وأشجار الزيتون..
جلّ أمنياتهم أن يجدوا لهم قبراً هناك...
اليوم نحن في قلب الوطن.. مفتاح البقاء فيه أو التخلي عنه بأيدينا، النجاح أو الهزيمة في معركة الحق والباطل قرارنا وحدنا...
الرجوع إليه أو مغادرته.. مسح جراحه أو فتحها، مداواته أو التسبب بمضاعفات له، بث روح الحياة أو الموت فيه، الاستسلام أو القتال حتى النهاية ملكنا أيضاً وحدنا...
أغلى النجاحات أن نحقق جزءاً من النصر ونورثه لمن بعدنا...
وأقلّها أن نحصل على القبر الذي نتمناه في أرضنا...
ذاك والله كنز لا يعرفه إلا من حُرم منه..
واسألوا الفلسطيني يجيب...

• الأفضلية في أعمال الثورة حسب الحاجة والضرورة، وعلى الشباب أن يعرفوا الجهة التي تتطلب منهم بذل العمل والجهد لكفايتها، ويتصرفوا وفقاً لذلك..
ليس منطقياً على سبيل المثال أن يعمل جيش من الشباب في الإغاثة، في الحين الذي

تتطلب فيه جبهات القتال سد الثغور دون أن يجدوا من يلبي النداء، أو أن يحمل الطبيب سلاحه، في الحين الذي تزداد الحاجة إلحاحاً لمسعف ميداني فضلاً عن طبيب!

ولا أن تُغطى جوانب الثورة ويُغفل عن السياسة تثقيفا وتعليماً وفاعلية بين أهل القدرة والإمكانية... ولا أن يوجه شيخ الناس في أمور الجن والمس والسحر، ويترك الثوار يسألون عن أحكام وفتاوى في الجهاد ولا يجدون من مجيب!

ولهذه الأعمال عموما تدرجات في الأهمية، حسب الوضع والحاجة، يدركها المرء وفق الظروف والمكان والزمان..

حين تستطيع الأمة أن تميّز، وتقدّم الأولويات، وتغطيها بالشكل الصحيح، متحرية الإتقان والإحسان في العمل، عندها يمكننا أن نقول بأننا نسير خطوة إلى الأمام..

• كل شيء في سورية كان من قبل فرض كفاية...

السياسة والقتال والإغاثة وطلب العلم والتعليم والطبابة والإسعاف...

اليوم وفي غياب كم هائل من الكوادر البشرية باتت هذه الأمور فروض أعيان..

ثغرات مفتوحة، ومعاناة تمتد، في ظل التقاعس والسلبية والخذلان..

ولا زال الناس يتعاملون معها من باب التفضّل والاستحباب...!!

• حقائب سفرنا لم تعد تتسع لوصايانا... جنى أعمارنا.. شيء من الأفكار، والرسائل، وسلسلة لا متناهية من الطلبات التي يضيق بنا الوقت حتى ننتهي منها..

نكتبها، نرتبها، نخفيها، نخرجها، نغسلها، نكويها، نلفّها مثل الكفن، نودعها ولا نلبث نشتاق إليها، فنخرجها مع الحقائب، ثم نخفيها، ونعاود الكَرّة، وتنتابنا فكرة، فنضيفها على عجالة داخل الحقيبة، ونتقلب على فراش الهم، هل اكتملت، هل وصلت، هل تحتاج إلى زيادة أو حذف، وهل نحتاج في لغتنا إلى تبسيط أو تفخيم؟ وهل يصحّ لنا أن نكتبها

بغير الحبر السّرّي حتى نحملها أينما ذهبنا بأمان، ولا يقرأها جندي الحاجز الأمّيّ، ولا يلمحها القنّاص فيصوّب إليها رصاصة الخلاص فتستشهد الوصايا قبل أن نحفظها، فلا سبيل حينها لأن نبكيها أو نثكلها، أو ننعيها، فقد أودعنا كل آمالنا فيها..

وصايانا هي ملخص الأعمار، فلأي شيء نتعب أرواحنا ونحن نرعاها، في الحين الذي يفترض فيه أن ننفذها قبل أن نكتبها، ونطبق أغلى ما نتمناه فيها، لتُحفظ وعين الله ترعاها..

قصص حياة

• قلّبوا كتب التّاريخ وابحثوا عن أنفسكم في شخصيات عاشت في ظروف كمثل هذه التي تعيشونها، لكنها أبت أن تستلم فصنعت من المأساة نصراً...
لا فرق أبداً بين البشر، كلنا نولد متشابهين، ونحمل ذات الصّفات، كلنا نعيش في أزمات، تُباغتنا الحروب على حين غرّة، أو تصفعنا بعض المآسي لتختبرنا، لتصقلنا، لتخرج أثمن ما لدينا، فتقدمه للأمة.. فمنّا من يصبحون أبطالاً عرفوا ذلك أم لم يعرفوا... ومنا من يحيا ويموت مهملاً بائساً خائفاً ناقماً على كل شيء إلا على نفسه..
فتّشوا عن الماس في قلوبكم، ولا تقبلوا أن تظلّ مسودّة جامدة لا ضوء فيها ولا شعاع ولا قيمة.. مجرد قطع فحم حجريّ بلا فائدة... ابذلوا من الجهد أضعافاً، وخذوا بأيدي بعضكم، انهضوا معاً، عيشوا الحياة بابتسامة، استمتعوا بكلّ لحظة تشهدون فيها ولادة أمّة قد وضعتم أيديكم في إنقاذها، احمدوا الله كثيراً أنكم أولاد هذا الحاضر المُتعب، ولستم أولاد زمن الكسل والجمود وضياع الهوية وفُقدان الوجهة..
كونوا كالنجوم، ماسات تضيء سماء الأمّة، وقبل أن تحملوا الراية في أيديكم احملوها في قلوبكم، وقبل أن تقيموا شرع الله في أرضه أقيموه في أنفسكم.. اشحنوا أنفسكم كلّما كلّت بالقرآن، طهّروا جوارحكم بحسن التطبيق، ولتكن بين صلاة الخوف والرجاء، صلاة شكر، أو سجدة شُكر لله، لأنه اختاركم دوناً عن البشر ليستعملكم عنده، ليقرّبكم منه، ليعلي درجاتكم في جنّاته.. وليكن بينكم وبينه تعالى مناجاة دائمة لا تنقطع...
ولتكن حياتكم قصّة حب ولكن.. من نوع فريد...

• اليوم شيّعوا خمسة جثامين في نعش واحد..
لم تكن جثامين حقاً، بل أشلاء أطفال ممزقة في أكياس..

يوماً بعد يوم نتخفّف من أثقالنا، ولا تحتضنا أو تحتوي أوجاعنا، وبراءة طفولنا، وطهر أجسادنا إلا أمّنا الأرض!

• أؤمن أن الله أعظم من مكرهم وإن كان على أرفع المستويات، وإن جُنّدت له العقول، وكرّست له جيوش من الأعداء.. ويد الله فوق أيديهم مهما تطاولت علينا فهو ناصر أمّته ولو بعد حين..

وأن الخير في الأمة باق إلى يوم القيامة مهما ساءت أحوالها، لا تلبث تنفض عنها الرماد لتُظهر أصالتها من جديد..

وأن قابلية الشعب للإصلاح والخير كبيرة..

وأن مرضنا هو في الركون إلى الأرض، للكسل والدعة، وفي يأسنا من الخلائق ومن قدرتنا على التغيير.. وأن العلاج بأيدينا، وخيار استعماله أو تجاهله والحكم بالموت أو المرض مدى الحياة بأيدينا أيضاً... وبأن النصر قادم على أيدينا.. أو يستبدل الله قوماً غيرنا ولا يكونون أمثالنا...

ولذلك ففصل النهاية لا يُقرأ في وسط السّباق...

على قدر همّتنا وجهدنا فيه نكون أو لا نكون..

• ومازالت تلك الثغرة في غيابكِ تتسع.. وتتسع... لا أحد يملؤها سواكِ.. أعتذرُ من كلّ مَن يسألني عنكِ.. وأغصّ بعبارة.. « لا جديد»..

تخرج الحروف منّي عنوة، وأنا التي اكتشفت اليوم أن للحروف إذا ما غادرتنا أشواكاً تطعن... وأنا التي ما عدتُ أدري في أيّ عالم الآن أنتِ...!

لا يواسيني إلا يقيني بأن الله معكِ حيثُ أنتِ... وبأنكِ الآن في نعيم...

أوليس الأجر على قدر المشقّة؟! فكيف بمن نذرت كل جوارحها في سبيل الله...

حتى سويعات الليل التي تزورك بعد نهار حافل بالعمل الشّاق... لم تكن بالنسبة لكِ إلا هموماً تؤرّقكِ، وأنت تسألين بإلحاح.. ماذا فعلت لنصرة الإسلام؟!!
سامحيني.. أقولها...
اشتقت كثيراً إليكِ...

• حتى اللحظة هنالك عائلات تقطن في هياكل بيوت بلا نوافذ ولا أبواب، في البرد القارس، في الحظائر والأبراج العالية التي لا يحتمل البرد فيها صيفاً فكيف بهم وبأطفالهم الصغار في الشتاء؟!!
إن ماتوا برداً فبرقبة مَن أيها العالم؟!!

• كلنا نتحمّس للنقاش ووضع الحلول بما يتعلق بالقشور...
أما إذا تعلق الأمر بالعمق.. بالأساس، فإننا غالباً لا نجد أحداً..
لأن الأمر جدّ مُتعب للعقل والقلب والجسد...

• علّمتني الثورة ألا أُفرط بالتفاؤل كثيراً، وأن أتسلّح بالحذر، وأن أتابع السّير بمبادئي حتى لو تخلى عني كل البشر...

• كأني بالسطر الأخير في حياة الشهداء قد خُط بحروف من نور فكُتب فيه...
استشهد وهو يَغرس الفسيلة!!

• لم أر مثله منذ بداية الثورة... عملاً وجديّة وإخلاصاً...
المثير للتأمل أنه قالها بصراحة...
أنا لست واثقاً بالثورة، لكنني واثق بالله...

وثقته بالله هي التي دفعته بشكل آلي لنصرة المظلومين، ورزقته الإيمان للمتابعة فإن التبست على الناس أمور، فثقته بالله كانت الفجر الذي يضيء طريقه...

ليس غريباً أن يرتقي شهيداً...

ياه كم أغبطه!!...

• ما أكثر المواقف التي نتعرّض لها تُذكرنا بأبينا إبراهيم، حين أرّقته الحيرة، فأخذ يقلّب نظره في السّماء وهو يقول: « لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين».

بكثير من التعب والإرهاق الفكري في البحث عن الحق، عن الأصوب، عن الأسلم، عن الدرب الذي يوصل إلى الجنّة، تبقى قلوبنا معلقة بحبائل الرحمة.. فنسأل الله الحكمة والصواب والسداد، وكلنا يقين أن من أوصلنا إلى بداية الطريق لن يضيعنا في أوسطه أو آخره مادمنا في كل خطوة معه..

• جدّد إيمانك بالعمل، واشحذ عقلك بالتفكّر والتّدبر، فإنه يُخشى عليك أن تموت فاقداً لصلاحيتك، بافتقارك للإصلاح، فُتلقى في القبر كما تُلقى الأشياء المهملة وتُردم على هامش الحياة..

• «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى»

عمق الإيمان بالله سبيل إلى عمق الهداية، وعمق فهم حقيقة الرسالة وثقلها إنها الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها...

وكلما عمق الإيمان في القلب، وازداد الإحساس بالهم.. بالمسؤولية، احتاج الإنسان لأن يربط الله تعالى على قلبه، أن يثبّته فلا يتزلزل أو يتزعزع، أو يُحبط أو يصاب بيأس إذا شعر للحظة أنه غير قادر على مواصلة الطريق.... أو أن يُقتل همّاً..

وهنا تأتي عناية الله لتثبت المؤمنين وتحفظهم، لتدفعهم وتعينهم على النجاح عند الامتحان... بإيمانهم الحق، بما حملوه على عاتقهم من نشر رسالة الله في الأرض...» وربطنا على قلوبهم»

• من استطاع القدوم إلى سورية نصرة للحق، ووقوفاً في وجه الظُلم، وتأدية لواجب الدين والوطن والإنسانية فليفعل...

ومن عجز عن ذلك، فنُحمّله أمانة بناء وإعداد النفس وكلّ من حوله الإعداد الفكري والعلمي اللازم ليكون درعاً في وجه العاصفة التي لن تتوقف عن الهبوب، فلنُثبّت بعضنا في وجهها، و لنرسّخ نحن القاعدة والجذور لجيل النصر الذي قد لا يهمنا أن نعايشه بقدر ما يهمنا أن نضع بصمة خير فيه لعلنا نساهم ولو بأقل القليل في أن نُعيد لأمتنا العزّة، وننتشلها من ظلمات الجهالة والضعف والاستسلام..

لا أحتمل قراءة خواطركم عن العجز، وعدم القدرة على فعل شيء للثورة سوى الدعاء والبكاء...

ساهموا في بناء أغلى ما خلق الله على الأرض، واجعلوا من تبرعاتكم التي تجمعون نصيباً للتعليم والنهضة الفكرية الصحيحة، وغرس لا إله إلا الله في النفوس لتنشأ عليها، وتأبى الزلل عنها، فهي التجارة الرابحة بإذن الله..

• ويلٌ لأمة لا تعرف عن جذورها إلا القشور، ولا عن حاضرها إلا العجز، ولا عن مُستقبلها إلا الأماني..

• تؤمر بالحجاب ولا تدري لم تضعه على رأسها فلا تلبث تتمرد عليه فتخلعه لأنها لم تُربّى عليه، ويؤمر بالصلاة وما عرف لم يُصلّي ولمن يصلي، فيصليها أمامهم ويتركها في

الخفاء لأنه لم ينشأ عليها. ويعلمونهم القرآن، وما فهموا معانيه، ولا استوعبوا مبادئه، فلا يعدو أن يخرج من ألسنتهم، فلا يحرك عقولهم ولا يصل إلى قلوبهم..
ويؤمرون بتطبيق الشريعة قبل أن يعرفوا ما الشريعة، وكيف تطبّق..!!

• عمّقوا الإيمان بالله، وعلموهم معنى لا إله إلا الله، والله أكبر، وهي لله، ولبيك يا الله... اجعلوها تخرج من صميم الفهم والاعتقاد لتصنع ثورة التغيير في النفوس... وستجدون الشريعة تُطبق تلقائياً في المجتمع، صحيحة نقية، راسخة قوية، من صميم إيمان الناس بدينهم، وسعيهم لابتغاء وجه ربهم، لا ركوباً للموجة، أو لإرضاء أحد من البشر..

• إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ{١} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً{٢} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً{٣}
أُمرنا بالاستغفار بعد كُلّ انتصار...
حين تكونُ المعنويّات في القمّة، وشعورُ الإنسان بالقوّة غلّاب..
حين يظن المرء أنه امتلك الدنيا، وسهلت في عينيه الصّعاب، فتقدم نحو الفَتح، وقتل من الأعداء وأسر..
لم يُشرع في القتال التشفّي ، أو الشّماتة، فالهمّ بالإسلام مع النصر حفظ قلب المؤمن من الكِبر والغرور، لئلا يصبه الدّنس...
ولذلك كان الأمر بالتسبيح والاستغفار، تماماً كما نستغفر بعد العبادات العظيمة، وبعد أن نتطهر تماماً من الخطايا والذنوب...
كمن عادوا من الحج، يفيضون من حيث أفاض الناس، وأيضاً يؤمرون بالتواضع لله والاستغفار له...
« ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

• مشكلتي لم تعد مع النظام، ولا مع الأسد.. ولا مع أمريكا أو الغرب...
مشكلتي معنا : « نَـحـن»..
الذين سمحنا للنصر أن يتأخر، وللتغيير ألا يحصل..
لأننا لم نُغير أو حتى نُفكّر بالتغيير من أنفسنا..

• ليست كل المصائب هي الموت، وليس كل الموت لحد وكفن...

• طريقة عرض الفكرة وتسويقها لا تقل أهمية عن الفكرة نفسها، بل أهم، لأن سوء العرض قد يُنفّر منها على قوتها وصحّتها وفاعليتها، وقد يجعلها تموت إلى الأبد..

• علينا في رحلة التوعية والجهاد ألا نجعل سقف أهدافنا رفع الجاهلية عن الناس لنأمن شرور جهالتهم، بل تأسيس جيل فريد من العلماء والقادة يبني المستقبل.. ولهذا الهدف لابد من أن نكرس الجهود ونشحذ الهمم ونبادر بالتطبيق والعمل..
نُفوسنا كنفس جدنا عمر بن عبد العزيز ستبقى تواقة للمعالي، وسنظل نحسن الظن بربّنا...

• لم أفتح البلاد بسيفي وإنما برأي القاضي الفاضل..
قالها صلاح الدين الأيوبي، القائد الذي فهم أن القيادة حكمة، واستشارة لوزرائه وأعوانه، وتحرّ للحق من أهله، وأخذ بالعلم والرأي والخبرة... وهو الفقيه الخلوق العابد..
هذا سرّ الفاتحين وزوادتهم، وهي أبعد ما تكون عن طعام أو كساء أو جعبة، أوعلبة ذخيرة!!

• لن يستقيم بناء الأمة الإسلامية إلا ببناء الفرد المُسلم، وقد ساعدتنا الثورة في هدم الجُدر المائلة التي أسست كثيراً من المفاهيم الخاطئة، والآن الأمة بحاجة لبُناة يتقنون العمل، ويقيمون البنيان على أسس الخير والتقوى..

• شرك لفكرة صحيحة في مجتمع فاسد بداية التّغيير...
ولكن انتبه، فالنشر بالكلام لا يتعدى أسوار الحروف، ويوصلها عصيّة على الفهم..
لابد أن تطبقها بشكل عملي لتُفهم وتنتشر..
ولذلك، كُن أنت الفكرة الصحيحة المُضيئة في ظلمات واقع أقرب ما يكون إلى زمن الجاهلية..
كُن أنت بداية التّغيير..

• ثورتنا سائرة وعين الله ترعاها، على قدر ما محّصت من بشر، وأسقطت من رموز، فقد بَنَت للطّيب الخفيّ الأصيل، الطاهر النّقيّ..
ثورتنا الناس فيها معادن أيضاً، يسقط الزائف، ويبقى الأصيل أصيلاً، ويتفاضلون عند الله بالتّقوى..

• أشق الأعمال.. العمل للثورة، ليس لأنك تقوم به خائفاً تترقب، ولا لأنه ينهك القلب والعقل والجسد..
ولكن لأنه مع ذلك كله؛ يضعك في الميزان، وتنال عقوبتك بالحرمان... فإن اختل، أقعدت والناس حولك يعملون.. أو خالجك يأس وهنت فأوهنت، أو اغتررت فضيّعت جهدك، وأنت تحسب أنك تُحسن صُنعاً...

• تعلمنا من الإعلام أسوأ عاداته..
بتنا نصنع عبره أوثاناً نقدّسها، فإن حدث وزلّت رجمناها بحجارة الكلمات..
عشنا طوال زمن الثورة طعماً للإعلام، ولم نتعلم بعد كيف نديره، وكيف نوجهه، وكيف نصنع المصداقية فيه.. وكيف نوصل رسالتنا الحقيقية عبره بوضوح وشفافية..
حاربنا النظام بالقتل، وقتلنا بعضنا بحرب الشائعات..
تخبطنا كثيراً وتاهت بنا السبل..
وما كانت الثقافة لتنقصنا ولا الشجاعة ولا العلم..
آن لنا أن نتغير، أن نتلمس أخطاءنا، وأن نتبصر طريقنا فلا نسمح لأحد أن يستخدمنا وفق مطامعه، وأن يُغرّر بنا..

• يكذب كاتب التاريخ إن ادّعى أن أبطاله ملائكة..
.
.
هم أبطال حقاً..
ولكنهم بشر يخطئون..

• تذكر أيّها الحمصي أنهم قد يهدموا مدينتك، قد يقتلوا أهلك، قد يمثّلوا بجثّة أخيك، قد يحاصروك أو يجوّعوك، أو يحرموك النوم بسبب البرد، قد يلاحقوك ويتربصوا بك في كل مكان، لكنهم في أي حال من الأحوال لن يستطيعوا هزيمتك، إلا إذا استطاعوا ملء قلبك الأبيض الطيب بالحقد، وبنوا فيه مدائن اليأس والشّك والكراهية لإخوانك، وأغرقوك في الشتات..
لا تدعهم يستضعفوك، فلقد هزمتهم دائماً ببياض قلبك وطهره، لا تدعهم يعكروك.. فالشمس ستشرق يوماً من خلالك..

• لا يقولن أحد الأمر ليس باستطاعتي..
فليقم بكل ما في وسعه على خير وجه وأصوبه وأتقنه، وليبتغي بذلك وجه الله، وبعدها لكل حادث حديث..

• ليست هناك صورة للحياة الهانئة، لاستقرار الروح المتعبة بعد عناء، لعمل تم إتقانه وحصدت نتيجته، لإخلاص لله رغم المشككين واللائمين..
لا صورة لأي من ذلك إلا في وجه الشهيد!

• الثابتون في الثورة، العاملون بإخلاص قلة من الناس مغمورة، لا يهمهم أن يعرفهم أحد، أن يمدحوهم أو أن يذموهم، لا يلتفتون لمن يخوّنهم، ولا من يُشيد بإخلاصهم..
لم يتحركوا ليبرروا قعودهم، ولكن لعقيدة راسخة في قلوبهم أنهم يقومون بواجبهم، وأنهم يمتثلون لأوامر الله في آياته، ويسيرون على نهج نبيهم صلى الله عليه وسلم الذي كان مدرسة في الفاعلية والبناء..
ضميرهم نابع من أعماقهم، وليس ضميراً مستعاراً من كلام الناس وقناعاتهم، إيمانهم حقيقة، وليس وهم يفتشون عليه فلا يستبصرون الطريق..
لا يصغون لكل أنواع التشويش، لأنهم يعرفون تماماً أهدافهم، وما عليهم فعله، لا يرون بأساً بالسقوط المؤقت إذا علمهم كيف يكون النهوض المتّزن، لا يلقون باللائمة على الناس ليبرروا أخطاءهم، لا يقضون حياتهم بالتماس الأعذار لأنفسهم وللقاعدين، بل يترجمون كل لحظة لتكون خطوة يتقربون فيها إلى الله..
الله فقط هو غاية حلّهم وترحالهم، ومن الإيمان به تنبع قراراتهم بالجهاد بأنواعه وصوره، ولأجله ينصتون لكل من ينتقدهم ليتداركوا أنفسهم من أن تنجرف إلى هاوية الضياع..
هؤلاء أصحاب الخطوات المباركة، أصحاب التأثير الحي، وإن كانوا غرباء بين الناس،

وإن كانوا قلّة، فهم باعث التفاؤل في خضم الألم والبؤس الذي يحيط بواقعنا.. وهؤلاء على قلّتهم فقط من يعوّل عليهم بالنصر المُنتظر..
النصر الحقيقي الذي هو حلم أهل الإيمان على هذه الأرض..

• قد تكتشف ذات يقظة أن الكعكة التي بذلت كل طاقاتك وقدراتك في سبيل الحصول على قطعة منها، قد أصبحت فاسدة، وأن تناولها قد يسبب الموت المحتم إذ أنها مسمومة بكل الأشياء التي تجاوزتها، على أهميتها، وكل الأشياء التي قدمتها على هامشيتها، وكل الأمراض التي كنت تتغافل عن كونها محشوّة بها..
الكعكة كلها قد تكون من نصيبك ذات يوم، وستمتلكها وحدك، وستموت لأجلها يوماً كما عشت لأجلها كل يوم!!

• من حُبّي لحِمص إذا ما آلمتني يوماً، عاندتها فذكرتُ أمامها القدس..

• ثقتك بشخص مهما بلغ برأيك من العلم والفكر والفهم لا يعني أن تسلمه عقلك، لا يعني ألا تعرض رأيه على ما يقتضيه الإيمان، وما يأمرك به الله تعالى في القرآن.. فيوافق بذلك العقل السليم..
ولا يعني أيضاً ألا تعرض هذا الرأي على نفسك وقدراتك فتسعى فيه للتطوير أو التعديل، فتحوز بذلك الإتقان وغاية الإحسان..
ثق بالله تعالى قبل أن تثق بالبشر، وتوجه إلى قبلتك الحقيقية، قبل أن تلاحق ظلال البشر، فتجد الاختلاف والشتات..
القرآن واضح.. ومعانيه تناسب كل الأفهام..
نحن فقط من نغلق بوابة النجاة.. ونسلّم أنفسنا بكل استسلام لأهواء البشر.

● الدعوة لله لا تتغير بتغير الظروف والأحوال، لا توجد فترة دعوة وفترة عمل، فترة عرض وفترة ركود، فترة هداية وفترة استغراق في المهام..

كما أن تقبل الناس لها لا يحدد أيضاً بزمن معين..

سحرة فرعون استغرقت هدايتهم مدة رؤية الأفعى تلقف ما يأفكون.. وأحد الصحابة استغرقت حياته في الإسلام مدة قياسية يوم نطق الشهادتين وانطلق إلى المعركة فقاتل فقُتل ولم يُصلّ صلاة في الإسلام..

هناك من ستغرق هدايتهم مدة سماعهم لآية تتسلل معانيها إلى نفوسهم فيبدد نور لا إله إلا الله ظلمة الشرك والضلال، هنالك من يستدعيه للإيمان موقف صدق، لغة إحسان، تذكير وتوجيه، وهناك من هم على النقيض، من يتصارع الحق والباطل في نفوسهم طويلاً جداً حتى يهتدوا إلى الصواب، وقد لا تُكتب لهم الهداية أبداً..

العبرة من القول أن واجب الدعوة محتوم علينا في السلم والحرب، على جبهة القتال وفي المشفى الميداني وبين مجموعة الإغاثة وفي كل مجال يستعملنا الله فيه، وفي كل طريق نسلكه..

رسالتنا ترافقنا وإن كنا في أقبية المخابرات أو في ظلمات السجون..

في أحلك الأوقات أو في أكثرها طمأنينة.. نُـور لا إله إلا الله يغشى النفس بالسكينة، لا تناقض في حياة المسلم ولا تعارض، فهو سائر إليه تعالى في كل أحواله!

● يحدث أن تمدّ جيوش أحلامك شرقاً وغرباً..

وتمضي لأنك ما عدت تحتمل احتواء الحلم..

فترحل..

ولعلك تُبقي فلول ذكرى لك هنا أو هناك..

• ومن الناس من يتعلق - كالخفافيش- بسقوف الكهوف المعتمة، ويعتقد أنه قد طلب غاية المعالي!!

• ولأن مواجهة الحق مُتعبة، ولأن سلوك طريقه حافل بالأشواك، ولأنك أحياناً تضطر أن تمشي وحيداً، لا معين لك فيه ولا سند.. ولأن نصرته قد تتطلب منك الثمن الباهظ..
فإنك غالباً ما تفكّر بالحياد عنه، أو أن تلبسه شيئاً يوافق هواكَ ومصلحتك، أو أن تعتّم عليه فنوره يُبهر عينيك، ويريك الأمور بوضوح لا تستطيع فيه أن تخالفه، وقد تُنكره فعلاً، أو تهاجم أتباعه، أو تعكس مساره، أو تشوّه صورته..
لكن هذا لا يغيّر من حقيقة كونه الحق بلا منازع، ولا يغير أيضاً من حقيقة أنك تستدل عليه، وتعرفه تماماً في أعماق نفسك!!

• وفي مدينة باتت كتلة من الصّقيع والظلام، قد تتوه عن كل شيء، وتضيع معالم كل شيء، لكن قلبك سيكون دليلك بكل تأكيد إلى القِبلة، وستجد حتماً كل شيء فقدته في لحظة سجود..

• الغازات السامة التي أطلقت في حمص القديمة ممحاة لكل الخطوط الحمراء التي حاول العالم أن يظهر فيه قليلا من الهيبة أمام ضميره الذي يتقلب على فراش الموت..
بل هي وثيقة مزودة بأختام الحكام في العالم بالموافقة عليها وعلى ما هو أشد منها، المهم أن يباد الشعب السوري الإرهابي مع الشكر والتقدير!

• الحزن.. يا شبح المدينة الذي يطيب له التجوال فيها كل صباح.. متباهياً بنفسه.. يصادفني، وكل مرة أرى وجهه فيها لا أدري لماذا أشعر أنه الوحيد الذي يمشي واثقاً.. فخوراً بنفسه..

ألأنه قام بإنجازاته على خير وجه وأتقن عمله؟!

ألأنه فاق الجميع همّة، فطرق كل أبواب البيوت والخيام، وزار القلوب، ورفع له راية فيها؟!

أم لأن مشروعه دائم، وأهدافه قائمة، راسخة، مستمرة، تتوارثها الأجيال... وهو مطمئن على وضعه، فرح بسكناه بيننا، إذ أنه يدري أننا في كل يوم نمضي.. لنتزود منه.. ولا نتعلم أبداً من أخطائنا....

• لابد أن تفهم قانون الغاب، وأن تدرسه بعناية، دون أن تسمح لنفسك بالتحول إلى وحش بشري..

فهمك لواقعك سيساعدك على تطبيق آدميتك، وتطويع ما حولك بما وهبك الله وبما منّ به عليك من إيمان، فتكون بذلك على قدر استخلافه تعالى لك على هذه الأرض....

• علقوها على الجدران، وفوق الأسرّة، أخفوها تحت الوسادة، وفي المحفظة، واكتبوها في كل مكان لتواجهكم، لتجيب على تساؤلاتكم ذات حيرة..

« كلّ ما تقدر عليه.. يصبح «فرضاً» إذا دعت الحاجة إليه».

قدّروا حاجات الأمة ومقدراتكم، وعلى أساسها انطلقوا..

• في أحيائنا المحتلة ابتلينا بالاستعباد لينظر الله كيف نتحرر منه، وفي أحيائنا المحررة ابتلوا بالحريّة، لينظر الله كيف يطوّعونها في سبيله..

• لم يقتلوا البشر فقط، قتلوا حبّة القمح السمراء المعجونة بقطرات من العاصي.. العصيّ عن الخنوع..
قتلوا الرّغيف، طعام الفقراء، ورمز الحياة لدى الشعب..
قرروا أن تستشهد السنبلة، وقطرة الماء وأن يتشظى الرغيف، وقبل ذلك كله، قرروا أن يهدروا الدم البريء، لا لذنب إلا لأنهم ممن قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله..
بأيديهم يحاولون قتل كل شيء يستند عليه هذا الشعب الطيب، هذا الشعب الذي يمتلك ما يقوّض أركانهم، ويزلزل حكمهم، ويقتل جبروتهم..
هذا الشعب المسلّح بلا إله إلا الله، لديه الخيار، إما أن يلقي عنه هذا السلاح فيستسلم للنحر بأساليب مختلفة، أو يأخذ كتابه بقوة، ويثأر لحقول القمح وعذوبة الأنهار، وطهر التراب الذي منه ولد وإليه يعود..
ولعله يدرك يوماً أن هنالك فرق شاسع بين العودة للتراب بعزّة، وبين أن يُعفّر وجهه في التراب ويقضي العمر ذليلاً..

• حقيقة:
كلما زاد جلوسك على النت، ازداد ابتعادك عن الواقع..!!
لا تنجح ثورات الفيس بوك، ولا تجهز العمليات القتالية عبر سكايب، ولا تخفف آلام المنكوبين عبر «أعجبني»!
من أراد لكابوس النظام الجاثم على صدورنا أن ينزاح، فليشمر عن ساعديه، ولينزل إلى الواقع، سيكتشف كم كان مخدوعاً بالكرسي وخط الإنترنت والكمبيوتر المحمول!

• نخوة المعتصم في عصره لم تكن بدعاً من الأفعال، أو خارقة من الخوارق، وما كان لقائد جيش أن يسير بجيشه بمنأى بإيمانه وفكره عنهم.. أو عن مجتمعه ككل

كل فارس في الجيش حمل ذات النخوة، وذات الغيرة، وذات الصدق في جهاده لإنقاذ امرأة تستنجد به..

وهؤلاء الفرسان لم يولدوا من فراغ، بل هناك أيدي رعتهم، وأسس بنتهم، وإيمان ارتقى بهم، ليلبوا النداء، فلا يهون عليهم استضعاف امرأة وإن كانت تبعد عنهم المسافات الشاسعة.. وإن كان الثمن لتلبية ندائها أن تزهق أرواح وتسفك دماء..

ولنا اليوم أن نقلب وجوهنا في حال الأمة، لندرك لماذا تستصرخ الحرائر في السجون، ويعتقلن على عيون الأشهاد، ولا نجد بين الناس سوى تنكيس الرأس والحوقلة، وفي أفضل درجات الحس دمعة حارقة.. إلا من رحم ربي..

- قسوة ما نعايشه يجعلنا في مواجهة حقيقية مع ضعفنا..

لم تعد هناك بطولة تنبع من أعماقنا، ولا قوّة تعين على المواصلة والثبات..

حين نفقد كل شيء.. نبقى على المحك بين الجنون أو الانهيار، بين الرغبة في الموت أو الرحيل من واقع مؤلم إلى الأبد..

حين ننكسر، فلا شيء في الدنيا يرمم قلوبنا المتعبة، حين نشعر بالوهن، فلا نجد في الكون ما يداوينا...

نجدنا بعنجهيتنا، بغرورنا بأنفسنا، بكل العلم والمعرفة التي اكتسبناها، بكل الخبرات التي حصدناها.. والمعارف الذين اخترناهم بعناية ليكونوا لنا عند الحاجة.. نجد أننا لا شيء أمام كل ذلك، إلا من رحمة رب عظيم، نتضرع إليه بانكسار ليخفف عنا بعض العذاب، ليقوّي نبتة الصبر في أنفسنا، ليسبغ على أرواحنا السكينة، ليواسي حزننا وآلامنا في سبيله بإيمان نجد حلاوته في قلوبنا...

حينها يهون كل شيء، بل نتمنى من أعماقنا لو ضحينا بالمزيد والمزيد حتى نرضيه، حتى نقترب منه خطوة..

اللهم إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي..

• مراقبة قطرات الندى على الأوراق الخضراء في الصباح، ومتابعة هطول المطر أو النزول لملاقاته في الأرصفة والشوارع لا يختلف كثيراً عن لحظة خلوة تفتش فيها عن نفسك المتعبة لتلم شتاتها ثم تجدها فجأة عبر وميض آية، أو تذكر موقف في السيرة، أو عبر كلمات أو ذكرى طيبة لم تزل محفورة في أبهى مكان داخلك، ولا يختلف أبداً عن مراقبة الفئة القليلة النادرة من الناس الأنقياء يعملون بصمت وإتقان...
الحياة موجودة أينما توجهنا والتفتنا.. لكننا نراها مُعدمة، عندما نكون نحن في عداد الأموات...

• الاختبارات في طريقك تزداد صعوبة بمجرد نجاحك واجتيازك لها، لأنها تعني أنك انتقلت إلى مرحلة جديدة، تحتاج تخطيطاً جديداً، وإعادة هيكلة أفكار، تحتاج علماً يهبك القوة، وطاقة إيمانية هائلة تثبتك وتعينك على الصمود، وكثيراً من العدة المادية والمعنوية، مختلفة أو معدّلة في الشكل والمضمون على التي سبقتها، لتستمر، دون أن تتوافف، أو أن تتراجع، أو تتمنى لو يحفر لك قبراً فقط لأنك لم تعد تطيق صبراً..

• وتسألني الصديقة الحزينة..
كلّ ما نمرّ به من آلام هو حلم.. أليس كذلك؟!
وأخبرها أننا على طريق اليقظة، وأن وخزات الألم تبدد غفلتنا، وتطهّر أرواحنا، وتجعلنا نقترب من الله أكثر..
وبأن العمر لا يلبث ينقضي سريعاً مثل الحلم، ولابد أن تواكب سرعته؛ سرعة تغيير ما بأنفسنا..

وتغص بدمعة، وأشعر أن جوابي بات فلسفياً لا يصل إلى واقعية أحزانها..
فأخبرها أننا نحلم.. أجل نحلم، وهم يراقبوننا من بعيد.. كلّ الأحبة الذين قد رحلوا، ينتظرون كيف نصنع واقعنا من صميم الحلم فيغدو سلام نفس وأمنها.. وكيف نبني جنّة صغيرة لنا في القلوب، لنعبر منها إلى هناك، إلى حيث سبقونا وقد ودّعوا الدنيا بـ لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.. فنحاول أن نلتقي عليها، كما افترقنا يوماً عليها..

• النوم أتعس الحلول..
إذ لا سبيل لمواجهة الموت إلا بمزيد من اليقظة..

• بعض الشوق اذا اشتعل فلا شيء قد يطفئه، يجعلنا نحترق بصمت، ولا نأبه لاحتراقنا..
مادام سيكون النجم يضيء لجيلٍ بعد جيل..
باختصار.. هذه حكايتنا مع الوطن..

• لأن يتمّ اعتقالك على الهويّة، وإعدامك على الهوية، وملاحقتك على الهوية، أغلى وأشرف من أن تسير بين الناس تتخبّط واهماً بما معك .. بطاقة انتماء بها اسم وصورة ورقم، لكنها ليست هوية!!

• اللهم رحماك بغربة تعصف في قلوب شبابنا.. لا تفتنهم وقد أقبلوا إليك، ولا تُبعدهم وقد ساروا إليك..
اللهم قوّ عزيمتهم، وألهمهم الرّشد، وألّف بين قلوبهم، ونقّها من كل دنس يباعد عنك..
اللهم إنك تعلم أنهم يميننا التي نقاتل بها عدوّك، وعيوننا التي نستشرف بها المستقبل

بكل الأمل، فارزقهم الإخلاص مع كل خطوة، والصبر مع كل محنة، والثبات مع كل معركة، واجعل راية الحق ظاهرة تقرّ بها أعينهم، وتشفي بها صدورهم، وتنصرهم على عدونا وعدوهم..

• امتحانات الدنيا صراط يسير عليه المؤمنون في طريقهم إلى الدار الآخرة، وهذا الصراط مليء بالعقبات والمتاعب والآلام.. الشدة والبلاء، المطاردة والحصار، الحرب الفكرية والعمل على تشويش الأفكار.. السخرية من التمسّك بالثوابت ضمن اتهامات وادعاءات.. فقد الأموال والأنفس والثمرات..

السقوط فيه سهل لكنه يؤدي إلى الهاوية، والاعتياد على العيش دون تجربة العبور سقوط آخر.. والفرصة تتجدد بتجدد الأنفاس..

وتجاوزه يتطلب زاداً من الإيمان والصبر والثبات، حتى لقاء الله وقد حمل المؤمن انتصاراته الصغيرة والكبيرة فجعل منها جسراً متيناً يوصل إلى الفردوس..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ «

• العزّة بالإسلام لم تكن يوماً شعارات ولا مظهر..

بل هي سلوك ومواقف وأفعال باتت تفتقر في حياة كثير منا للتطبيق.. فالغريب اليوم هو من يطبّقها، مع أن الجميع يرفعونها ويهتفون بها..

• ليس بالضرورة أن يضعوا أصابعهم في آذانهم أو يستغشوا ثيابهم لئلا يسمعوا دعوة الحق..

فأحياناً نضع على أفواهنا أقفالاً لئلا نجهر به ونبلغه لئلا ينالنا عبره الأذى، أو لأنه يخالف أهواءنا..

• منظمات حقوق الإنسان قد تحصي الذين استشهدوا تحت التعذيب.. لكنها لا تحصي من استشهدوا بسبب التعذيب..

وهُجّر أهلهم خارج البلاد لتأمين ثمن علاج أو لإجراء عملية، فوكالات إغاثة اللاجئين لا تعالج إلا اللاجئين.. السوري العائد إلى وطنه إنسان بلا قيمة في البلاد الشقيقة والصديقة..

وإن تمسك بأهداب الوطن وعاد قرير العين أو خائباً بعد مسيرة رُعب بين البلدان، فإلى أحضان غرف التحقيق..

وتبقى الحياة تضمّ أحزان الثكالى وأوجاع الفراق، ممن يقاسون التعذيب النفسي كل لحظة، يصبّرهم أنهم صامدون على مبدأ وقد تحدوا كل شيء لأجل أن يظلوا عاملين في سبيل الله على أرض الجهاد والرباط... ويبقى الشوق الأوحد للرفيق الأعلى..

• سنبقى بإذن الله ما حيينا مدافعين عن الحق، شوكة في حلق كل ظالم.. ليس لإسقاط نظام البعث وحسب، بل لإسقاط كل أنظمة القمع والظلم أيا كانت هويتها..

• الخوف من الفشل إن لم يحفّز على بذل مزيد من الجهد والإتقان في سبيل النجاح.. فهو مقبرة العمل...

• صدق من قال.. الثورة السورية جوهرة نفيسة حتى السوريين أنفسهم لا يقدّرون أهميتها، ولا يعرفون قيمتها.. لكن الزمن القادم سيثبت كم لهذه الثورة من عمق، وكم لهذه التضحيات من أثر عظيم في استعادة العزّة لهذه الأرض الطيبة من الطغاة على اختلاف ألوانهم ومشاربهم..

• عزيزتي المرأة..

لا تشعري أبداً بتأنيب الضمير إن خصصتِ من وقتكِ للقراءة وبناء النفس والفكر، أو خرجت للتطوع في مجال يناسبك..

لن تُهدم تربية أبنائك المثالية وأنتِ قد أغلقت على نفسكِ كل شيء ونذرت عمركِ لهم في نطاق تربيتهم فقط.. ونسيت طاقاتكِ وعلمكِ وإبداعاتكِ وما تحتاجه الأمة منكِ..

لن يرتبط أطفالكِ بالقراءة ما لم يجدوا الكتاب بين يديكِ تمسكينه بذات الحب الذي تحتضنينهم فيه.. سيعرفون أن ما بيديك شيء مهم، كائن حيّ ربما.. بمثابة أخ مثلاً..

لن يقدّروا أهمية العمل التطوعي ما لم يجدوكِ قد خرجتِ تمارسينه على الأرض، وتخبرينهم قبل ذهابكِ عن السبب، وبعد عودتكِ عن جمال الشعور!

لن يقدروا قيمة ما اكتسبته من علم خلال حياتكِ ما لم يشاهدوا فاعليته على الأرض..

وقيسي على ذلك كل القيم..

مهما حاولتِ التربية وغرس الفضائل بالتنظير لن تجدي نتيجة بقدر الرؤية العملية...

اعملي على بناء نفسكِ وأنتِ تبنين أطفالكِ.. وتذكري أن الإيمان يبلى إن لم يجدد، والعلم يُنسى إن لم يراعى، ويُسأل عنه العالم إن لم يتوجه بعمل ينفع الأمة..

• قالوا: لم يَعُد في سورية أيّ مكانٍ يأمن الإنسان فيه على نفسه..

وما أراه اليوم في سوريّة قمّة الأمان.. ينبُعُ من عمق الإيمان.. أنه لا أمان إلا برضا الله تعالى، ولا رضوان إلا باتّباع الحق..

فليتخطّفه الخوف من عاش حياة باطل وإن سيّجتها الحصون وعُمّرت فيها البروج المشيّدة.. وليعمر قلبه السّكينة من عاش في أمان الله.. في حفظه ورعايته وإن ظلّلته سماء الحمم، وأقلّته أرض روتها الدماء..

• لكل زمان أبطاله الذين لم يولدوا بالضرورة أبطالاً، بل علمتهم التجارب، وصهرتهم المحن، وقادهم شغفهم إلى الحق لتتبعه، ومن ثم نصرته، وإن كان الثمن هو الدم والروح..
أنا لا أتحسر اليوم على أبطال عاشوا في زمن آخر..
أنا أموتُ كمداً كل يوم وأنا أرى أمامي أبطّالاً لم يكتشفوا أنفسهم بعد..
ولم تتفتح براعم العزّة بدينهم زهور حريّة تملأ الأرض خيراً وعدلاً وإيماناً...

• هكذا كانت ردّتنا عن ديننا.. ردة عن الفهم والتطبيق..
ردة قلب المفاهيم وضياع الهوية.. فأصبحنا أعزّة على المؤمنين، أذلة على الكافرين..
وفقدنا في حياتنا أعظم حب.. وأغلى حب.. وانهارت داخلنا روح الجهاد، وبتنا نخاف من البشر، وننسى خالق البشر..
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

• الأشجار الأصيلة قد تفقد أوراقها ذات خريف، قد تتكسّر أغصانها ذات شتاء.. قد يتهاوى جذعها على أثر زلزال مدمّر.. لكنها أبداً لا تفقد الجذور..
الجذور دائماً تثبتها، تربطها بأرضها أكثر، تمدها بالغذاء اللازم عند الحاجة، تصارع قسوة الصخور وجفاف التربة وتمتد كل يوم أعمق، لتحتفظ لها بالحياة.. وسواها يتهاوى في مهب الريح..
هناك أشجار تعمّر أعواماً وتمتد حياتها أجيالاً بعد أجيال.. وأشجار تموت تحت الأقدام وتُنسى..

هناك أشجار تعطي كل شيء.. وغيرها يتطفل على الحياة عالة على كل شيء..
والناس كذلك.. لا يثبتهم إلا الجذور، لا يمدّ في أعمارهم إلا عمق مستمد من الوحي والسنّة..
والجميل في الأمر كله أنهم فوق الأرض يظهرون بمظهر متشابه.. ولا أحد يعلم ما في العمق إلا علام الغيوب..

• سقوط القناع كله أو جزء منه لا يغيّر من حقيقة كونه غاية الزيف والتدليس، ولا أن الوجه الذي يخفيه غاية في القبح والبشاعة!

• هي العيون ذاتها تفيض دمعاً بالوراثة عن أجدادهم في زمن مضى...
أتوا راغبين بالالتحاق بركب الجهاد فسُدّت دونهم الطّرق، وأغلق باب الرحيل إلى هناك حتى إشعار آخر..
حملوا أغلى ما يمكنهم إنفاقه..
أرواحهم..
وعادوا والألم في قلوبهم يتّقد.. والحزن لا يُحدّ..
هم لم يرِثوا الدموع فحسب..
بل ورثوا النخوة والكرامة ورُوح الجهاد التي تثقل بها الموازين.. ويتفاضل بها البشر عند مالك الملك..

• طيور الحزن تهاجر إلينا من كل أرض..
وأعشاشه تُبنى فوق نوافذنا..
وأجنحته تأبى إلا أن تظللنا..

معذور هذا الحزن.. إلى أين يأوي من صقيع الحياة؟
وهل تراه يجد في الكون مكاناً أدفأ من قلوبنا؟!!

• كل من اختار البقاء في المناطق الساخنة قرر الصمود حتى آخر نفس..
قرر التخلي عن كل شيء حتى النصر أو الشهادة..
لا فرق عنده في التفاصيل.. كل الدروب صعبة إلى هناك، كل التضحيات مُرّة..
بقي أن نتحلى بالصبر الكافي لاستيعاب ما يجري.. للصمود..
وبقي أن نضاعف جهدنا مرة أو مرتين أو عشرة... أو أن نستنسخ من كل إنسان فاعل ألفاً.. حسب الشواغر التي يتركها أصحابها تحت سطوة النظام، ورغماً عن إرادتهم..
حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً...

• كل يوم أكتشف مأساة..
أطفال هرموا في الثورة، وحملوا من الهموم ما لا يطيقه الكبار..
تلفّتوا حولكم.. خصصوا نصف ساعة يومياً للتحاور معهم..
أهدوا إليهم بعضاً من الضوء والأمل، لا تظنوا أن مهامكم العظيمة أفضل منهم..
لا شيء بالمطلق أهم من قلوبهم البريئة.. احفظوها من أن تتمزق بشيء من الرعاية والود..
فبينهم من يفكر لو لم يعش مطلقاً في هذه الحياة، ومنهم من تراوده نفسه بالانتحار...

• حتى تعلموا أن إطفاء أو إيقاد شعلة الثورة ليس بأيدينا.. بل بتقدير وتدبير عزيز حكيم، وأنه اختبار واصطفاء واختيار وامتحان لا يُظلم فيها أحد..
وأننا إن تولينا سيستبدل قوماً غيرنا يعملون بإخلاص، ويبذلون كل الجهد، ويسابقون في ميادين الجهاد، ولا يكونوا أمثالنا في التقصير أو اليأس والتراخي..

• لأن ولاءاتنا للأشخاص، لا للأفكار والقدرات، فإننا لازلنا نُقصي أهل العلم والخبرة، وننحّي أهل القدرة في كل مجال عن مهامهم التي يتقنونها، ونُقدّم الأقل علماً وخبرة، فقط لأنهم يوافقوننا بالفكر، أو لمحبة لهم وقرت في قلوبنا، أو لأننا نعتقد أنهم لله أقرب.. فنجد الموازين اختلّت، والأمّة ازدادت ضعفاً..

• علينا أن نتعلم كيف ننصت لكل من يخالفونا في الرأي..
كما عليهم أن يتعلموا كيف ينصتوا لآرائنا..
ليس لتوسيع دائرة الرؤية فقط، بل لمدّ جسور للتواصل معهم، ولنرى أخطاءنا التي لا نراها ونحن نخالط فقط من يشتركون معنا بنفس الرأي.. ولندرك أن لديهم أموراً إيجابية يستحيل أن نلمحها من بعيد..
لابد أن نتصالح مع كل من نختلف معه وليس بالضرورة أن نتوافق، وليس مطلوباً أبداً أن نسلّم عقولنا لأحد، بل المطلوب أن نربط بين هذه العقول برباط متين، لنجعل منها قوة قادرة على التحدي والصمود..

• كارثة أن تخرج من القفص وتغدو حراً، فلا تلبث تعلن غضبك.. وتسلّم نفسك والمفتاح لسجّان آخر كي يغتال حريتك في كل لحظة، لأنك ببساطة لم تفهم معنى الحرية، فاستسغت طعم الأسر..

• **نفوسٌ تُبنى في الشدائد والمحن..**
في السجون والزنزانات، مجتمعات تؤسس، إيمانٌ تُقام دولته في النفوس.. شبابٌ يشهدون أنهم لو عاشوا كل العمر بحثاً عن مكان يكتسبون فيه العلم من المجاهد والداعية والمفكر والسياسي والأديب والشاعر والإعلامي والطبيب والمتظاهر... لم يستطيعوا لكن

السجن وهبهم هذه الفرصة، للاكتساب والتعلم والتعليم أيضاً من التجارب والخبرات..

دورات إيمانية تُعطى في الظلام، حيث لا تعرف الشمس لها طريقاً إلى هناك، ولا تعرف أيضاً أن على الأرض شموساً تشرق كل يوم في الصدور فلا تعرف معنى الغياب..

العمل يجري على وقع صرخات التعذيب، يعطي وقوداً للمتابعة، على أنين الجرحى الذين تمزقت أجسادهم من سياط المجرمين، يُخطط للغد، للمستقبل القادم، لعالم لا ظلم فيه ولا طغيان..

ومن وجه الجلاد تُستوحى الأفكار في طرق دفنه إلى الأبد، ومن صوت بوابة الزنزانة الصدئة يُسمع صوت الحرية القادمة لكسرها وفك الأغلال... من أسئلة المحققين تُستمد القوة والرغبة بقهر نظام جُبل على صناعة الغباء وتصديره...

أغلب الذين يخرجون من المعتقل يتوجهون مباشرة للقيام بأدوارهم الحقيقية والفاعلة في الحياة.. قد أتيحت لهم في السجن فسحة ليفكروا كفاية بما يريدونه، قد وهبهم الظلم كل الرغبة لإزهاقه..

ورغم أنف النظام فإنهم يدخلون السجون كباراً ويتخرجون منه عمالقة تبني الحياة بمنظور مختلف!

- وللغضب معانٍ لا يعرفها أهل اللغة..

هو الجذر الذي يربطك بعمق بأرضك، يدفعك لأن تقاوم، تتحدى، تصرخ بوجه الغاصب، تتوعده وإن لم تمتلك قوّته..

هو القوّة التي لا تدري من أين أتتك، لتجعلك تسير وكأنك تحلّق عالياً، وتحلّق وكأنك تعبر الزمن، تتصدّى لكل ما يقف في طريق الوصول.. يجعلك تسير وكأنك محصّن بدرع ودبابة..

هو الإيمان يسخر من هواجس التهيؤات والاحتمالات، هو التضحية بالروح في سبيل أن تحيا الرسالة..

هو الزهرة التي تنمو رغم الصقيع، لتغيظ مارد الجليد بزهو ألوانها..

هو الرعد يعلو صوته ليزلزل الأرض بسطوته..

هو المطر يغسل أحزان الشوارع بكبرياء ولا يأبه لمصفحات الأمن تجوبها، لأنه يعرف أنها قريباً ستختفي.. وإلى الأبد..

هو الصراخ بكلمة حق وإن أكل الخوف قلوب العباد..

هو الصمت الحكيم يربط على قلب صاحبه، يأمره بالرّدّ المناسب في الوقت والمكان المناسب..

هو القدرة على البناء برغبة تضاهي كراهية الهدم..

هو التّرميم في لحظة يرفع فيها الناس رايات العجز..

هو صنع رغيف وقت المجاعة ليتقاسمه الناس ويفهموا معنى الأخوة التي بعثرها الانشغال بالمصائب الفردية..

هو روح الجماعة تنتشر كالضوء لتقاتل جحافل الظّلمة..

هو الرحيلُ عن الحياة بابتسامة عزّة تغيظ عدوّ الله، وتبشّر المؤمنين بالنصر المرتقب..

تموت الشعوب عندما تخبو في نفوسهم شعلة الغضب لله!

- عندما نقترب من جوهر وجودنا في الحياة، من غاية خلقنا..

عندما يكون إيماننا هو القربى، وعطاؤنا هو الوقود، والجنة هي الغاية..

عندما ندرك حقيقة معنى « واسجد واقترب»

ستكون فعلاً قرّبت....

• ربما كان بوسعنا أن نقدم لشهداء الملعب اليوم أكثر من مظاهرة وصّلاة غائب!
ربما كان علينا أن نحضّر اعتذارات أكثر نتلوها على أشلائهم..
ربما لم يعد يجدي اختلاط دموعنا بدمائهم وانتظار لحظة اللحاق بهم، ونتمني أن تكون الجثة متكاملة كي لا نتبعثر في كل اتجاه ويصعب أن نتوحد في قبر يضمّ جراحنا!
ربما بات من الضروري أن نعيد فهم أنفسنا، وأعدائنا، وأن نواجه كل شيء حولنا بصراحة، دون مواربة، لنستطيع مجابهة قُبح العالم بحسن ما عندنا..
ربما سنتأخر كثيراً، ويفوتنا موعد الاعتراف أننا سنذل أكثر، طالما ننحي معنى الجهاد وحقيقته عن حياتنا التي لن تعود عادية أبداً، مهما حاولنا، ومهما استمتنا في سبيل ذلك..
يريد الله لنا الأسمى، يريد لنا العزّة.. ونريد الحياة لمجرد الحياة، والموت لأجل أن نبقى رقماً منسياً على الهامش.. وقد يسقط سهواً..

• **بالمناسبة..**
البلاء يتجوّل بكل سعادة في المناطق « الآمنة».

عندما..

• عندما نتلاحم في صف واحد على اختلاف آرائنا وتوجهاتنا، لنلتقط الأشلاء، ونودع الشهداء، وننتفض بصوت واحد.. بقلب واحد، لنغسل بدموعنا الدماء، ونقرر أن منطقة الانفجار منطقة عازلة، لا يسمح فيها لميكروبات الأمن بالاقتراب، ولا لتلفزيون الدنيا بممارسة تمثيلياته الهزلية.. ونحن مستعدون لأن نموت في سبيل ألا يقترب أحدهم خطوة فيدنس قطرات دم شهدائنا الطاهرة...

عندما يقود مظاهراتنا العفوية شيخ مُسن فيشعل الحيّ غضباً فوق غضب، وتهب النساء لإسعاف الجرحى بسياراتهن، بالحنان الطاغي في قلوبهن دون أن يخشين مسائلة..

عندما يقف الشاب الأعزل في وسط الصخب بغضبه كبركان في وجه عناصر أمن مدججين بالسلاح، ليجيب على تهديداتهم بقوله.. جربوا أن تطلقوا النار وسنفعل بكم كذا وكذا.. فيبتعدون لأنهم يعلمون أنهم القتلة، وأن الشرر في عينيه قد يُحرق..

عندما تُشير للثوار الذين يحرسون التشييع ليسمحوا لسيارتك بالعبور والاقتراب، فيقابلون ذلك بالتفهم والابتسامة.. فتسير على عجل لتودع الراحلين إلى الجنة فرداً فرداً... وتقف قرب طفلة تودع جثمان طفل ورأسه، كل واحد على حدة.. ولسان حالها يطلق الوعود بأن تُجمّل المستقبل لأجله..

عندما تستعيد مدينتك العديّة روح الثورة مجدداً، فلابد وأن تسير فوق أرضها مرفوع الرأس شامخاً، وفي داخلك عميق امتنان لا يُحدّ.. للشهداء..

الذين يشاركون بالحصة الأكبر على الإطلاق في ثورتنا منذ بدايتها، ويحركون عجلتها للأمام.. ويعدّلون مسارها إن انحرف، ويؤلفون القلوب إذا شابها كدَر، ويلمّون الشتات، ويوثقون العلاقات بأوثق رباط وأطيبه.. ويدفعون الساكت للكلام، لإعلان كلمة حق ولو طال الانتظار.. والخائف للبذل والتضحية، والبعيد للاقتراب، واليائس المحبط للتجدد والانطلاق..

على أرواحهم الرحمة.. وللحق البقاء..

• تذكروا عندما تنسجون خيوط المستقبل، وتخططون لحياة الكرامة، وترسمون مشروع إحياء أمة... أنها ستبقى مريضة ذليلة تائهة... طالما تجاهلت أو نسيت أو تناست آيات الجهاد..

• مع انقضاء ٢٠١٢ أفكر كم من الشموع بيننا قد انطفأت!
لا أقصد بطبيعة الحال الشهداء، فهؤلاء كواكب درية ستبقى تشع إلى ما شاء الله لها أن تفعل..
إنما أتحدث عن أشخاص كانوا نبض الثورة، وتحوّلوا اليوم بعض انطفاء نور الإيمان بها إلى دخان!

تم بحمد الله

وثار الياسمين

ثورة ٢٠١٣-٢٠١٤

إيمان محمَّد

• هذا العام أطلّ بشكلٍ مختلف، في مظاهرات خرجت لترفع كلمة الحق رغم البرد القارس، في تكبيرات رفعناها بكل ما أوتينا من كرامة وعِزّة، ليجيب علينا صوت الرّصاص جنونيّاً لا يستطيع إيقاف ما بدأناه...

عام أطلّ وُلدنا معه، وبات عمرنا الثوريّ هو الأهم وحياتنا الثوريّة هي الأساس، هي الأجمل... اكتشفنا فيها أنفسنا في الامتحانات العصيبة، غيّرنا فيها الكثير، عدّلنا فيها الكثير أيضاً، تشاجرنا معها، تواجهنا وعلا صراخنا في لحظات وتصالحنا في لحظات أخرى... حتى وصلنا إلى جوهر الثّورة فاستوى قاربنا عنده، وهدأت الأمواج لتسلمنا إلى برّ الأمان الحقيقي، وليس الأمان الشكلي، الأمان في الوقوف مع الحق، ومجابهة الظلم والفساد، الأمان في التعرض للمخاطر، وتحدّي الصّعاب، واحتمال ألوان العذاب حتى تحقيق النّصر، وليس الأمان في السّكوت على الباطل خوفا من ركلة أو صفعة أو جلدة أو حتى مقصلة الجلاّد..

عام أطلّ مع الحُبّ في معناه الأسمى، وقد بتنا كلّنا عُشّاق سوريّة، وبتنا نحيا بحالة الحبّ نتنفّسه، ويتغلغل في كلّ ذرّة من أجسادنا، حالة من الحبّ تخفقُ لها قلوبنا الجريحة وهي تسهر مع الوطن المُعذّب بانتظار ساعة الفَرَج والنّصر...

حُبٌّ يدفعنا لأن نكون للوطن بالكلّيّة، لئلا ندّخر ثمناً ندفعه لأجل أن يصمد ويقاوم، لأن نحتسب كلّ خطوة في سبيل الله نخطوها إليه، فنلتمسُ البركة ونستشعر حلاوة للإيمان تطغى على كلّ مشاعر سلبيّة...

حبّ يجعلنا كالمجانين ننسى أسماءنا وهويّاتنا وتاريخ ميلادنا وأعمارنا وأرقام هواتفنا وعناوين سكننا وأعمالنا، ونتكرّس لذلك الحب، فنرعاه بأيدينا وقلوبنا، ونسعى إليه في تكبيرة أو مظاهرة أو طرقات على بيوت الفقراء والمساكين نحملُ لهم ثياباً خبأناها لأنفسنا كي نرتديها في المستقبل، وحين علمنا أن المستقبل له مفهوم آخر يعني البذل ومشاركة الآخرين المال والطعام والثياب، باتوا هم مستقبلنا المُدّخر، وبات الغالي رخيصاً من أجلهم...

الحُبّ اليوم لا لون له سوى الوطن، ولا طعم مميّز له إلا بسمة على ثغر طفلٍ محتاج وجد من يسدّ حاجته، الحبّ شمسٌ تشرقُ بالمحبّة وتكسر الحواجز، وتؤمّن الدفءً يتسلل إلى الحارات التي لم تعد منسية، لأن أهلها خلّدوا في الذاكرة أسمى معاني البطولة..

الحب يتجوّل في كلّ ناحية...يزور الأشخاص الذين لم يعودوا طيّ النّسيان لأنهم فقراء أو لأنهم حُرموا حقّهم بالتعلم في المدارس، لكنهم تعلموا ما لم نتعلمه أبداً في أيّة مدرسة أو جامعة، تعلموا ألا يترددوا في الدفاع عن المظلوم بأيديهم وأظفارهم أو بطلقة بندقيّة، حتى وإن دفعوا حياتهم ثمناً كي نعيش نحن، لا يأبهون.. المهمّ عندهم أن تحيا القيم...

أولئك الأساتذة الأبطال منهم بتنا نتعلم، وباتت الدّورات والكتب والمحاضرات التي تدعو للإيجابيّة شيئاً يدعو للسّخريّة...

دورة واحدة في تلك الأحياء الحمصيّة المنسيّة كفيل بأن يحيل الصّخر إلى مخلوقٍ نابض بالإنسانيّة..

الحبّ هنا أبجديّته مختلفة، بريقه أخّاذ، لأنه نابعٌ من ثورة...

ثورة على كلّ سلبيّ، ثورة على كلّ جامد...

الحبّ هنا ثورة الحياة على الموت حتّى وإن كان العبور إليه عبر الموت نفسه!

● لعل بعضكم يراها ميتة، لعلكم تصمّون آذانكم لئلا تسمعوا صوت أنينها، لعلكم يئستم منها، فبتّم تشيحون بوجوهكم عن صفحة وجهها المدمر.. ولكن أقسم بالله إن فيها اليوم جمالاً لا تخطئه عين من عشقوها، وحبّاً تجذّر في قلوب من سكنتهم لن يهدأ إلا بصناعة النصر وتحقيقه أو الشهادة دونها...

حمص المنكوبة والله أعز وأغلى منها عما كانت من قبل.. حمص توشحت بوشاح الكرامة وارتدت ثوب العزة وتعطرت بمسك الشهداء ، وبعزّة الله لن تذل أو تهان...

• حتى الخيمة تنكرت للألم السوري، فاستسلمت للعاصفة وسلّمتها نفسها فخذلته حين غرقت، لتغرق الأمل الأخير.. ولتسلم الأرواح لخالقها،فتتولاها رحمة الله..
هناك في العالم الآخر حيث راحة المتعبين..
بعد رحلة من غربة عاصفة في الدنيا، لم يُسمح لهم فيها أن يكونوا ولو عابري سبيل!

• كفاني في لحظات بؤسي أنك ملاذي، لأجد الجنة...
داخل غار لم آبه بوعورة الطريق إليه ما دام يوصل إليك..

• طلبت المعلمة أن يرسم كل طفل بيتاً..
رسم الأطفال أكواماً من الحجارة، ثم انصرفوا إلى خيامهم وملاجئهم سعداء بحصّة التفريغ النفسي!

• بعض الناس تتمنى لو سمعت خبر استشهادهم، عن أن تعرف أنهم تحت التعذيب يستشهدون كل يوم..
لكنّك لا تلبث تلوم نفسك، فالله تعالى هو الذي يقدّر ويختار..
ولعله تعالى أراد أن يضاعف لهم أجرهم ويرفع درجاتهم.. فإن كان العبد يؤجر على الشوكة يُشاكها في سبيل الله.. فكيف بمن يلقى أشد ألوان العذاب..
أتذكر قول سحرة فرعون وقد هددوا بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب في جذوع النخل..
«قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ❋ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين❋»
تأتي حلاوة الإيمان، لتبدد وحشية الطغيان.. ويُنسى الألم...

• في كل مشروع نفكر به، كل غاية نطمح إليها، في كل طريق نود أن نسلكه، كل حريّة ندعو إليها، وكل ثورة نرفع شعاراتها..يحضرني ربعي بن عامر لرستم ملك الفرس.. فلا أجد أبلغ ولا أشمل منه..

• «إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام»..

وتبقى الرؤى تسير إلى وضوح ما تعاهدنا على السير تقرّباً من الله أكثر.. وتطبيقاً لشريعته على الوجه الأمثل..

• « وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»

قانون المسؤوليات في الإسلام...

فماذا فعلنا به؟

منا من أخذها بغير حقها..

أو أسندها إلى غير أهلها..

أو قصّر في أدائها وقد تولاها..

أو تغافل عن تقصير في أدائها لمن تولاها..

إلا من رحم ربي...

ولن نعود لعهد المجد، إلا إن أقمناها كما يحبها مولانا.. لا كما ترتضيه أهواءنا..

• أرخص شي بهالدنيا الإنسان..
حقنا رصاصة..
أنا إنسان ماني حيوان!
قالوها بقهر دعوة لإحياء الإنسان، لاستعادة كرامته، لكنها ترسخت كقناعات في نفوس الطغاة، وفي نفوس اليائسين..
نحن خلائف الله في أرضه، شاء من شاء وأبى من أبى..
نحن عُمّار الأرض وصُنّاع الحياة..

• ليس كلاماً من عند أنفسنا بل هو من عند الله...
غالٍ جداً عند الله من تعرض للتعذيب والإذلال في سبيله وبقي متمسكاً بعقيدته وإيمانه..
غالٍ جداً عند الله من اغتالته رصاصة الغدر فكان في أعلى مراتب الجنة..
غالٍ جداً وفي أرقى مراتب السمو هو الإنسان المقدر لإنسانيته ولحقيقة رسالته..
ولأن حرية الإنسان بهذا الغلاء فنحن ندفع لأجلها أغلى الأثمان..
فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون..

• إذا أردنا نهضة حقيقية لابد وأن نفتش عن أهل العلم والخبرة في كل مجال لنحصد عصارة عقولهم، ونختصر الطريق ونحصّل الغاية المنشودة..
ومما أصابنا بالوهن أننا في خطواتنا هذه نأخذ من الأضعف علماً، فقط لأنه على خلق ودين ونترك الأقوى علماً لئلا يُفسد علينا ديننا، ولذلك فقد نتوارث مشروعات هشة متعبة، فقط لأننا لا نمتلك القوة الكافية على المواجهة، ولا الارتباط الحقيقي بديننا.. ذاك الذي يجعلنا نثبت ونصبر فنتلقى الدواء دون أن تتسلل إلينا العلل..

دائماً في التربية.. أسس ابنك إيمانياً بالشكل الصحيح، سلّحه بالتقوى.. أعطه قواعد السير في هذه الحياة، ملّكه زمام المبادرة والقدرة على النقد.. أيقظ فيه روح المسلم البنّاء.. وأرسله إلى منابع العلم مزوداً بأهداف الرفعة لأمته..

أمتنا تحتاج إلى القوة والإتقان في كل مجال..

هذا من صميم إعداد العدة المطلوبة ..

• عندما نتحدّث عن التاريخ المشوّه الذي بُثّ في عقولنا أجيالاً بعد أجيال، لا يجدرُ بنا أن نتحدث عن مسؤوليتنا بشأنه فحسب، فنلوم أنفسنا لأننا لم نبحث، لم نسأل، أو لأننا أغلقنا عقولنا فلم نفهم إلا ما قدموه لنا، وما أرادوا أن نفهمه..

بل علينا أن نُسأل أيضاً عن فاعليتنا في تغييره، وتقويم مساره، واستعادة روح الإسلام فيه.. من الصفوف الخلفية التي أرادوه أن يبقى أسيرها، إلى مكانه الحقيقي، لتكون له السيادة والمقدمة والقيادة...

كما أراد الله تعالى له أن يكون..

• عندما يأتي من المصري أو السعودي ليدافع عن حماها، ويستشهد فوق ثراها... لابد وأن ندرك ولو قليلاً قيمة هذا التراب الذي ندرج فوقه، وقيمة الشعار الذي نرفعه والراية التي نحملها..

لابد وأن تستقر عيوننا وقلوبنا على الرسالة التي نطمح لتحقيقها، والبداية التي نود أن نستقر عليها..

لابد وأن نحمل عبء الأمانة ونسعى بكل جارحة كي نؤديها.. لأننا سنُسأل عنها، ونُحاسب على كل ما فرطنا فيها...

- تعاملنا معه وكأنه في معزل عنّا...

لطالما بنينا حاجزاً ضخماً بين عالمنا وعالمه..

وتسلقنا الأسوار لنلقي نظرة إلى هناك..

لنراه كيف عاش وكيف مات، لنخزّن في ذاكرتنا بعض التفاصيل التي يمكن اختزالها في نظرة عن بعد...

كنا نعاني من فقده، نحن ونشتاق... نئنُّ وجعاً لغيابه..

لم نكن ندري أنه معنا بلا أسوار...

بكل التفاصيل الصغيرة من حياته، كانت هنالك دروسٌ تُعاد في حياتنا نحن...

خطواته الطاهرة، كلماته المؤثرة، دموعه وابتساماته...

طريق هجرته وجهاده...

الغار الذي كان يحتوي همّه...

الحجارة التي كانت ترد السلام عليه، والقلوب الصخرية التي لانت بين يديه..

الغصن الذي حنّ إليه... وأغصان الروح التي امتدت برعايته..

ينبوع الماء الذي تفجر بين يديه... وينابيع الخير التي تدفقت في عقول كل من ساروا على هديه..

لحظات النصر بكل التواضع لله فيها، ولحظات الهزيمة، وما استنبطه من دروس خالدة...

تعامله مع الصديق والعدو والمنافق... حلوله الحكيمة لكل الخلافات التي حدثت...

ثباته في لحظات الضعف... افتقاره لله في لحظات القوة..

رسائله إلى الحكّام... سُنّته مع الضعفاء... روحاً ومادة..

أمورٌ كثيرة ستظل حيّة للأبد، تختلف الأجيال وهي ثابتة، تتوارثها الأمم كنزاً لا يموت...

قتلناها يوم بنينا تلك الأسوار، وأقنعنا أنفسنا ببعدها، حتى بتنا نظن من يتحدث عنها وكأنه يهذي بضربٍ من خيال..

وبتنا نحاول أن نوقظه، ونذكره ببشاعة الواقع ومرارته...
كنا في الحقيقة مرضى إذ فهمنا السيرة من مبدأ البُعد لا من مبدأ التطبيق... وحكما على العالم كله من مبدأ الانفصال التام واستحالة التغيير الحالي...
كانت القلوب بين أيدينا مهيأة للسقاية، كانت الأرض مستعدة لإخراج الثمر...
لكن يأسنا سار بنا إلى غير طريق..
ظننا أننا نسير بالاتجاه الأصوب، وأننا سنعود ذات يوم لنطبق السيرة بحذافيرها...
طال بنا الطريق، وما وجدنا مطالبنا، ولا حققنا شيئاً من أمانينا...
لم يعد هنالك من سبيل سوى الاعتراف بهزيمتنا حتى ننهض، وبخطئنا حتى نسلك سبيل الصواب..
الاعتراف هو الخطوة الأولى، والقناعة هي المنطلق للتغيير..
الكنز لايزال بين أيدينا... والعبرة فيمن يحفظه وينير الدنيا به من جديد..

• صفعة أبي جهل لأسماء ذات النطاقين لا تزال تتجسّد في مخيلتي بصورة أو بأخرى عندما تؤذى الحرائر أو تُهان...
حاول جاهداً محاربة شيء واحد كبير، تصدى لعدو لا يراه، تمنى عبرها أن يوصل رسالة عجزه وضآلته ونقمته، لكنه في النهاية من خسر...
أسماء تابعت الطريق...
والصديقان في الغار واصلا المسير حتى أسّست دولة الإسلام في المدينة المنوّرة..
صُمودُ حُرّة يعني الكثير.. وثباتها لأجل القضية يحييها...
قد يقتلون كل من يصادفون، قد يعملون تعذيباً وتشويهاً... لكن صورة الرسالة العظيمة في القلب تبقى كاملة جميلة مستمدة نورها من الله تعالى.. لا تمتد إليها يد ظالم، ولا يحدّها قيد سجّان..
ولأجل ذلك فقط ننتصر كل لحظة، ويواصلون هم ذُلّ السقوط..

• لكل من قابلتهن اليوم..
الدمعة العالقة في عيونكن غالية جداً...
اسمحن لها بالعبور...
ابكين كما لم تفعلن من قبل...
ثم تعالين وقد ألقيتن عنكن الحزن والمنغصات وكل العوائق جانباً...
لنعدّ عدّتنا من جديد، ونجدل من ضفائرنا سروج الخيل الماضية للجهاد...
لنرفع اللواء، ونكتب التاريخ بمزيد من تضحية وإخلاص لله وبذل وعطاء..

• قالت لي وهي تراقب سير المعركة على بُعد أمتار منها...
وعندما هبّت الرياح فجأة، وانطفأت الأنوار، وعمّ الظلام مترافقاً مع صفير الريح...
كانت للأجواء رهبة..
فما كان من جبناء النظام إلا أن لملموا ذيولهم وانسحبوا...
تذكرتُ وهي تسرد لي الموقف؛ دعاء لم تفتر القلوب عن ترديده حينها.. « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، مُجْرِيَ السَّحَابِ ، هَازِمَ الأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ «..
دعاء المجاهدين على الجبهات، العاملين بكل ما يملكون من قوة، المضحّين بالأرواح في سبيل إعلاء كلمة هذا الدين...
اللهم تقبل منهم واحفظهم وسدد رميهم..

• اليأس يخجلُ منه...
يلملم حقائبه، ويقفز من النافذة المجاورة لسريره، أو يفتح باب غرفته على مصراعيه، ويولّي هارباً..
قد يلقي نظرة خاطفة على أسرّة الجرحى في ذات الطابق، وقد يرفع راية الاستسلام..
إنهم ليسوا بالجرحى العاديين..

هؤلاء من جنود الثورة المجاهدين، قد أتوا من محافظات شتى، قطعوا حدود الوطن فوق الأكتاف، مرّوا بظروف صعبة، أحدهم أصيب إصابة بليغة، وزحف خمسة كيلومترات على الحدود حتى وصل إلى من أخذه إلى المشفى..

وهو.. مجاهد من نوع فريد، لديه زوجة وأطفال، استودعهم الله وذهب يدافع عن وطنه.. فقد منزله وغدا ركاماً...

غدرت به القذيفة، لكنه ابتسم يوم علم أن قدمه قد سبقته إلى الجنّة، وإحدى عينيه... الثانية كادت تلحق بها لولا ألطاف الله...

يداه ممزقتان، كالوطن العربي، تربط أصابعه خيوط شتى، تصرّ أن الأصابع من ذات الجسد، وستُشفى..

يستقبلنا البطل بالترحاب، يطلب لنا العصير أو القهوة، نخبره أن كؤوسنا قد مُلئت بالرّضا يوم رأيناه ورفاقه بهذه المعنويات...

يدعو لنا بالخير، وتغمرنا الحيرة، بماذا سندعو الله وأمامنا شخص بهذا الغنى؟!!

يخبرنا أنه لا محالة عائد إلى الوطن ولو على ساق واحدة!

- تذكرني بأول قطرة دم لشهيد..

بمعنى الشهادة..

بروعة قدوم الربيع..

بنفحات الأمل..

بنفاذ وعد الله بعد تمحيص وتربية..

بعبق المسك بعد تضحية..

بتكبيرات مجاهد قدّم الروح في سبيل الله..

بسنن الله في الكون تدفع لمزيد من صبر وثبات..

بالجمال الحيّ الفطري المتجدد حتى يرث الله الأرض ومن عليها..
تذكرني..
بخطوات المؤمنين..
بلمعة اليقين في عيون الصادقين..
بنبض الثائرين..
ببسمة كبرياء رغم الجراح
بأيادٍ ارتفعت لتؤدي القسم
بنشوة انتصار يوم وفاء وعد من أهل الوفاء..
بدمعة حرقة ترويها لم تزل..

- إخوتنا المجاهدين على الجبهات..

وقفتكم وقفة عزّة لا تُشترى بكنوز الأرض..
نرقبُ بطولاتكم بكل اليقين بالله، ونقولها من أعماقنا..
ياليتنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً..
حفظكم الله وثبتكم وسددكم ونصركم..

- بأيدينا نخط حروف المجد..

بخطواتنا نرسم خطوط الفجر..
بعزيمتنا نفتت صخور اليأس...
ونكتبها على الجدران بلون الدم..
« حيّ على الجهاد»..
اليوم..
حمص كانت تنبض بهتاف حرائرها...

• ولقد ظننتُ أن أسرار المدينة لي تكشّفت..
فحفظتُ كل سراديبها وخبرتُ كل أزقّتها..
وعن ظهر غيب بتّ أعرف أعداد الشّجر..
وكل التفاصيل الموشومة على الحجارة..
وألقاب أهل كل حيّ.. وعاداتهم...
وطبائع الناس، وكم طيراً قد يحوم في الأفق قبل الغروب..
وكم طيراً سيصحو بعد الفجر....
وكم زهرة تتفتح في صمت على قارعة الطريق..
وظننت أن قطرات الندى قد حفظت وجهي وقد جعلتها مرآتي كل صباح..
وظننتُ أن السلام نافذتي على معشر الأحياء..
وأن فكّ طلاسم اللغات المبهمات قد بات بعد زلزال عبَر..
ملك يدي..
وبأن قلبها خفّاق بودّ... تماماً.. مثل قلبي..
فإذا بي أرى المدينة كلّها حروفٌ مبهمات.. وأسرار...

• بعض الحروف تُكتب قويّة محفّزة نابضة، فتكون كالذخيرة، تُرافق المجاهدين على الجبهات..
وبعضها تُرسل من قلب مخلص، فتُرفع إلى الله في دعاء صدق لعلها تُقبل فتدفع البلاء..
وبعدها تُخطّ بحبر سرّي لا يبين إلا بعد دهر، تراها تختفي مدّة، لتظهر فجأة وهي تتصدّر كتب التاريخ... لاً يَراها أصحابها، لكنها تمتد أجيالاً بعد أجيال..

- للحرّية خطوات..

قد يكون أولها كسر القيد..

ولكن ذلك لن يكون إلا كمرحلة أولية تكشف قيوداً كثيرة في كل خطوة على الطريق..

ومفتاح تلك القيود واحد.. في ضمير كل مسلم..

« لا إله إلا الله» ..

- قد تحتاج أكثر ما تحتاج إليه في لحظات إلى قلب حيّ.. يساندك إذا ما أظلمت في طريقك الدنا، لازال يغضب كيوم ولادة الغضب، لازال بوسعه الصّراخ وكأنه استعاد ذاكرة صوته للتو..

قادر على الإقدام دون تردد.. على البكاء ذات حزن دون أن يقول.. قد تعبت من البكاء..

وجفّت روحي لكثرما نزفت ألماً..

قد تحتاج إلى تلك الروح وأنت تتنقل من غار إلى غار...

صادقة.. نقية.. ثابتة.. لتشد من أزرك، لتقيك شرّ الضعف والوهن..

فتهمس لك بإيمان..

« لا تحزن.. إن الله معنا»..

- حدود نخطها بألوان متباينة على خارطة الثورة في المدينة..

نجعلها مناطقية حيناً، أو تابعة لتيارات دينية مختلفة أحياناً..

كانت ذات يوم قلباً واحداً..

كان للجميع روحاً واحدة.. اسمها حمص..

خفقات قلوب شبابها تنبض في كل حي...

قطرات دمائهم لا تحمل نزعة عصبية..

لا منّة في الثورة على أحد، لا فضل لثائر على أخيه إلا بالتقوى..
لا دعاوى جاهلية، بل محبة وإخاء، وتعاون على الخير، وجهاد على قلب رجل واحد، ضد عدو واحد..
لكن لنعترف.. قد أخطأنا، وابتعدنا عن المسار، تفرقنا، اختلفنا، نسينا تلك الروح، تناسينا الهدف، ولحظات غالية جمعتنا تحت راية التوحيد.. علمتنا حقيقة التكبير، لقنتنا دروساً في اللجوء إلى الله وحده، والاستغناء عن كل من هم سواه..
اليوم قد تُنزع عن المدينة هويتها، قد تتغير أسماء الأحياء، قد تُدنّس المساجد كما يُقتل الإنسان، قد تصبح السنّة هوية الغرباء.. إن لم نتدارك أمرنا وننحي كل خلافاتنا جانباً، ونسابق..
لا لأجل سمعة ولا شهرة، ولا لإبراز شجاعة، ولا لأجل أن نغدو رموزاً..
بل هو سباق المؤمنين إلى رضوان الله..
حمص العريقة، مدينة التاريخ والحضارة، مدينة ألفها الصحابة، وبات سيف الله لها عزّاً..
مدينة العلم والحكمة والبسمة والطيبة والنقاء..
لا يليق بها سوى أن تنهض، وتقاتل بكل شجاعة، وتنتصر..
حمص أمانة في عنق كل مسلم..
لا أقول مسؤولية ريف أو مدينة فحسب.. بل كل مسلم ينبض قلبه بحب الأمة..
ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد..

- مجتمع مثقل بألوان المشكلات، خليط من البشر اجتمعوا في مأوى للنازحين على غير ميعاد.. وحّدهم الألم والنّزوح..

هناك يبين المرض، أوجع ما يكون، وتكون الحاجة للعلاج أشدّ ما تكون..

هناك يسأل العابرُ نفسه، ماذا قدّمت لهؤلاء؟
هل بلّغت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آية؟!
ماذا فعلت بعمري وشبابي وقوّتي وكلّ ما وهبني الله إياه من النّعم؟!!
حين تهجر الطفولة براءتها، لابد أن نسأل أنفسنا..
هل نحن السّبب؟!!
حين نهجر نحن الواقع ببشاعته، وننزوي في غرفتنا نتصفح مواقع التواصل، نأوي إلى أقصى ركن من المجتمع، لنخبر الجميع عن حضورنا..
لابد أن نواجه أنفسنا.. أين نحن حقاً من هؤلاء؟
شهاداتنا التي نستعرضها، لننال عشرات التهاني..
خبراتنا التي ننافس فيها أقراننا..
ديننا الذي نتعالى فيه على الخلائق..
المال.. العز.. الجاه.. القدرة..
كلها أمورٌ موضوعة في الميزان، لكننا لا نزِنها، لأننا لا نراها أصلاً...
الطفل وجّه بريشته صفعة لنا لعلها توقظ بعض الضمير.. فنعود لنشر الرسالة على أرضنا وبين أهلنا، قبل أن نفكر بالهجرة، ونشرها في الغرب البعيد..

اللهم اغفر غفلتنا وتقصيرنا وضعفنا، وأعنّا على الدعوة إليك كما تحب وترضى.

- حتى الكافر يتذكر الله ويعلن توبته عند الشّدائد..

ما أوقحه إذاً مسلم يجاهر بمعصيته على رؤوس الأشهاد!!

- غصّة لا يبددها فرح..

ودمعة لم تجف يوماً.. تسرقنا من عالم صاخب، تأخذنا جانباً من ضجيج العمل..
وجوههم... بسماتهم... نبرة أصواتهم... ظلالهم في كل مكان حولنا...
وحين يعصف بنا الحنين..
يرحل كل شيء..
تتلاشى الوجوه والصور..
ووحدهم يبقون..
وقد رسموا برسالتهم وتضحياتهم في قلوبنا بسمة الأمل..
.....
راما...
جفّت أوراقنا وتيبّست..
وورقتكِ بقيت خضراء..
هنيئاً لكِ..

- طيبتنا الزائدة، تعاملنا مع الأمور ببراءة مطلقة..

حسن الظن المبالغ فيه، وتغييب الشّك وربط مجريات الأحداث...
نسياننا للتاريخ.. غفلتنا عن تفاصيله ووقائعه..
سطحيتنا في التعامل مع القرآن والتفقه في معانيه..
قناعتنا أننا غرقى، وتعلقنا بأية قشة حتى وإن كانت مفخخة!
كلها من المهلكات..
المؤمن كيّس فطن.. وليس المؤمن «كيس قطن» !!

• لا تبتر الأعمار في حياة الجهاد، كما أنها لا تطول خارجها..
وفي حياة الجهاد.. لا تنقطع الأرزاق، كما أنها لا تمتدّ خارجها..
وفي حياة الجهاد.. لا ظروف مهيأة لضمان السلامة العامة، كما أنه لا ضمانات لذلك أبداً خارجها..
لا فرق بين فقدان الأطراف نتيجة قذيفة، أو فقدانها بسبب حادث سيارة..
كل الفرق أنه في حياة الجهاد، الأجور تُضاعف، والواجبات تؤدّى، والنفوسُ تُبنى، والشيطان يُدحر، والقرب من الله يزداد.. إن خلصت النّيّة، وحَسن العمل

• وكم نحتاجُ في لحظاتِ الشّدّة لأن نأوي إلى رُكن شديد..
ركن تتجرّد قلوبنا فيه من كل شيء.. وتُعلن استسلامها المطلق لله وحده..
ركن نعلن فيه ضعفنا وانكسارنا، نبوح فيه بآلامنا، بآمالنا...
ركن نُشهده فيه أن القوّة قوّته، لا نطلبها من عند أنفسنا ولا من سواه..
ركن ننشرُ فيه أحزاننا في سجود، ولا نخجل من دموعنا مهما سكبت، ولا نواري ضعفنا مهما استبد..
وما أحوجنا في ذلك الرّكن لأن نشتد، وتستقيم عزيمتنا، وما أحوجنا في ذلك الرّكن لأن نُبنَى لنَبنِي.. وأن تستريح قلوبنا المتعبة لتواصل، وأن تمتلئ نُوراً كي تضيء..
وما أحوجنا لأن يلازمنا في كلّ معركة ونحن نأخذ بأسباب النّصر..
وأن نستعين به عند رحيل الشمس لنحتمل وجع الفقد، وأن نلوذ به كي لا نحيد حين تُفتح لنا أبواب النّصر..
وأن نجده معنا في القُبور إذا التحفنا التّراب...

● لم أكن أعلم أن مصافحة طفل في الثامنة من عمره موجعة إلى هذا الحد.. حتى صافحته!

كانت يده في جيبه طوال الوقت، وكانت عيناه تقطران كبرياء وعِزّة..

لم يُرِد أن يكون مختلفاً عن رفاقه الذين قدموا وألقوا التحية عليّ وصافحتهم..

مددت له يدي، ولم يشأ أن يُبدي عذره..

سريعاً مدّ يده، لم أرها، لكنني شعرت بشيء ليّن جداً في كفّي..

شعرتُ بقلبي يذوب ويتلاشى، كأصابعه التي تلاشت تماماً..

لم أفكر أننا وبعد اليوم قد بات متوجباً علينا أن نفكر ألف مرّة قبل أن نطلب مصافحة طفل لا نعرفه..

فلعله لا يملك يده، ولعلها سبقته إلى الجنة..

أخفى عينيه عني لما لاحظ ارتباكي، وكم تمنيت لو عاود النظر إلى عينيّ للحظة، لأعطيه جرعة ثقة.. لأخبره كم أنه بطل بثباته..

تلاشيتُ أمامه وتلاشيت..

كان هو جبل في قمّة الصمود والكبرياء..

وكنتُ في قعر الألم..

● للمرّة الألف..

لا تنتظروا الخلاص من المؤتمرات، لا تراقبوا الأحداث من خلف الشاشات، لا ترقبوا الشريط الإخباري ليعلن سقوطه، لتتأهبوا حينها، وتعرضوا خطط البناء والفكر والإعمار.. لا تستجدوا أوباما ليخبركم أنكم قد تحررتم أخيراً.. ولا جامعة الدول العربية لتجمع شملكم..

لا تعيشوا الحدث كالأموات ينتظرون مسبقاً أن تعلن المآذن خبر رحيلهم..

قد يأتي يوم لا نجد فيه مئذنة تكفي لتعداد الشهداء فضلاً عن بقائها منتصبة إلى حين قدوم الفرج..

لا تقتلوا أعماركم في شتات لتصبحوا جزءً من خطط الآخرين ومصالحهم، لا تغرقوا أنفسكم في مشكلات لا تعنيكم، أو أخرى لن تتمكنوا يوماً من حلّها، وكل ما في الأمر أنهم يريدونكم زيادة عدد!

أعيدوا موازنة الحاجات، وافتحوا الأقفال، تحرروا من عجزكم...

اغرسوا فسائل الأمل في كل مكان.. علّقوها بتحدٍّ على الجدران، اقتبسوا ألوانها من بسمات الأطفال، سدّوا الثّغرات بصمت، ولا تلتفتوا.. واحد يحذركم، وآخر يشتتكم، وثالث يثبطكم..

تابعوا مهامكم... لا أحد سواكم يعرف قدر الحاجات، لا أحد مثلكم يحسّ بمواطن الخلل، لا أحد ذاق مرارة الآلام، وضحّى لتحيا أمّة.. ولا أحد سيأتي يوماً ليحلّ مشاكلهم، ويحس بمعاناتكم، ويداوي جراحكم.. كما أنتم..

ودّعوا حالة الموت هذه، سيأتي يوماً في موعده لن يتأخر..

المهم ألا تهلكوا ندماً، لأنكم لم تتهيئوا لاستقباله وقد أديتم ما عليكم..

- هي هكذا..

معارك القصير، محت الحدود المرسومة على خارطة الوهم، وأظهرت حقيقة الصراع جلياً دون خداع..

- ما عدت أذكر اليوم تاريخ أيّ مجزرة هو؟

موعد أيّ زفافٍ في السّماء؟!

أية رحلة أسطورية قد ابتدأت لشابّ كان يبدو عاديّاً..

أيّ تتويج حدث لفتاة كانت نساء الحيّ يتحدثن عنها.. أقل من عاديّة كانت!
وتحليقٌ بديع مع رفرفة أجنحة الطير لطفل لم تخبره أمه في حكاية قبل النوم عن الجنة..
كان المشهد الأخير لكل هؤلاء مروّعاً..
كان سفرهم سريعاً جداً، لدرجة لم تتح لهم فرصة أن يكتبوا وصيّة أو رسالة وداع..
كان ذلك أمراً حاسماً، حدثاً مفصلياً في حياة كثيرين..
وكانت لحظة ارتقائهم إلى الجنة هي ذاتها لحظة سقوط آخرين..
كلّ من تسببوا بشكل أو بآخر في إحداث تلك المظالم، أو السّكوت عنها، أو القبول بها، أو ادعاء العجز مع القدرة...
كل النائمين الآن ملء جفونهم، الآكلين ملء بطونهم، الضاحكين ملء أشداقهم، اللاهثين خلف أهوائهم، غير الآبهين بما يحدث.. لحظتهم المفصلية حانت أيضاً... سيطرق بابهم يوماً، ويأخذهم إلى عالم آخر كان عليهم أن يتوقعوه..
فهل حضّروا الجواب ليوم الحساب؟!!

• أجواء الغيم الحالمة.. خطوط البرق النورانيّة التي ينقش فيها على جبين السّماء قصّة حب... قصف الرعد المهيب، وسرب الحمام المتّحد بلونيه الأبيض والأسود وهو يحوم حول المئذنة، ليصوغ حكاية الثبات.. رائحة المطر العبقة بعطر زهر الليمون الذي تفتّح على الأشجار.. وصوت رصاص الثّوار.. كلها تمازجت معاً في لوحة عند الغروب..
تُرغم كلّ حُرّ أن يسكنها، أن يموت لأجلها عشقاً، ألا يبرحها حتى يعلي فيها بالحرّيّة راية التوحيد...

• حجم الألم يجب أن يرفع نسبة العطاء والتراحم والتعاطف في القلوب..
فإن حصل العكس وأوصلها إلى حالة من الاعتياد والقسوة وقلّة المبالاة، فالخلل في الإيمان..

لأن المؤمن خُلق ليعمر ويبني ويصلح ما استطاع.. ومع ازدياد الألم تزداد طاقته ورغبته بالتعويض والعطاء..

فمتى تحمل الأمة المسؤولية لتواجهها على صعوبتها، بدلاً من التهرب منها، أو التغاضي والتعامي عن حقيقة وجودها، وعن كون التحرك بكل أنواع النصرة لها واجباً محتماً على كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله..

- لامتني إذ لم أعد أكتب كما كنت من قبل.. فقلت لها..

لقد طلّقت الكتابة يوم عرفت أن الحروف وإن حلّقت، فهي لا تلبث تسقط فتموت في مثلّث القتل والهمجية والضّياع..

طلقتها حين عرفت أن الكلمة كالإنسان، فقدت قيمتها ومعناها..

ما قيمة الكلمات أمام الدم؟! ولماذا نريقها كماء الوجه أمام من لا يقدّرها؟!!

تحت سيف الجلاد، لا يبحث أمثالنا على عبارة مجاملة، أو كلمة تعاطف، أو سُخف «أعجبني» على موقع تواصل، تدفعك للتساؤل، أحقاً أعجبك الوجع؟!! ماذا لو لم يفعل؟!!

هل سمعت صدى صوتي؟! هل وصلك الأنين؟! هل نفذت إليك رائحة الدم؟ وصرخة الأطفال ونداء الحرائر وبكاء الثكالى إثر كل مجزرة؟!!

كثرت المجازر، وباتت أكثر من أن أكتب عنها، أو أن تحتويها حروفي في زمن الصّقيع الإنساني..

رغم هجمة الحر القادمة، لا شيء من مشاعر البشر يذوب، ولا تتحرق أكبادهم كمداً على صور الأطفال التي تتوالى على الشابكة..

رؤوس مقطعة، أطراف محرّقة، أذرع مبتورة، بسمات مشوّهة... ذهول فيما تبقى من نظرات تاهت وهي تنتظر من يخلّصها..

الشهداء بالمئات، ولكل شهيد قصّة، وتاريخ، وهويّة، لابد وأن تكون « سنّيّة»..
يغتالونهم في الطرقات، في البيوت، في غرف النوم..
يخطفون الأطفال من ملاعبهم، ويخطفون الفتيات من عرائسهن ذوات الأثواب الورديّة، ويتركوهن جثثاً هامدة..
القتل شبح يتربّص بالناس في كلّ مكان... القتل وحش جائع لا يشبعه اللحم ولا الدم..
لا يشبعه إلا زوال أصحاب تلك الهوية، وبقاء أسياده..
مكتوب في هوية القاتل « مجرم»..
والمجرم. وحش تُسمع قهقهته مع كل حقيبة سفر تُحزم مغادرة، يسهّل لها إجراءات الخروج، يرتدي قناعاً لطيفاً، ولسان حاله يقول.. ابتعدوا، أفرغوا هذه البقعة لنا، اهربوا من تلك البشارة التي أقضت مضجعي أعواماً.. فرّغوا أرض الشام من روحها... اتركوها لتكون أرضنا وحدنا...
إنه يقوى بضعفنا، يتغذّى على جُبننا وتخاذلنا، يساعدنا بهمة أعلى ما تكون لنبرر استسلامنا ووهننا.. يخبرنا أن ليس لنا من الأمر شيء، لا حول ولا قوة ولا إرادة ولا قدرة..
يشاطرنا الطريق نحو أقرب نقطة حدوديّة، أو إلى أقرب مقبرة...
ويعود بابتسامته العريضة إذا ما شبّت بيننا الخلافات فافترقنا وراح كل واحد منا في سبيله..
وجهه يشرق كلما أظلم ليلنا، وتخبو نار ليله وتنطفئ إذا تلاحمنا وعُدنا إلى رُشدنا..
يُرعبه القرآن يتلوه في منفردات السّجون معتقل مكبّل بأغلال الظّلم، لكنه رغم كل شيء حُرّ وحر...
تقتله عزّة امرأة أبت عليها كرامتها ودينها إلا أن تثبت وتقدم ما استطاعت لتخدم عقيدتها..
تمزقه إرباً ابتسامة طفل يخربش على التراب فيرسم طيراً حُرّاً، ويمسك بالعصا، فيلعب

مع رفاقه لعبة الجيش الحر وعنصر الأمن، يخبرهم أنه بات رجلاً ولديه بندقيّة..
يتضائل خوفاً من نظرة عجوزٍ تلتفت إليه لتناوله ذات الهوية، يتفحصها ويرتعد حين يعيدها، ويقولها علناً..
أنتِ أيضاً إرهابية...
يموتُ من إشاعة تنتشر عن عناصر جيش حر مؤمن.. منه تقترب.. ترى الفزع في عينيه من أصغر طفل..
تراه ينبش حقيبة المدرسة، يتخيل كل قلم خنجراً، ويظن المبراة قنبلة يدوية!
ورغم ذلك نفزع منه، نسلّمه الرّقاب، نمارس يومنا بفتور، بانتظار ميتة سريعة لا وجع فيها.. وفي السجود نتمنى على الله المعجزات، أو مجرّد حفرة تحت الأرض تريحنا من هواجسنا..
الغريب أن سلاحنا بأيدينا، والنّصر متاح.. لكننا نختار دوماً دور المشاهد السلبي، القاعد بلا حول ولا قوة..
وبأننا نستكثر على أنفسنا التي تعاني ثقل الذنوب من خطوة إلى درب الخير.. وهجرة عكسية، إلى أرض الجهاد..
الغريب أننا نموت ألف مرة قبل أن نموت فعلاً، والحياة الطيبة بين أيدينا..
فلمن أكتب؟!! ولماذا بالله أكتب؟!!

- كل قطرة دم جديدة، تدفعنا لنتساءل..

هل استيقظت أمّتنا حقاً؟!!
هل تحرّكت في نفوس شبابها روح الثورة للحق والعدالة؟
أهذا هو الإسلام الذي يسكن القلوب؟ أم أننا شوهناه كثيراً وابتعدنا عنه بُعد الأرض عن السماء، واكتفينا منه بالقشور؟!!

• سوء استغلال الفرص العظيمة التي يمنّ الله بها على الأمّة وعدم أخذ الأحداث التي تهزها بجدّية، وعدم البناء عليها، يعني أن يقبع الشعب في أعوام ذل طويلة ومريرة، حتى يبعث الله من يحيي على أيديهم ما مات من عزائم أهلها، ويوقظ ما تبقى منهم من سباتهم..

• الطيرُ يشتاقُ الأمان..

هو يدري أنه لن يحوزه إلا إن انضمّ إلى سربه المهاجر إلى الجنّة..

ذلك السرب الواضح المعالم.. ذلك السّرب الذي يسافر في ليالي الظلمات الحالكة متجهاً دائماً نحو النُّـور..

من أصبح منكم آمناً في سربه... فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها..

الأمان ينفي الخوف من العدو... يولد من الثّقة بالله، والأخذ بكل أسباب العمل..

الأمان يولد من الإيمان... يتوهج في القلب ويصقل الروح مع كل اختبار..

الأمان.. ينشأ داخل المحن، تنبت شجرته من قلب الخوف والرعب والدمار..

تتفتح ياسمينته في لحظات تربص العدو بك، ينشر في الأرجاء طيب معيّة الرحمن وعنايته...

الأمان صباحٌ آخر يشرق النفوس المجاهدة.. في الأسراب السّائرة على نهج النبي.. لا نكوص في هجرته، ولا خلل في بيعته، ولا تراجع أبداً عن قِبلته..

هذا هو الأمان المنشود..

هو لا يشبه أبداً أمان المتخاذل حين يختبئ في مكان قصي كي لا يؤدي واجبه..

هو لا يشبه أمان من تركه أهله يقتلون وهاجر لينجو بنفسه..

هو لا يشبه أمان من حاز نعيم الدنيا وهجر السّرب المتجه نحو الآخرة، فلم يصحح الوجهة، ولم يرفرف بجناحيه مغالباً كلّ الصّعاب... ليعلم الناس الحرية..

• من اللحظات الجميلة التي يمكن أن تقضيها في حياتك.. وأنت تشاطر طفلاً أنهكته الحياة.. لعبة كرة قدم، بعد صباح غائم بأحزان القصف وفجائع المدينة..
حتى الكرة المهترئة فيها تحكي أروعَ قصص الصمود.. فيعلّمك الرّكل بقوّة، وتعلّمه اكتشاف روعة ابتسامته!

• بساتين الوعر تُقصف منذ الصّباح الباكر..
ثمانية أرواح طاهرة صعدت إلى بارئها، بينهم طفل في العاشرة..
هذه البساتين التي امتدّت عليها الخضرة في ربيع قاس.. تفتّح فيه زهر شقائق النعمان ليضفي شيئاً من البهجة على وجه المدينة الشاحب..
أخبرتنا كل زهرة فيه أنها تفتحت وارتوت من دم شهيد..
ويأبى التراب أن يجف!
الحقول تتحول إلى مقابر..
القذائف تقلب التربة..
تُزرع بالرّصاص...
وحدها الزهور هي التي تستطيع أن تتخطى الأمكنة، وتغفو فوق القبور، وتودّع الشهداء، وتُبشّر أهلهم، وتستبشر بمن بعدهم!

• وصيّة عُمريّة على أبواب المقدس..
نحن قومٌ أعزّنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره.. أذلّنا الله...
وصيّة معاصرة من فتاة مقدسيّة:
لا تتركوا أرضكم، لا تكرروا خطأنا..
....
منذ أن تجاهلنا الوصية العُمريّة..

وسقف الوصايا ينخفض..
ونحن نُلدغ من ذات الجُحر..
ولا نتعلم أبداً من أخطائنا..

- نحن معاً على جبهة واحدة..

قد لا تتآلف أرواحنا كما كنا نتوقع..
قد نختلف في الاتجاهات الفكرية..
قد تراني كتلة من الأخطاء، وأرى في طريقة تفكيرك فجوة يصعب التعامل معها..
قد لا أتفق معك بالمطلق.. ولا تتفق معي بالضرورة..
لكن هذه الوقفة العزيزة أمام الله جمعتنا..
وهذا الجهاد وحّدنا شئنا أم أبينا.. وإن انتمينا لمجموعات وكتائب متباينة.. أو مدارس فكرية مختلفة.. لم يكن الاختلاف دليل فرقة، كان دائماً دليل ثراء وإثراء حين يكون الانتماء للإسلام هو المركز..
الإسلام جمعنا باختلافنا، المحنة أجبرتنا أن نقف جنباً إلى جنب..
العدو الواحد أرغمنا أن نتقابل، ونلقي التحية، نتصافح، وربما.. نبتسم ونتبادل أحاديث مختلفة لا علاقة لها بالقتال بالضرورة.. قد أجد فيك الهمة، وتجد فيّ شيئاً يشبه الصدق..
التقوى ستبقى تلاحقنا لننقي قلوبنا، لنمحو كل ضغينة، وكل رواسب خلافاتنا..
ما نويناه لله لابد أن يحررنا من أهواء النفس، قبل أن نحرر هذه الأرض بعزائمنا..
أنا وأنت.. لابد أن نتعاون، لنكون من أسباب النصر..
أخوتنا ستحطم كل الحواجز، سنتعاون ليكون الاجتماع في الدنيا على ذروة سنام الإسلام، سنؤدي حقه بما يرضي الله..
سيكون ملتقانا الجنة بإذنه..

- قد يهولك حجم المصاب وصداه...

لكن لطائف الله تذهلك أكثر!

- أصدق أنواع الخطاب هو الذي يدور بين شهيد ومشروع شهيد..

- بعد كل مجزرة.. ومن هناك.. من مكانهم البعيد يكتبون..

اللهم اغفر لنا تقصيرنا..

شباب بكامل قدرتهم وقوتهم ظنوا أنهم أدوا ما عليهم بدعاء عابر.. بحروف وكلمات..

وكأن خذلان من استنصروهم في الدين مجرد تقصير في أداء أمر مستحب..

وكأنه تغييب لشيء من الكماليات في حياتهم، لا دماء فيه ولا أرواح بريئة تزهق ولا أعراض تنتهك..

وكأنه ما يجري من مظالم هو آخر الهموم بعد هموم العيش التي لا تختلف عن حياة باقي الكائنات حين تُخلى من جوهرها وتفرغ من رسالتها..

إنها مجرد كلمة عابرة يقولونها من باب إزاحة الهم عن الضمير.. تُعرض على الملأ لا حياة فيها، فقد خرجت ميتة أصلا بلا روح..

لكنها بالتأكيد تسمع بطريقة تختلف كاختلاف ما بين السماء والأرض من شباب مجاهد يصل الليل بالنهار ليؤدي واجب الأمة عليه.. يقولها بعمق وإخلاص.. قد لا تُسمع منه لكنها تُرى في عينيه بعد كل سجدة.. وروحه الوثابة التي تولد مع إشراقة كل يوم جديد..

- لا لوم على من تحادثه عن قضيتك بحرقة ويتفاعل معها ببرود..

بلّغه... ولا تنتظر منه خيراً فلربما لم يكن لديه قلب أصلاً!!

• أغلى ما يربط المسلم بأخيه رباط الدين وابتغاء وجه الله والدار الآخرة.. لا يبتغيان حين يلتقيان سوى خطوات ترفعهما على طريق الخير..
لا يأبهان بالعثرات، ما دامت معية الله هي المبدأ والمعاد والصحبة طوال الطريق.

• بعض الطرق المسدودة تلهمك مثلاً لشقّ فتحة سماوية، أو حفر نفق يؤدي بك إلى حيث تتوق نفسك وتتمنى..
فقط إن جعلت الله وحده غايتك ورضاه مطلبك..

• وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضى..
في لحظة العجالة كم تسدُّ في وجهك السّبل، كم تُنصب العراقيل..
كم تطحنك رياح الفرقة، وكم تشتتك عن هدفك الظنون..
وكم لحظة تفكر فيها لو أنك لم تحتمل ذلك العبء لئلا تُسأل عنه..
وتبقى في امتحان المواجهة أمام ذلك كله..
هل تتقدم؟ هل تتأخر؟
هل تقف مكانك تنتظر نهاية الحكاية؟!
لعلك تحتاج لضبط إيقاع الخطو إليه..
لعل الخطوة الثقيلة وأنت تحملُ ما ادخرته لأجل ذلك اللقاء تُضمّ إلى خانة السير والسّبق..
وقد تكتشف يوماً أن ما حملته لا يلزم، وبأن محاولاتك في اختيار الدروب الوعرة وسلوكها ودفع كل الثمن على تلك السهلة المنبسطة التي يسلكها سواد الناس، كان ضرباً من الجنون..
وقد تشكّ لحظة باختيارك، بقدراتك، بإيمانك بتذليل الصعاب، وبإبداعك في نحت الصخور..

قد تقيدك الظنون، وتُرمى بالحجارة من أولئك الذين تعاهدوا معك على غرس الزهور..

ولأن المحن تصقل وتُربّي..

فلن يضيرك كل ذلك، ولن تبالي..

حتى وإن سرت وحدك آخر الركب..

فأنت في النهاية قد عملت ما بوسعك ..

وضمن استطاعتك البشرية..

إلى رحمة الله ورضوانه قد عجلت..

• وكم يؤلمك تكون دائماً على المحك، وأمامك أوراق اختبار لم تفكر أنه سيواجهك بتلك الطريقة.. دون تحضير أو استعداد..

فإذا بك تبدأ من الصفر..

فتتعلم أبجديات لغة لم تعرفها أبداً من قبل، وتخوض غمار تجارب لم تتخيل أنك ستخوضها في ظروفك العادية، وتجد نفسك مضطراً لأن تشدّ حبل النجاة في مقدمته، فقط لأنك لا تجد من يقوم بذلك سواك!

ذلك لأن أبطال القمم تخلوا عنها، أو انشغلوا بأخفض درجة في سُلّم الأولويات..

ذلك لأنهم لم يعتبروا تلك الفجوة من الفراغ وهي تتسع.. أو ربما فقدوا ذاكرتهم الفطرية التي لو قاموا عليها لثبت الحصن أمام أعتى جيوش الغدر وفي أحلك ظروف الحصار..

• شعور لطيف هروبك من رصاصة القناص..

ما بين الشارع والشارع بحر من الظلمات..

الأنوار مطفأة، وأنت تحاول الفرار بكل ما أوتيت من رغبة بالحياة..

تخفي بحذر جهاز هاتفك النقال، لئلا يتصل أحد فجأة فيضيء في يديك، وتسبقك الرصاصة عن صوت صديق يتفقدك ليطمئن عليك..

تعبر الشارع ركضاً..

على الضفة المقابلة تلتقط أنفاسك، وتستقل السيارة بحذر، وتتأكد من تشغيلها والأنوار مطفأة..

وبين الشارع والآخر، ترى الشباب مستنفرين، منهم من يشعل ناراً ليكثف من الدخان، ومنهم من يفكر بطريقة يحمي فيه الحي وأهله..

وتراهم جميعاً يرددون نفس الكلمة..

مشان الله لا تشغل ضو السيارة..

وتسمع صوت الرصاص من خلفك، يستهدفك أنت دون سواك..

إذ لا أحد في الشارع غيرك مرئي، وبقايا من الخيط الأبيض في السماء بعد الغروب تكشفك..

تتسلل إلى شوارع جانبية، وتسمع ذات العبارة، بكل ود واهتمام..

تخترق جموعاً يحتشد فيها شباب ثابت قويّ..

تشعر بدعوات الرحمة تصعد للسماء.. كي يحفظهم الله..

وبدعواتهم تشبه كثيراً ما دعوت به..

تتأمل ليل المدينة مظلماً كئيباً، لكنه لم يعد كذلك بعد اليوم..

فهناك وجوه نضرة قد شرقت فيها أنوار الإيمان، ولمعة في العيون لا تراها إلا في صفوف أهل الهمة والجهاد..

العتمة تسري في كل مكان.

لكنك ما عدت تراها عتمة أبداً..

فأنت ترى بعد كل قطعة من الليل وهج الصباح..

• « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً...»

في غمرة انشغال العالم بصفقات البيع والشراء على أنواعها..

شراء البضائع، شراء الضمائر، شراء الأصوات، شراء النفوس..

تبقى صفقة وحيدة رابحة، بشائرها واضحة..

ينشغل فيها شباب مجاهد، قد عرف طريق النصر فسلكه..

فهو على أي حال منتصر بمجرد اختياره، فيما من يظنون أنفسهم من أصحاب الصفقات الرابحة، يتهاوون من خسارة إلى أخرى..

فيا أهل الهمم العليّة.. استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به..

« وذلك هو الفوز العظيم».

• وتسألني وقد أنهكها العمل فلم تنم من الليل إلا سويعات قليلة..

أتراني قد تحولتُ إلى آلة؟ وأوهكذا يحيا البشر؟!

وأجيبها .. بلى وربّي إنها طيب الحياة ما دامت في طاعة وجهاد..

لا تنظري إلى المنعمين في فُرشهم، النائمين ملء جفونهم وقد آثروا راحة النفس والجسد على جهادها في طاعة، فهل يختلف ذلك العيش عن الأنعام؟!!

• أن تمشي على استحياء لا يعني أن تُسلبي هدفك أو رسالتك..

لا يعني أن تفقدي هويتك، وتعيشي على الهامش..

ولا أن تُحرمي الفاعلية والعمل.. ولا أن تفرّطي بدورك في البناء والدعوة.. في الجهاد..

أن تمشي أي أنك في حركة دؤوب، في همة علية، في عطاء مستمر..

وحياؤك لا يسلبك هذه الفاعلية، بل على العكس تماماً.. إنه يضيء جوهرة قلبكِ بالإيمان والتقوى وطاعة الله..

لذلك.. تحركي دائماً.. انثري النور..
لا تستسلمي لدعاوى الشلل.. لا تخشي الناس أو فكرة الفشل..
على استحياء» ستضبط بوصلة قلبك، وحسن التوجه في عملكِ، وتحفظكِ أينما سرتِ..
فعين الله ترعاكِ.

• كبروا قبل أوانهم وباتوا يتسابقون لحمل العبء.. فيحتملون فوق طاقتهم، لا يشتكون ولا يتذمرون، لا يعرفون اليأس ولا يعرفهم الكسل..ومنهم من هرم وهو يحمل من الهموم ما لا تحمله الجبال الرواسي..
قد يتألمون بصمت، ينزوون بعيداً.. ثم يعودون بطاقة متجددة..
لولا مساندتهم بعد الله لكان الوضع في غاية السوء والصعوبة..
أولادي وبناتي ، إخوتي وأخواتي من جمعتني بهم رابطة الدم والنسب، ومن جمعتنا راية الإسلام وما أعظمها من راية..
شكر الله لكم وجزاكم عن الإسلام خيراً..
أنتم حقل زهور ممتد فوق الرّكام إلى ما لا نهاية..

• يمكننا كتابة مجلدات في المحظورات والممنوعات والمحرمات وتقديمها لكل من نقابله بانتظار أن نجد نتيجة ما صنعناه واقعاً في التطبيق والسلوك..
لكننا لن نجد نتيجة لذلك إلا بالاحتكاك والقدوة.. بالتربية والبناء.. بخطاب يلامس مشاعر الناس، ويصل إلى قلوبهم، ولا يشعرهم أنهم في سجن من القيود..
علينا أن نريهم آفاق الإسلام الرحيبة في حسن السلوك والمعاملة، بكل الحواس، وأن نفتح عيونهم على روعة دينهم وعظمة انتمائهم له حقيقة لا مجرد رسم في الهوية..

● أشدّ ما في جرح أرض الكنانة إيلاماً، ما تراه من تناحر بين المسلمين..
بين حاقد أو شامت، متوعد ومهدد..
أكثر اللحظات وجعاً هي أن تقلب صفحات الآخرين لتقرأ ثمرة عقولهم، فلا تجد إلا عفن دعوى الجاهلية، وفُرقة القلوب وغياب الروح التي تلم الشتات.. إلا من رحم ربي..
اللهم ألف بين قلوبهم، ووحد كلمتهم، واجمع شملهم لرفع راية هذا الدين..

● دعنا من الكلام وشارك..
لك موقع هنا، لك مكان ينتظرك..
لا تكتفي بالمتابعة من بعيد، لا تقبل بالهوامش عن السطور، ولا ترتضي لنفسك « الصفر » بين الأرقام..
قُم واكتب التاريخ بيديك، لا تتواكل على غيرك..
قم.. فالمشكلات لا تُحل باليأس والقنوط، بل بالجد والعمل..
شارك.. إلى جوار أبطال قد سبقوك، كن مثلهم بطلا..
أي شيء ينقصك كي تترك أثراً؟ وتغير مجرى الأحداث؟
لديك إرادة تفتت الصخر، وهمة تطال السحاب..
لديك إيمان وغيرة على الإسلام..
ولديك وطن يناديك..
لا تنتظر عودة المعتصم أو صلاح الدين..
كن أنت الأمل العائد من بعد غياب..

● لا أستطيع وصف شعوري وأنا أشهد هذه اللحظات.. أصوات المعارك والرصاص

الذي يشق جدار الصمت في ليلة صيفية تقتبسُ نوراً من هلال رمضان..
كل رصاصة تسطر فيها بطولة إنسان حر محاصر، اختار أن يتلقاها ليفدي دينه ويحمي مدينته، أو يطلقها لينتصر بها من عدو الله..
هناك في الخالدية، أتخيل تلك المباني المتلاصقة، كإخوة تعاهدوا على الخير والحق مدى الحياة..
ومكان الساعة الجديدة التي صنعوها ليرسلوا رسالة إلى العالم، بأننا قوم نعشق الحياة، نعشق الاستمرار قدماً.. على أن تكون حياة العزّة والإباء..
في الخالدية، أتخيل أنوار جامع سيدي خالد مطفأة، لكن هنالك نورٌ فريد يشع من جباه رجال ما عرفوا السجود إلا لبارئهم.. قرروا أن يكونوا اليوم حراسه..
في الخالدية، صرخات عدو يستغيث، بسمات شهداء تزيد في الوجوه الضياء، في الوقت الذي تصعد أرواحهم إلى السماء..
في الخالدية جرحى أنهكهم التعب، لكنهم أقسموا على العودة مهما حصل..
في الخالدية حيث جنون الرصاص والغازات السامة الحارقة، يقين يسري في القلوب، يسبغ عليها برداً وسلاماً..
رجالٌ يؤدون الأمانة بصمت، يقدمون للإنسانية أغلى هدية.. الحرية..
في الخالدية يترنم المجد بأهزوجة الخلود...
#حمص_الإباء_ستبقى_ويرحلون

- إلى « الرجال» الصامدين ضمن الحصار.. من كل الأعمار...

تقبل الله طاعتكم وجهادكم ورفع درجاتكم..

- مآذن حمص الآن متّحدة تنادي لطاعة الله.. وفي صوت كل مئذنة حنين..

كأني بها تتماسك أن تهوي أو أن تميل حباً وعطفاً على أخواتها الثابتات ولو تقطعت أجسادهن.. المنتصبات في الأرض شموخاً تحت الحمم في الخالدية.

• رمضان وشعور العجز لا يلتقيان..

شهر العمل بين يديك، بقي أن تفتش عن نفسك التي بعثرتها في باقي الشهور، يوم حرمتها أن يمتد في عمرك كله..

• «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين».

العمل في سبيل الله بألوانه وأشكاله وتفرّعاته ليس منّة..

الجهاد بالنفس والمال ليس منّة..

الرّباط على الأرض الطيبة ليس منّة..

ترك الأهل والولد لنصرة المستضعفين ليس منّة..

وأن يكون يومك الشّاق المتعب، وأنفاسك المحترقة، دموعك وآلامك وأنت تخالط الناس تدعوهم وتبصرهم بالخطأ والصّواب.. كلها في سبيل الله فليس ذلك منّة بل هي واجبات، بديهيات، لا فضل فيها لأحد على أحد، بل الله تعالى هو من يمنّ على عباده أن استعملهم في طاعته، ويسر لهم سبل التقرب منه، ونيل رفيع درجاته إن هم آمنوا وصدقوا..

المشكلة أن المفاهيم انقلبت، وباتت المنّة مجرد وقوفك مع الحق، ولو بكلمة!!

• سيرتك الذاتية الثورية ليست للعرض والتباهي وتذكر الأمجاد..

بل هي كأي عمل وإنجاز، لابد وأن يكون خالصاً بينك وبين الله، يستدعيك لتقييمه

وتقويمه كلما انحرف، ولعلك تحيا وتموت فلا يعرف به أحد..
فلا تجعله همّك، واشتغل بالحاضر عن الماضي، واصنع بإيمانك غرساً يبقى للمستقبل..
واسأل الله القبول..

• { وَإِنْ تَجْهَر بالْقَوْل فَإِنَّهُ يَعْلَم السّرّ وَأَخْفَى }
مقياس ربّ عدل كريم لا يظلم عنده أحد أبداً..

• تحدي إبراهيم عليه السلام الحقيقي لم يكن في مواجهته للنار، بل كان في مواجهة الأفكار..
شجاعته في التصدي لعفن العقول، والقوة التي استجمعها وهو ينهال بفأسه على رؤوس الأصنام هي مرحلة الامتحان الفعلي، وليست لحظة الإلقاء في النيران..
تلك المواجهة - أي مع النار- هي نتيجة لنجاح في امتحانات كثيرة سابقة، والشخصية المؤمنة التي بنيت بالمواجهات الفريدة، مع الأفكار قبل الأشخاص هي التي أهلته لأن تكون النار عليه برداً وسلاماً..
هذا ما نشهده اليوم في زمن المحن..
نفوس تبنى بالفعل والمواجهة، بفكرة التغيير، بحروب ونزاعات على بقاء الجاهلية بأشكالها.. وأناس يلقون في نار التعب والألم بأشكاله، حين تمرّ بهم تجد السكينة تملأ قلوبهم برداً وسلاماً..
هنا تكمن حقيقة الانتصار..

• لشغفه بالقرآن سرّ عجيب.. رغم أنه في السنوات الأولى من عمره..
لا تهدأ روحه حتى يختم السورة استماعاً بكل جوارحه..

كأني به يحفظها على طولها في ذاكرته، ويؤجل ترجمتها إلى كلمات حتى حين..
أراقبه وقد أنهى ورده، وسقى روحه، قد قرر أن يغفو هانئاً بقلبه الطاهر البريء الذي لم تعكره الدنيا بعد، ولم يتسلل إليه من همومها شيء..
وفي قلبي أغبطه.. أتمنى لو كنت مثله..
أسارع إلى مصحفي.. لعلي أولد اليوم من جديد..

- نحتاج لصورة بشريّة مشابهة..

تحمل العلم على ثقله، وتواجه فيه الزلازل والمحن..
وتبقى ثابتة، قوية، مصرّة أن تكون في الواجهة مهما تعرضت للأذى..
لا أن تغادر داخل حقيبة الخلاص، ولا تختفي خلف جدر الجبن، ولا تتهاوى في حفر الضياع..

- هو اليقين ذاته..

هو الإيمان بالله لم يتغير.. بل زادته الابتلاءات قوة..
هو تطبيق عملي لما تدارسناه يوما عن الثبات وقت المحن، والصبر عند الصدمة الأولى..
لكنها دموع تأبى إلا أن تثبت حضورا.. وحزن يأبى إلا أن يخيم..
وحين أسألها لأطمئن.. تجيب بما أرجو وأتمنى..
آمنت بقضاء الله وقدره، وسأتقرب إليه بهذا الثبات..
اثبتي أخية فلا ضير على من صحبتهم معية الرحمن الرحيم، وقد كانوا معه في كل خطوة.

• نتعب..
قدرنا أن نتعب..
لكن لا نعلن الموت أبداً..
لأننا خُلقنا لإعلان الحيَــاة...

• «فلمّا أَفَلَ قال لا أحبُّ الآفلين..»
هي كذلك فطرة الإنسان السليمة، لا تحب الآفلين..
من يديرون ظهورهم للمعركة، من يتنصّلون عن أداء مهامهم التي كلّفهم الله تعالى بها واستخلفهم عليها، من يخلقون الأعذار ليبرروا خذلانهم لمن استنجد بهم واستنصرهم..
فطرة المؤمن تعشق الوضوح، وتأبى الأفول والغياب...
فطرته تستدعيه لتشرق الشمس من داخله كل فجر، ولا تغيب إلا لتشرق مجدداً في موعد لا يخلف..

• خصصت هذا الحساب ذات يوم فقط لأعمال الثورة، لكتابات أخصّ بها نفسي، بعيدة عن القواعد والأسس التقليدية في الكتابة..
كان بقعة هادئة لا تراه العيون إلا قلة، وفي نفس الوقت مساحة حيّة لطرح الهموم، ومناقشة الحلول.. وتنفيذها أو التخلي عنها بعد توقع فشلها كمحاولة من محاولات لا تنتهي لإحداث فرق.. للتعلّم.. للتتلمذ في مدرسة الحياة..
أذكر تماماً كيف اخترت الاسم دون تفكير، وكيف أنجزت الحساب على أن يكون مؤقتاً جداً، قابلاً للإغلاق حالما تنتهي مهمته..
كانت قائمة الأصدقاء في حدود العشرين، لم أرغب بتجاوزها، بقدر رغبتي في دخول

نفق العمل والفاعلية إلى أقصاه.. وبحث سُبل الخروج منه بسلام مع أكبر عدد من الناجين.. ولستُ أدري إلى هذه اللحظة إن كنت قد أفلحت.. وأنا أرى من سبق إلى الجنة، ومن طواهم الغياب يجاهدون بالغالي والنفيس في سبيل الله..

كانوا إخوة بحق، تشرفت بالعمل معهم، رغم ما تخلل ذلك من نقاش لم يخل من الحدّة أو الخصام، كما شهد ألواناً من الصلح والتناصح والتوجيه من أفراد عمالقة أحسبهم والله حسيبهم..

علّموني أن الفاعلية بالعطاء، وأن الأرقام لا شيء، مادام في الحياة إنسان بألف.. وإنسان بمئة..

وإنسان على الهامش، وإنسان صِفر.. وأن الإخلاص ميزان الأعمال..

قضايا كثيرة كنت أخربش خواطري حولها على الحائط، أكتب وأمحو، أعلن الغضب أو السلام، أصارع اليأس حيناً وأتحلّى بالتفاؤل أحياناً..

لم أتخيل أن زاويتي القصية المعتمة سيطرقها العابرون.. لكن أبواب الرحيل مشرّعة لمن يرغب بمغادرتها..

مازلت أكتب لنفسي، لا أؤسس نظريات، ولا أسن قوانين..

أحاول التمتع بأقل حد ممكن للحرية بعيداً عن قيود الكتابة المعروفة التي تتعلق بالاسم والعمر والتحصيل العلمي..

وأعتذر عن كل محاولة لاختراقها أياً كانت..

وفي النهاية لابد من أن أبوح بسرّ..

أفتقد كثيراً أقلاماً كانت تغرس الحياة في أرضي الميتة، أفتقد كذلك رُوح الثورة في بداياتها، وكل لحظات القلق والانتصارات الصّغيرة

أفتقد -إيمان- البدايات،وإن لم أفقد الأمل بعودتها يوماً..

• أخطر ما قد نفكّر به أن عدوّنا واحد..
الأعداء كثر، والفِتَنُ أكثر...
لكن هناك سبيل أوحد لمواجهتها وهزيمتها جميعاً.. هو سبيل الحق..
الاعتصام بحبل الله المتين، والتسلّح بالإيمان، والقبض على الجّمر، والثّبات على المبدأ، ولو رأينا الناس قد ضلّوا جميعاً..

• الكرامة فطرة، وبذرة، وجهاد، ومعركة، وحياة..

• أسوأ ما في الحياة أن نعيش في دائرة يومنا لا نتجاوزه..
أن نتعايش مع سائر أمراض النفوس التي تتسع وتمتد لتفتك بأمة بأسرها، ولا نفكّر بتغييرها، أن يكون جل اهتمامنا منصبّاً على اجتياز هذه الفترة لنصطدم بأمراض ومشكلات الغد التي صنعها تجاهلنا..
أن نعيش على الأحلام والأوهام والأماني والمكاسب الآنيّة، ولا نعرف كيف نسير ولا إلى أين نمضي..
أسوأ ما في الحياة أن نوقف عقارب الساعة عند همومنا الفردية، ونحاصر بها، في الحين الذي يمكننا فيه تغيير واقعنا ولو بمقدار خطوة نخطوها للأمام.. تكون بمثابة بذرة على طريق إحياء أمّة..

• من التطورات الملحوظة في حمص، الميل للزّراعة في الأحواض الخارجية للمباني، والتي أعدت يوماً بغرض الزينة.. وغرس شتلات الورد والزهور المتنوعة..
الآن يمكنك أن تتجول قليلاً في بعض الأحياء، لتجد أوراق النعناع والجرجير والذرة والبقدونس والبندورة قد بدأت تنبت، لتحتل المكان..

الميل لحلول عملية بات طاغياً على ثقافة العجز والاستهلاك..
وموضوع التحرك لفعل شيء، لتقليب التربة وغرس البذور وسقيها ومتابعتها..
مشروع أملٍ بدأت أوراقه الصغيرة تنبتُ في القلوب..
فكرة الحصارً الذي يمكن أن يُفرض، قابلتها فكرة الثبات.. قويّة ضاربة جذورها بعمق في الأرض الطيبة..
نبتة واحدة تشق طريقها نحو الشمس هي رسالة تحدٍ للبقاء.. وإعلان حياة...
الإنسان الذي كان يترفع عن هذه الأعمال، أو يتركها لبستاني يرتب حديقته.. بات يخلق أفكاراً، ويطورها، ويرسم أحلاماً وينمّيها...
مع فكرة التهجير تأتي فكرة الارتباط بالأرض أعمق مما نتخيل..
ومع كل الألم والدمار الحاصل.. لازال بوسعك أن تتنسم أريج « عطر الليل» يملأ الشوارع والأزقة الصغيرة.. ليوصل رسالة جديدة..
هناك جمالٌ قد لا تراه العيون..
وهنا في أجواء الحرب القاسية.. فسحة للروح ومتنزه..

- لم أتخيّل أبداً أنني سأودّع الصّيف بهذه الطّريقة..

أنسى نفسي، أتفقدها، أفتّش عنها..
فأجدها مختفية..
خلف تلالٍ صغيرة من الكتب!!
#بعض_الجنون_لايضير
#أو_جرعة_عقل_في_عالم_مجنون

• لأن التاريخ يُكتبُ بحبرٍ خاص جداً... فلم يتوصّل العلماء عبر الأزمنة الغابرة والحاضرة لاختراع ممحاة تُزيلُ ما يُكتب.. مهما بلغ من خير أو شرّ..
ولهذا تبقى المسؤولية على كتّابه، فما يُخطّ اليوم لا يمحى حتى تقوم الساعة.. وما يخطّ اليوم تسجله الصحائف، ويبقى في الميزان.. فلنتحرّى العدالة ونحن نخطّ بالأيدي والدماء حروفه، ولننسج منها الكلمات المشرقة، ولنجعلها تترابط في جمل متقنة، لتُقرأ السّطور بوضوح..
ولتكن مواقف كل من يكتبه شجاعة ثابتة.. فهذا عند الله خيرٌ وأبقى.. وكلّنا إلى زوال..

• عندما يغيب العقل.. يصبح الحال هكذا...
«بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ»..
وعندما « يعقل» الناس، لابد أن تنعكس الحال، وتنقلب الآية، إلى مودّة وتراحم واجتماع قلوب..
العقل إذاً هو المقياس..
إما أن يجعلنا نتساوى بالصّفات مع أهل الكتاب أو المنافقين، أو أن يرفعنا ويقودنا لنكون من أسباب اجتماع القلوب ووحدة الكلمة، ونصرة الأمة..
#خطوة_على_طريق_النصر..

• أذكر في بدايات الثورة أول إطلاق نار جنوني في حيّنا، ووقوع إصابات..
يومها لم يهدأ هاتفي المحمول والأرضي عن الرنين من كل حي في حمص وحتى صديقاتي في دمشق وحلب اتصلن للاطمئنان..
اليوم بات الداعي الوحيد لتلقي اتصال أو للاتصال بصديقة هو نزول صاروخ في شارعها، أو هبوط مبنى على بعد أمتار..

لا شيء غير ذلك يستحق الهم، أو الاهتمام..
#وتستمر_الحياة

• بعض البلاء رحمة..
لينتشلنا من دوامة الهموم الكبيرة التي يقتلنا كثرة التفكير فيها..
يريحنا في محطات الهموم الصّغيرة..
حتى نستعيد توازننا..
فنعود أقوى من جديد..

• كنت حديثة عهد بالحياة.. صغيرة في السّن عندما حججت لأوّل مرّة، وغرقتُ في زحام الناس على اختلاف لغاتهم وألوانهم.. أول مواجهة بهذا الحجم مع كم هائل من البشر.. أول رسائل تصل عن الاختلاف والتنوع.. والجيد والسيء.. والأبيض والأسود.. ظاهراً وباطناً..
شعرتُ وكأنني حبّة رملٍ صغيرة.. أو ورقة يابسة قد تتحول إلى هشيم في عالم البشر المخيف..
لكن سرت في قلبي الطمأنينة حين قرأت..» وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ«..
بمجرد أنه عالمٌ بي.. بسرّي وعلانيتي.. فهذا كنزُ ثقة قد يحوّل حبّة الرّمل في صدفة روحي إلى لؤلؤة.. وقد يجعل من الورقة اليابسة كتاباً...
#كن_مع_الله_ولا_تبالي

• اللهم قد أعطيتنا روح الكرامة في مواجهة السّلطان، فلا تنزعها منا فنذلّ إن وهبتنا أدنى درجات السلطة..
وأعدت لأمتنا الجهاد، فلا تنزعه منا باغترار منا أو سوء فهم لحقيقته ومعناه..
ورزقتنا الرّباط في أرض الشام، فلا تحرمنا أجره بسوء عملنا..
يا مَن جمعت القلوب ووحّدتها لترفع الظلم، وتشلّ يد الظالم، لا تحولها شتاتاً، ولا تشغلها بنفسها عن هدفها الأسمى، ولا تفرّق جمعها إلا وقد بلغتها سؤلها في رضاك وطاعتك، ورزقتها النّصر وقد هديتها للصواب، وعلّمتها كيف تقصدك مخلصة محسنة في عملها..

• لا أرى فيها سواري كسرى..
ولا أرى فيها الأخدود..
كل ما أراه اليوم فرصة حياة قد وهبها الله لكل حيّ صاحب ضمير فيها، ليرى كيف هو صانع..
أرى مكافأة أو جزاء على حسب العمل..
أرى أعمالاً ظاهرة وأخرى خفيّة تُدوّن في كتابٍ لا يضل فيه ربّي ولا ينسى..
كلّ محاسب على قدر عمله وبلائه..
أرى نوراً في الأفق..
قادم ليس لأجلنا..
بل لأجل أصحاب المظالم.. وعد من الله المنتقم، وعد من الجبّار.. أن يجبر الكسر مهما طال الزمن..

• قد يأتي يوم تجد نفسك قابعاً في زاوية معتمة، داخل غرفة منسيّة..
تبدأ القضايا كبيرة، مغرية، جذّابة تناديك لأن تكون جزءاً لا ينفصل عنها..
ترى الأمّة ذات يوم صرحاً قد قام على كاهليك..

تغرق في التّفاصيل.. فتتوقف عند حدود دولتك..
تغرق في تفاصيل أكثر ومشكلات أكثر، فتجد نفسك مرتبطاً بقيد ضمن مدينتك..
حارتك، شارعك، المبنى الذي تعيش فيه.. شقّتك الصغيرة.. غرفتك التي تتكتم دائماً على جراحك..
وينتهي بك الأمر إلى تلك الزاوية..
تشغلك نفسك، همومك وقضاياك الشخصية، أحزانك، ماضيك، مستقبلك.. أمانك الشخصي..
لقمة عيشك. عقلك الذي نسيت، مشاعرك التي تجاهلت مع كل صدمة..
قد يأتي يوم تجد فيه نفسك تتشاجر مع نفسك، وأنت لا تستطيع أن تنصف أحداً، لأنك غرقت حدّ الضّياع.. تعبتَ حدّ فقدان الذاكرة.. انقسمت حتى غدوت أشلاء..
قد يأتي يوم تنسى فيه نفسك.. اسمك.. هويتك.. جذورك..
إذا ما بقيت مستسلماً للأحداث، لأمواج تأخذك وتلقي بك بعنف على شطآن باردة..
لابد وأن تكون يقظاً.. حذراً.. حاضر الذهن، واعياً لسلاحك.. داخل عقلك..
لابد أن تستحضر نيّتك وأنت تخطو إلى هدفك..
لابد وأن ترسم خارطة مدروسة، تدلّك على هدفك الفعلي..
وأن تحتفظ بمقياس ينبّهك عند وجود منزلق أو منعطف قد يحيد عن الصراط المستقيم، أو عندما يحصل تخلخل ما في ميزان أولوياتك..
لابد وأن تبقي الصّلة قوية بإخوانك، حوار وعمل.. نقد وعلو همة... إصلاح وتناصح..
كيان مهما كان صغيراً إلا أنه متماسك وثابت...
عليك أن تحتفظ بقلب متوجّه للقِبلة.. وإن جاب كل دروب الحياة..
وعقل هَموم بما يستحق الهم، على أن يحول ذلك كله إلى عمل وبناء..
لابأس أن تتردد بين حين وآخر على زاويتك المظلمة.. لترتب أفكارك، وتراجع حساباتك، وتقيّم رحلتك..

لا بأس أن تبكي فرحاً عند اقتراب الوصول، أو ألماً عندما يزداد العناء..
لا بأس أن تبوح لنفسك بما كنت تكتمه مذ زمن..
على أن تنهض.. وتشعل النّور.. ولو كان مصباحاً ضئيلاً، أو شمعة صغيرة تؤنسك تحت القصف.. لتعلن أنك ضمن التغيرات المتسارعة، وتبدلات الواقع والنفوس، ومعدلات النجاح والهبوط.. ستبقى ثابتاً.. وبإذن الله لن تتغير!!

- #واعتصموا

قال تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا»
ما أحوجنا في ظلّ الهجمة الأسدية الغاشمة على حيّ الوعر، أن نعتصم بحبل الله المتين، فنكون يداً واحدة ضد الظلم..
-نثبت ونُثبّت غيرنا للبقاء في هذا الحيّ الصامد، حتى لا تمتد له يد النظام بالاحتلال للمنازل والقتل والاعتقال.
- نتعاون لمساعدة المنكوبين والمحتاجين وكف يد السارقين والمتسلقين.
- نصبر على ما أصابنا ونحتسب أجر الجهاد والرباط في سبيل الله.
- نرفع الرّوح المعنوية لكل من حولنا ونعينهم على المساهمة بأعمال مفيدة يعود نفعها على الجميع.. كالزراعة وتنظيف الشوارع وتعليم الأطفال ودعم المتضررين.
- نوظّف كل الطاقات والقدرات في الإعداد المناسب، الإعداد الإيماني والعلمي والبدني وإعداد القوة والصمود.
- نغرس في النفوس معاني الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الفرقة والخلاف سبب في تأخير النصر، وأن الطاعة والقيام بما أوجبه الله من أهم أسبابه..
هذا ونسأل الله تعالى أن يحمي الجميع ويسددهم إلى ما يحبه ويرضاه..

- لأنه تعالى وَعَدَ ووعدهُ الحَقّ، بـ #النّصرة للضّعيفِ والمظلوم، ولكلّ من نصر هذا الدّين..

ولأنّ إعلام العدو قد نشط في تلفيق الأكاذيب والتّضليل، وتشكيك النّاس في ثورة الحقّ التي قاموا لأجلها..

ولأن #الإعلام المحلّي والصّديق لم يعد ينشر سوى المآسي ويضخّم المشكلات، ويلقي الضّوء على #الأخطاء، ويتناسى مساحة #النُّــور الواسعة في هذه الثّورة المباركة، يتناسى الأيدي الطّيبة التي تمسح والدموع، وتداوي الجراح والآلام، وتدافع عن المظلومين والأبرياء..

ولأن جوّ #اليأس والتثبيط قد ساد، وعمّ في القلوب لطول الأمد، ولظنّ الناس بتأخّر النّصر، وما تأخره إلا لتربية النفوس وتهذيبها وصناعة الأبطال.. غير أنّ النّاس قد اعتادوا أن يروا السّواد في كلّ شيء، واعتاد #المخلصون أن يخفوا أعمالهم، ويواصلوا طريقهم في صمت حتى بلوغ الغاية، وتبليغ الرّسالة، وتأدية الأمانة..

فكان لابد من إعادة رُوح #العِزّة إلى القلوب، و #الاستعلاء بالدّين، والتعالي عن الحزن واليأس والتثبيط والتّخذيل.. نُصرة للمستضعفين، ولكلّ الأبطال المخلصين، لكل من سلك دربَ الصّواب، أو سارَ فأخطأ ثمّ صحح مساره، بتوفيق الله تعالى وبإيمانه به، ثم بنصرة إخوانه..

كان لابد من إطلاق حملة « #كفانا_تخذيلاً».. نتوجّه فيها إلى كلّ الشّرائح، ونخاطب القلوب والعقول..

ليكون #إحياء لأمة يُخشى عليها أن تُفتن أو أن تكون فتنة لعدوّ الله..

ليكون #النّقد والتناصح فيما بيننا علميّاً وعلى بيّنة..

ليكون #الأمر_بالمعروف_والنهي_عن_المنكر من أهم مقومات الصّعود وليس التفرّق والتّشرذم والشّتات..

ليكون #إصلاح_ذات_البين والاعتصام بحبل الله المتين أساساً تقومُ عليه قواعد العمل في سبيل الله..

لتكون انتصاراتنا مدعاة للتواضع لله، ومزيد من العمل والطاعة، لا مدعاة غطرسة وتجبّر وتكبّر..

ولتكون الهزائم دروساً وعبر، لا ساحات ندب وبكاءٍ وعويل، بل فرصة للإفاقة ونشر الوعي وتصحيح المسار وشحذ الهمم للاستمرار..

«كفانا تخذيلاً».. #دعوة_لنصرة_هذه_الأمة، #بالكلمة، #بحسن_الاقتداء،#بالعمل_الصالح الذي يعيد الأمل إلى النّفوس المتعبة..

وبالله التوفيق..

- أكثر العبارات تناقضاً في الثّورة.. وردة فعل المتعاطفين معها..

« قلوبنا معكم»..!!

- دائماً يضعنا الله سبحانه وتعالى ضمن امتحانات أصعب، وذلك كي نتفوق على أنفسنا في حلّها..

ولو تركنا كما نحن لما تقدمنا في حياتنا خطوة، ولا استطعنا أن نتجدد أو نتطور.. ولا أن نوصل رسالتنا بكثير من العمق والفهم والنفوس المصقولة، والأرواح التي تجردت من كل شيء ابتغاء رضوان الواحد الأحد..

هي دروب صعبة، لكن الحق يختارها لخير يريده منا..

فلنجدد النوايا ونتابع ولو كنا فرادى..

● إلى صديقة عازمة على السّفر..

أعلم أن الحزن قد عشّش هنا في كل مكان، سكن القلوب قبل العيون، صادق الصّغير قبل الكبير.. وترك في كل زاوية مأساة..

وبأن القلب قد امتلأ بالرماد واحترق، بعد أن كان ورديّاً عامراً بالحب والفرح والبشر...

وأن السّراديب التي نخوضها في غمار المعركة كلّها مُعتمة، وعبور الأزمة يحتاج إلى همّة وقدرة على اجتياز النفق الضّيق ولو استنزف منا كل شيء...

أعلم أن النظر في عيون المحرومين قاتل، ومواساة المفجوعين أليم، وتقديم وعود لفتاة مغتصبة بالانتقام ممن ظلموها أمر قد يتطلب منا دفع حياتنا ثمناً لذلك، وبأن مسح العبرات بالأكفّ ما عاد يجدي، فلن يمسحها إلا الرّصاص، الدم بالدم، والعين بالعين، والموت في سبيل الأرض بطولة، والموت للدفاع عن العرض قمة الشرف، والموت في سبيل الله غاية البطولة والشّرف...

أعلم أنهم حين احتلّونا خططوا لكل شيء... ليستنزفونا، ويمرّغوا كرامتنا بالوحل، ويسلبوا منّا الرغبة بحياة الحرّيّة، ويرغمونا على العيش في ظل العبودية لهم حتى نعتاد تلك الحياة..

فتلوا ودمروا، عذّبوا واغتصبوا، هددوا وشتموا، نهبوا وسلبوا...

فعلوا كل ما تهواه الشياطين بل نافسوا الشيطان ذاته، وعلى خط السباق ضحكوا شامتين وقالوا.. أرأيت! لقد سبقناك ظلماً وإجراماً... عقيدتنا مغمسة بالعار، عزيمتنا مستمدّة من حربنا الأزلية مع أولئك المؤمنين... سنجرّب جولتنا معهم، ونحقق غاياتنا إن سحقوا، سنستعبدهم، ونجعلهم طوع أوامرنا، سندوس كرامتهم بأقدامنا، سنكسر رغبة الدعوة فيهم، سنفرّق صفوفهم، ونشتت شملهم، وحينها ستكون غنيمتنا سهلة، وغايتنا محققة..

أعلم أنهم قد قهروك، كما قهروا شعباً بأسره..

وبأنّ دمعتك أبت أن تسيل، ومضيتِ بكل الكبرياء لتكملي المشوار، حاولتِ الحفاظ على جبل الكرامة داخلك كي لا ينهار، لكن صوتهم لا يزال ينعق في أذنيكِ يلاحقك، يهددكِ، يسمعكِ كلمة الكفر ليطفئ نور عقيدتك..

كان تحقيقاً عابراً في نظرهم، لكنه لم يعبر أبداً في ضميرك.. كان يقلق راحتك، يقف لكِ في كل درب، يعكر صفو حياتكِ، يلوّح لكِ بالعجز، ويناديكِ بالانسحاب... فما عادت اليوم من جدوى للمواصلة، لا أم الشهيد قد مسحت دموعها وابتسمت، ولا ابنه اليتيم أقلع عن عادة ضمّ التراب ومناداته كي يعود أو يرحل إليه، ولا العالم استيقظ على نداءات القهر، ولا المذنبون تابوا واعتصموا بحبل الله كي يقترب النصر، ولغة البغضاء لم تمت، وعادة الشحناء ترسخت أكثر، وغرقنا في تفاصيل التفاصيل حتى أنهكتنا، واستنزفتنا، وأنستنا عدونا الأول.. وبات همنا أن نركّز على الوجع... واستشهد الحلّ على ورقة الامتحان... وحينها قررتِ الانسحاب...

لا ألومك..

قد نالكِ الهم واستولى عليكِ الألم، وأرهقتكِ المواجع فما عاد هنالك من سبيل للخروج..

وبات الرحيل هو الحل..

ولكن مهلاً.. انتظري قليلاً قبل الرحيل، فكري ووازني، وتخيّري الأنسب..

تجارة مع الله بدأت، وعهد وميثاق وقَسَم..

دروب قُطعت في حلكة الليالي، ودموع سُكبت على ضوء القمر..

آيات رُتّلت عشناها معاً، جددنا إيماناً بها، وصحبة خير تُغني عن كل البشر..

سباق إلى الصالحات، تعبٌ في سبيل الله، همٌّ ونَصَب..

نومٌ بلا تفكير، تحت القصف، وأمنة نعاس يغشانا، وراحة قلب فوق أرض الطهر وهمم أبطال تحمينا..

جنودٌ مجندة للإسلام تطمح للعزّة، وحياة الحريّة أغلى ما نمتلك في دنيا العبودية..
وتلك التضحيات التي أبينا أن نساوم لأجلها، وفكرة الهجرة التي أحرقناها، كما فكرنا كثيراً بحرق جواز السفر...
أصديقتي ليس الحزن يجدي في عالم قاس، ولا دمعة المتألمين تُعتبر..
العاطفة تُلقى على قارعة الرصيف، لتنهش منها القسوة التي أعلنت احتلالها للنفوس، والبسمة مريرة.. لكن لابد منها، والجراح أليمة، لكن التعايش معها ضمن المتاح..
الأنفاس تضيق لكن فيها متسع للحياة، السواد يعمّ، لكنه يؤكد اقتراب الفجر.. والتقريع فأس ينال من شجرة النّبل والسّمو إن بادرت بطرح ثمار قضيتها حامضة.. لأن القاطف لا وقت لديه لانتظار حلاوتها.. ولا دفء هنالك يحتوي الوجع..
ومع ذلك فالثبات في هذه اللحظات أغلى ما يعتبر، والدوس على الجراح، والصبر على المواجع وكتمان الألم..
أصديقتي فتشي عن البنيان كيف يسمو إن لم تتكاتف الأيدي لتعليه؟ كيف يرسخ إن لم يصنع الإنسان من نفسه عموداً وإن حمل الهموم جبالاً مدى العمر.. كيف يحمي الناس إن لجئوا إليه؟ إن لم تكن جدرانه حصونا في وجه العواصف؟!!
لم نكن هنا طلاب وظائف في ثورة بدأناها بكل إرادتنا، بل كنا من البداية نرغب أن نتاجر..
ما كان للتاجر أن ينقض وثيقة بيعته، ولا أن يتراخى في تقديم خيرة بضاعته، ولا أن يحوّل مسيرة قافلته إلى وجهة أخرى...
ما كان له أن يعترض والربح ملء يديه، وصدق الوعد في السماء ينتظره..
ما كان غبار الدنيا ليعمي بصائرنا، ولا أن يعكر سماء عزّتنا، ولا أن يلوّث نقاء معدننا، ولا أن يدفعنا لأن نستسلم..
سألتني اليوم زوجة الشهيد عن حمص القديمة، وقد أغار عليها كلاب النظام..

أينصر الله الظالمين ويخذل المجاهدين المؤمنين؟!!

أيعزّ الكفار المارقين ويذلّ الصادقين العاملين ..

نظرت في عتمة الليل إلى وجوه صغارها، وقد وجهت إليّ ضوء المصباح وكأنني في غرفة تحقيق لا أملك فيها من خيار إلا أن أقول حقاً..

نظرت إليهم وانتابتني قشعريرة وأنا أقولها وأصدقها بكل ذرّة من كياني..

والله الذي لا إله إلا هو لن يخذلنا، وسينصرنا...

هبطت السلم وكل ما حولي ظلام..

كان العالم ساكناً حولي على غير عادته، وكان مجرم المدفعية في استراحته..

كنت أصغي لخفقات قلبي... كان الحبّ في تلك اللحظات هو السّيّد..

مدينة تُقصف، نصفها قد غدا ركاماً، جوهرة أحيائها تقبع في حصار ومعارك غير متكافئة ونزال.. زلزلة في كل قلب..

لكن زهرة الحب من قلب الصخور تنبت....

لا .. لن نسمح لهم بتهجيرنا واحتلالنا، لن نسلم إليهم معاول هدم عقيدتنا، سنحيا هنا، ونموت هنا.. ولتسافر الخفافيش إلى كهوفها المعتمة، فقناديل قلوبنا بالنور ستطردها...

ستذكرين كلماتي هذه وأنت تحتفلين ذات يوم بالنصر المؤزّر..

● عندما يأتي أمر الامتناع.. ويتطلب منك الموقف الصّبر والثّبات.. وترك كل ما كان سابقاً بين يديك..

عندما يعصف بك للحظات شعور الحرمان، وتفكر... مع أية فئة عليَّ أن أقف؟ وإلى أي اتجاه يجب أن أسير، وما هو القرار الصائب؟

يأتي النهر... بخيراته، بمائه العذب، بكل التسهيلات المتاحة لك لأن تنزل.. وتشرب حتى تروي الظمأ..

ويأتي في اللحظة ذاتها الاختبار العسير.. إذ عليك أن تمتنع، أن تصبر، أن تضحّي.. أن تتخلى عن أمور غالية في سبيل الله...

فكّر.. أين تجد نفسك؟!!

قد يعلن كثيرون أنهم لم يعودوا يطيقون صبراً، وبأنهم سيعمرون عالماً من العدالة والسلام بعيداً.. بعد أن يرتووا ويكتسبوا القوة..

قد يعلن كثيرون وهنهم، وأن لا طاقة لهم بالمواجهة..

قد لا يشعر أحدهم بالظمأ إلا في تلك الساعة، ساعة الشِّدّة، فيبتعد معلناً أنه تعب، وأن من حقه الابتعاد، وبأن المواجهة تتطلب منه طاقة لا يجدها..

سيقبل القلّة بخيار الثبات والمواجهة والصّبر..

غرفة باليد... شربة ماء..

تكفي لإيصال الرسالة..

أن النصر بالقلة المؤمنة يتحقق، وأنه لا يكون إلا بعد التمحيص، وبأنه يتطلب الصبر والثبات والطاعة لله لا لعبيده ممن يرددون.. « لا طاقة لنا.. «..

حينها يكون النصر أكبر من توقعات البشر.. لأنه صُنع الله وتدبيره، لأنها سننه في نصرة عباده المخلصين..

قال تعالى: « فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ « (٢٤٩)وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ...».

• نفرح لشهادتهم..
لأنهم قادة، طبّقوها قولاً وفعلاً..
كانوا دائماً في المقدمة..
في مواجهة الصّعوبات والمشكلات..
ثبتوا وواجهوا.. صدقوا ما عاهدوا الله عليه..
نفرح.. لأن الدنيا كانت بخير.. «بهم».
وستبقى بخير..
مادامت الأمة تنجب أمثالهم..

• ربما آن لنا أن نفهم.. سِرّ ابتسامته الدائمة..
لندرك سبب كآبتنا الدائمة..
وياليتنا نفهم!!
#عبد_القادر_الصالح

• ذات يوم.. ستنطفئ الأنوار من حولك، وتسود العتمة..
ولن يؤنسك في الوحشة إلا الشّمعة التي صنعتها بيديك..
فلتصنعها أتقن وأحسن وأتقى ما يكون..

• في المعصم قيد وذل، وحول المدينة طوق حصار..
لن يُفكّ أيّ منهما، إلا بتحرير العقول..
هذا هو التحرير الأكبر الذي سيكون فاتحة للنّصر المُنتظر..
تحريرها لا يكون إلا بعودتها إلى « الصّراط»..
بفهمها معنى « الاستقامة»..

بامتثالها لـ « الاتّباع».

برفضها « السُّبل» الكثيرة مهما حملت من مغريات أو أوحت بانتصارات..

• مشكلتنا إلى الآن لم تُراوح كونها مشكلة كرامة إنسان، أو عِزّة إسلام..
هذا الشّعور كان فطريّاً، ولكن شوّهته عقودٌ من التشرذم والضّيَاع..
وعودته لن تكون إلا بتعاملٍ جديد مع القرآن، وفهم حقيقي لمعانيه..
فهم يقودُ إلى التّطبيق والتّطهير والإصلاح..
فهم فاعل، ينير البصائر المغلقة..
فهم يجدد الرّوح، يوقظها، يحرّك خصال الخيرِ فيها..
فتعود بكامل استعدادها للعمل، والعطاء، والتّضحية والبناء..
من أجل « الرّسالة»..
يصبح الفرد المسلم ليس مجرّد رقم مسجّل على الهامش..
بل كياناً قادراً على التغيير والمواجهة..
مشكلتنا أننا محاصرون ما بين ذُلّ، وجَهلٍ، وبُعدٍ، واستجداء..!

• بداية يرهبونك..
وحين يتمكنون من إخَافتك..
يخيّرونك..
ما بين الجّوع أو الرّكوع..
وحين تختار الرّكوع..
لأنك لا تحتمل الجّوع..
لأنك عشت طوال عمرك على الهامش..
لأنك لم تهتم بفهم حقيقة اللعبة..

لأن عقيدتك وجذورك لم تستحوذ لحظة على تفكيرك، فتبني لغدٍ.. في نفسك.. وفي كل ما حولك..

لم ترتبط بأرضك فتنشئ فيها مقومات للثّبات..

لم تأبه بطعامك ولباسك وسلاحك المستورد..

لأنك أردت فقط أن تعيش ليومك مرتاحاً من عناء التفكير..

تشعر فجأة أنك خسرت كلّ شيء..

وبأنك مستعد مجدداً لخسارة أيّ شيء..

مقابل أن يسمحوا لك بالعبور إلى مكانٍ خادعت نفسك فاعتبرته آمناً..

يمنّون عليك.. بإطلاق سراحك من حصار بعت كل حياتك لتغادره..

وحين تغادرهم..

يغدرون..

يوجّهون سلاحهم نحوكَ تحديداً..

ودون تردد.. يقتلونك

● والله لا أيأس ولا أرفع للاستسلام راية، طالما هنا بيننا قلب مؤمن عامل واحد.. ينبض حيَاة............

● عشقت الظلام والشموع المطفأة.. لأنّها تحفّز باستمرار على إيجاد طرق جديدة للإضاءة، ولأنها تبعثُ فينا الهمّة لإشعال النّار.. دون أن نركن إلى ما لدينا ودون أن نهمله أيضاً..

عشقتها وعندي يقين أن السّواد سيحفّزنا.. ولن يستعبدنا يوماً.. لأننا تعاهدنا أن نمضي معاً على طريق النُّور..

• التّاجرُ مع الله لا يكفيه أن يقدّم بضاعته، بل يجب أن يروّج لتجارته، ويسوّق لها، ويدعو إليها أتقن وأحسن وأتقى ما يكون.. في سوق اكتظّ بألوان البضائع، وتعدّد فيه المُشترين.. ولا أرباح جارية إلا للمخلصين الجادّين..

#معاً_نحو_التغيير

#وكفانا_تخذيلاً

• متى يا أمّتي تتحرّر فيكِ الضّمائر الأسيرة، وتعود إليك الضمائر الغائبة، فتتجسّد قالباً واحداً عنوانه « نحن» ؟!!

• اعتاد القنّاص أن يوجّه رصاصه الغادر نحو ذلك الطّريق.. حتّى بات مهجوراً..

كدنا نظن لوهلة أن الحياة ماتت هناك..

حتى توقف الإطلاق لأيام معدودة...

سِرتُ هناك، لأرى أسراب حمام غاية في الرّوعة تطيرُ وتحطّ في مكان محدد على الطريق ذَاته..

وإذا برجل مُسنّ يرعاها، ويلقي إليها بالطعام فتلتقطه، وتعود فتواصل التحليق عالياً..

يومها فهمت أننا وإن ظننا لمكان ما هُجراناً.. فإن الله تعالى سيُسخّر من خلقه من يرعاه، ويرفع راية الثّبات فيه.. تارة في الأرض.. وتارة في السّماء....

• نحتاج إليهم. ليمسحوا على رؤوسنا بأكفهم الصّغيرة..

ليشعرونا باحتواء الكون حين تسعدهم لمسات قليلة قد تغير حياتهم..

نحتاج أن يكفكفوا دموعنا الحزينة بنظرة تشعّ أملاً.

وأن يداووا جراحنا بخطوة يحرزون عبرها تقدماً..

نحتاج إلى الأيتام ليمتد في قلوبنا دفء الكون..

• ليغمرنا شعورُ الرحمة..
لتربطنا صلة ترتفع في السموات السّبع إلى الفردوس.
ليأسرنا ذلك النور المشع لمقعد قرب الرسول صلى الله عليه وسلم..
لنفهم كم أننا محرومون.. وكأننا غصن يابس قطع من شجرة..
إن لم يكونوا هم وغيرهم من المسلمين كلّ أهلنا...

• المجتمع الذي اعتاد على محاربة الشخص صاحب الفكرة الخاطئة لشخصه، المجتمع الذي يفشل في تقديم آلية واعية في التعامل مع المخطئ، ويكتفي بالاستهجان والتقريع وتشريع الأبواب له لينسحب من أيّها يشاء..
المجتمع الذي يحوّل الخطأ إلى جريمة، دون أن يمتلك مقياساً لتقدير حجمه الحقيقي وكيفية التعامل الصحيح معه ومعالجته..
هو مجتمع اختار أن يخسر الكثير من الجهود والطاقات والأفكار..
اختار أن يبقى في الساحة وحده، بالأشخاص الذين يقدسهم، والأفكار التي يبجّلها فقط لا غير..
هو مجتمع اختار الوحدة على الشمول والاتساع...
واختار الجمود على المرونة والفاعلية..
دائماً تخاطبنا السيرة بطرق لا محدودة في التعامل مع كل أنواع الناس، التعامل الذي يحببهم بالإسلام، ويفعلهم مهما اختلفت عقولهم وأفهامهم..
ولنا أن نفهم كيف فتح الإسلام الشرق والغرب..
بالأفق الواسع، وبالأخلاق استطاع من فهموه حقاً أن يبلغوا الآفاق...

- عامٌ مُتعِب..

ولعله مُتعَبٌ منّا وعاتبٌ أيضاً...

جولةٌ على طريقِ حرّيّة اقتنعت أنها في المهد، وبأنها ستكبر وتكبر.. ستُغيّر..

وستبقى نقيّة لا تتغيّر..

عامُ هدم وبناء..

والبناء لَّا تزال تُحفر أساساته، لا يراها البعيد، ويكاد يُقسِم ويجزم أنها غير موجودة أصلاً..

وبأن البُناة المجاهدين قد تعايشوا مع الهدم، واستساغوا التجوال وسط دمار الأرض والنفوس..

لكن البناء قائم.. والجدّ في إعلائه قائم.. والخير سيتحقق..

ليس منّا من لديه أدنى شكّ في ذلك..

عام من الصّراع بين الحق والباطل..

عام من الوضوح... إلى حد الألم.. إلى حد عدم التصديق أو الاحتمال.. حتى الإفاقة من الصّفعة..

عام من البكاء الذي بتنا نصلّي لأجله صلاة الاستسقاء فلا نجده..

وبعد أن يأتي ندعو دعاء النوازل ونخشى أن نغرق بدموعنا دون أن نستشف طريق الخلاص..

عام من الهموم المتلاحقة، والأحمال الثقيلة.. والغربة في كنف الوطن، والوحشة والاشتياق إلى رفيق الصّدّيق، يهمس.. بلا تحزن..

ومن ثم نسأل أنفسنا أكُنّا كالصّديق تصديقاً وهمّة؟!!

عام من الهجرة نحو مدينة نقيمها في أنفسنا، ولازلنا نبني ونصلح، نخفق ونتراجع، ثم نعود لننهض، ونتابع الهجرة، ونتبين المعالم من الكتاب حتى تتبيّن..

عام بألف عام من التجارب..
ورغم ما فيه من ألم وصقيع وزلزلة..
إلا أنها كلها اجتمعت لتعلمنا معنا الثبات والرسوخ، لتعمق في قلوبنا حقيقة الإيمان ونحياه..

- يضحّون بأرواحهم ليحق الحق ويبطل الباطل..

ليقوم من بعدهم بحمل الأمانة.. وتأديتها على أفضل وجه وأتمه..
لا ليقعدهم الحزن أو اليأس.. ولا أن يتركوا السّاحة فيغزوها المنافقين أو الجّبناء!

- انوِها لله..

وجدّدها في قلبك..
في أحلك ساعات الليل ظلمة..
وفي أوج التألق والإشراق..
وعند ثبات الخطى وأنت تسير..
وفي عمق البئر وإن ألقوك فيه وحدك..
لا تنتظر السّيّارة ليلقوا دلاءهم لينقذوك..
ولا تعتمد على سير القوافل..
ولا يخيبك كثيراً إن مضوا وتركوك..
ولا تعتمد على حدسك أيضاً فقد يخيب..
اعتمد فقط على من يراك ويسمعك..
ومن هو أقرب إليك من حبل الوريد..

• لا خلاف في أنّ أيدي العاملين للخير بحرقة.. المخلصين.. الثّابتين.. أصحاب الرّسالة.. قليلة..

لكن لا خلاف أبداً في أنّ هذه الأيدي طيّبة مباركة.. وبأن سعيها سيثمر مهما طال الصبر والعناء..

• أذكر أن أول مشروع قمت به في حياتي تم تدميره بسبب مشكلة إلكترونية.. كانت تتكرر ولا أجد لها حلاً، فأعود لأقوم بجهد خيالي لأصل إلى المراحل الأخيرة، ثم يعاد تدميره.. المشروع أعدت صياغته وبناءه أكثر من خمس مرّات..

كل مرة تنتابني فيها حالة من النقمة والقهر وزوبعة من الغضب والبكاء..

ثم لا ألبث أتذكر أهميته ونتائجه.. فأحتسب وأعود للعمل بهمّة..

أذكر أنني وصلت إلى حالة من اليأس والإحباط وترك العمل نهائياً لأن جهدي ذهب سدى..

لكنني عندما نجحت في المرّة الأخيرة بإخراجه أدركت أنني اكتسبت خبرة وسرعة وصبراً استمرّ معي حتى هذه اللحظات..

مع أنه كان منذ أعوام طويلة.. لكن أثر الصبر استمر وبقي وأضاف لي أكثر مما أضافه لي المشروع نفسه...

تذكرت ذلك كله وأنا أشاهد صور النفق الذي احتله النظام في المليحة..

جهد شهور وتعب ومشقّة ليؤتي أكله.. ثم يضيع ويأخذه العدو..

أؤمن أن من حفروا الأنفاق بجهدهم وعرق جبينهم يمتلكون الهمة الكافية والقدرة على حفر المزيد..

وقد اكتسبوا خبرات جديدة.. وعرفوا عدوهم حق المعرفة..

أدرك أنهم لن يستسلموا أبداً.. ولن تكون هذه إلا خسارة مؤقتة..

ضريبة شق طريق النصر يحتاج إلى أنفاق كثيرة..
تبدأ بالعقل والتفكير.. مروراً بالصبر والهمّة.. انتهاء بالثّبات...
اللهم تقبل كل جهد وبارك كل همّة....

• ياهذا الأمل.. كم هو عنيد!!
كلما ظننا أنه مات معهم.. ودفنّاه..
عاد فنبت وتطلّع نحو الشّمس من جديد!!

• الإيمان والتّسليم.. الطمأنينة التي ألمسها في قلوب شباب الحصار وأنا أحادثهم في هذه اللحظات العصيبة تجعلني أفهم تماماً جنون النظام في اللحظات نفسها، وهو يحشد المزيد من الجند والدبابات والآليات العسكرية ليرهبهم بعد عامين من الحصار الخانق..
قوة المؤمنين هزّت عروش الطغاة وستبقى..
#الله_مولانا_ولامولى_لهم

• بين من تضرر بابتعاده عن نصرة الحق.. ومن ثبت وواجه بكل طاقته..
أرى من يزلزل الرعب والخوف قلبه وهو ممن يظنون أنفسهم في مأمن.. ورغم ذلك يحسبون كل صيحة عليهم..
وأرى من يواجهون العاصفة أقوياء مطمئنة قلوبهم بالإيمان..
فأفهم أن الضرر حقاً لم يمسّهم بمن خذلهم ولا بمن خالفهم...
#الله_مولانا_ولامولى_لهم

• المسؤولية تبدأ بإحساس.. وتتجسد بعمل.. وتنتهي ببناء متين..
فطوبى لمن تعب وبنى نفسه.. فكان اليوم على قدر المسؤولية..

- القلوب المؤمنة الرّضيّة الثابتة. هي التي تعدل الأرض التي تهتز تحت وطأة القصف.. لتكون أرض برد وسلام على كل من خرج ليعلي كلمة الله....

- #ذكرى_اعتصام_الساعة

وهناك من وفّى بقسم الثورة فهو مع الحق بنفسه وماله وكل ما يملك من جهد وطاقة..
وهناك من وضع كفّارة قسمه في صندوق التبرّعات ورسالة اعتذار مع الحب!!..
وهناك من لم يعتبره بشيء.. نسيه وهو يحثّ الخطى عائداً إلى عالم القطيع والأنعام.

- بالأمس كان الأمن يقتحم الحي بحشود كبيرة وآليات ومدرّعات ليلاحق المتظاهرين الذين يختبئون داخل المباني وثغرات الجدران..

كان الرصاص يتساقط كالمطر...
ويرتقي شهداء.. ويسقط جرحى يستبسل الشباب بإنقاذهم وإسعافهم بأي طريقة..
وكانت المظاهرات تستمر بنبض أقوى وتحد وإصرار على المتابعة.. وهذا - على مرور الوقت - زلزل النظام وهزّه..
واليوم.. الأمن يقتحم الحارات.. والكُتل والأبنية.. بالرشاشات والدبابات.. يسقط الأسطوانات.. يُرسل الصواريخ.. والهاون يتساقط مثل المطر.. الشهداء يرتقون.. ويُجرح آخرون في سبيل الله.. شباب يتابعون.. ويقسمون على مواصلة الطريق..
لا شيء تغيّر.. سوى بعض التعديلات في نوع السلاح وحجمه..
من ارتقى شهيداً.. ارتقى بقدره.. لم يستقدم يوماً في عمره ولم يستأخر..
التحدّي مستمر.. الإصرار على المتابعة لم يتغير.. الثقة بالله لم تتزعزع..
نحن شعب قرر أن يبيع نفسه لله. ليُنقذ الأجيال القادمة من أسر طويل..
اختلفت الوسائل.. كثُرت المحن.. وازدادت الامتحانات صعوبة وتعقيداً.. وبقي

المعدن الأصيل يلمع.. وسيبقى
بالأمس.. واليوم.. وغداً بإذن الله..

• سنبقى مدينين بكل خطوة نتقدم فيها للأمام.. بكل دمعة فرح لنصر تحقق.. بكل اجتياز لأزمة.. بكل عبور من عالم اليأس والضيق.. إلى فُسحة النور والأمل.. لجنود الرحمن الذين قدموا حياتهم فداء لقضية..
نحمد الله تعالى أن أخرج بيننا أمثالهم.. ومنّ علينا بهم.. ونحمد الله تعالى أن اصطفاهم ورزقهم جنة الفردوس بإذنه..
نحمده في فرحة تجديد الإيمان.. فرحة اليقين بالله.. أنه معنا ولن يضيع جهد الساعين إليه.. ولن يتركهم إلى ضياع..
اللهم تقبلهم عندك.. وبارك سعي المؤمنين.. وكلله بالنصر المبين....

• كان مسجداً كالقلعة.. ضخم وقديم.. إطلالته ساحرة.. والوقفة على شرفته دافئة.. توقد كل الحنين..
وقفت في أعلى مكان منه لأشاهد جامع خالد بن الوليد يبدو في حلّة ساحرة جديدة قبابه ذهبية تلمع..
هممت لألتقط صورة للمسجدين... لأجمع بين مئذنتين.. لمسجدين في لقطة..
تحركت لآخذ تلك الزاوية التي توحدهما في لقطة..
وإذا بي أشرف على المسجد الحرام وتتبدى لي فيه الكعبة وجموع المصلّين.. كما كنتُ في الحقيقة أطل على الأموي من قاسيون..
المشهد مهيب.. والوقفة تحرك الشجون..
......

لستُ ممن يبنون واقعهم ومستقبلهم على أحلام ورؤى النّيام..
لكنه مشهد أسرني كمن يقرأ رواية خيال تحمل للواقع ومضة ما.. رسالة ما.. في توقيت عصيب..
سأفهمها تأكيداً للبوصلة التي لابد دائماً أن تستقيم.. للعمل الذي لابد أن يستمر أتقى وأحسن ما يكون.. للرسالة التي - بإذن الله- لن تضيع..

• أم الشهيد ليست بحاجة لمن يزورها ليبكي أو يتباكى ويشكو سوء الأحوال ويتحسر على شباب ابنها..
هي بحاجة لمن يذكرها أنه في الجنة حيّ يرزق.. وأن حسن خاتمته فرحة.. وشهادته عُرس يُزفّ فيه إلى السماء..
هي بحاجة لمن يخبرها أن تربيتها أثمرت بطلاً.. وبأن صبرها ثبّته.. والبطل انتهى عمره في الدنيا أغلى ما يمكن لإنسان أن يختم عمره عليه..
هي بحاجة لمن يؤكد لها أن لبس السواد وهم مخترع.. والحزن فقط حزن الفراق وما يتبعه من اشتياق...
وغير ذلك أجر عظيم.. وسنوات مهما طالت ستمضي وسيتشكّل فيها ذلك الأثر الذي استشهد ابنها لأجله.. وهذا أجمل العزاء!!

• هناك لحظات تعيشها تفرض عليك أن تكبر، أن تتخذ قرارك الحاسم لتخطو خطوة إضافية جديدة، هناك لحظات تفرض عليك ألا تكتفي بواقعك، بل أن تتغير أكثر، لتفرض بعض التغيير عليه مهما كان في عينيكَ طفيفاً..
هناك لحظات تشعر فيها أنك لست أنت..
لكنها في الحقيقة هي الأصدق..

لأنها تريك الجانب الذي كنت طوال عمرك تجهله عن نفسك..
تريك حقيقتك التي كنت تنكر وجودها أصلاً..

- أبو حمزة

وهب حياته للخير..
ذاق مرارة الاعتقال..
دخل إلى الحصار على قدميه. ليقدّم روحه..
هناك كان يفكر بدراسة الماجستير.. فشهادة الجامعة وحدها لا ترضي طموحه...
كانت صورته الرمزية لوقت طويل.. «أنا مشروع شهيد»..
كانت رسائله لأمه تقطر إيماناً وثباتاً..
وكانت ردودها عليه بالمثل..
أنهكه الحصار لكنه حسم أمره ألا يسلّم ولا يستسلم..
استشهد ليفك القيد عن إخوته... ليحفظ هوية مدينته..
ليساند الحق بهمته...
كنا نرى الدنيا بخير لأنه وأمثاله فيها..
والآن.. رحل إلى من كانوا يستبشرون بمقدمه..
وتركها لمن يكملون الطريق..

- ليس جزعاً ولا حزناً عليهم..

بل استشعاراً لمدى تقصيرنا.. وإعادة نظر في كل خطوة مشيناها معهم..
إعادة تعديل وتقويم..
نقد قاسٍ.. نرغم على احتماله.. لأنه يضرب بعمق.. في الصميم..

ليجبرنا على التعديل والتصحيح والتقويم.. كلما أحسسنا بشيء من التغيّر...
الطريق ذاته...
بقي أن نكمله بالتقوى والإخلاص كما أكملوه..

- لا شيء يعزّي أهل الشهداء سوى متابعة الطريق..

حينها سيعرفون أن دماء أبنائهم لم تذهب هدراً.. بل عبرت مرحلة ودفعت للأمام..
ولا شيء يدعو للتفاؤل سوى مبادرة العاملين..
الساعين إلى الله بهمّة.. الآخذين بأسباب النصر.. من جددوا البيعة لله في كل خطوة..
وقد أعلنوها بينهم وبين أنفسهم ألا يتراجعوا.. فإما إلى نصر أو إلى شهادة..

- لم نكن نملك إلا أصواتنا.. وحاربناهم بها.. وزلزلنا الأرض تحت أقدامهم..

واليوم رغم ما نشعر به من عجز، إلا أننا نملك أكثر من ذلك بكثير.. لكننا لا نجيد استخدامه، أو بالأحرى.. لا نريد!!

- فرقٌ كبير بين أن تكون في الحياة حجر أساس..

أو حجر عَثَرة!!

- #بل_أحياء

هم بأفضل حال اليوم..
ولكن..
كيف حالنا نحن؟!!
لا عَزَاءَ لنَــا أبداً..

لا عزاء...

إلا أن نوقف هذا الخدر الذي بدأ يمتد إلى أرواحنا قبل الجسد.. فنَتَغيّر، ونُبادر، ونحاول أن نحدث فرقاً..

فنحقق ما طمحوا له، ولا نجعل تضحياتهم تمضي كحدث عابر...

• الحياة لا تُقدّم لأصحاب الرّسالة بطاقة دعوة كي يغتنموها، ويطوعوها، ويُعمروها..

لابد وأن يبادروا هم إليها، ولابد أن يوظّفوا كل ما يمتلكون من عقل وطاقة وقدرة في سبيل إحيائها..

لابد من التعب والمشقّة إلى حدّ الكَلل..

لابد من لحظات حزن واغتراب وتعب..

لكنه الخيار الوحيد..

أو السّكون والموت المحقق..

• طالما اتّقدت البصيرة، وأُلهمت الحكمة..

يغلقُ باب الفتنة...

لا لتُخفى المشكلات وتُعمّى..

بل لاقتحام أبواب الفاعليّة والحلول..

• الرّكيزة الوحيدة والأساسيّة في ثباتنا ومتابعتنا العمل بهمة أكبر من ذي قبل.. تعاملنا مع الله سبحانه..

العدل الذي لا تختلّ عنده الموازين ولا تضيع الحقوق مهما أضاعوها بني البشر..

• مهما كانت الظواهر جميلة ومثاليّة..
تبقى المواقف كاشفة.. تختصر طريقك في البحث والسّؤال، وتُريك الوجوه على حقيقتها دون أدنى عناء..

• كتَبَ الله أن نَدفعَ ثَمن دروس نتلقّاها في حَيَاتِنَا الدّم..
#حمص
#فداكِ_الرّوح

• لا تحزنوا إلا على أنفسكم.. وحاسبوها.
فقد تكونوا من أسباب الهزيمة...
فانظروا كيف تعودوا من أسباب النصر..
فقد أثخنت قلوبنا الجراح..

• هنيئاً لمن لقوا الله وقد أدّوا ما عليهم.
هنيئاً لمن احتملوا الجوع والبرد والحصار وهمجية الطاغية.. فصبروا وصابروا ورابطوا...
هنيئاً لمن كُتبت لهم شهادة غالية في سبيل الله، فاستشهدوا لأجل أسمى غاية، فيما تقاعس آخرون، تركوا مهامهم، وتجاهلوا ثغورهم وكأن الأمر لا يعنيهم..
في موازين الناس ستُقال عبارات كثيرة..
وفي ميزان الرحمن.. ربح البيع بإذن الله..

• « عمّو.. حبّاب.. خلّي الجذر لا تقطعه! «.

طلب طفولي استجاب له الرّجل الذي يقطع الشجرة ليحصل على شيء من الدفء في يوم شديد البرد..

الطفل بطلبه أعاد الرّوح للشّجرة..

وذكّرني بأطفال يشبهونه، أنجاهم الله تعالى من مجزرة رهيبة، قُتّلت فيها عائلاتهم..

كنت أتساءل.. ما الحكمة من بقائهم ولا أحد ممن يعرفونه على قيد الحياة؟!!

ربما هي حكمة الله في ألا تُقطع « شجرة العائلة» بأغصانها وفروعها، إلا ويبقى غصن صغير مرتبط بالجذور، سيكبر يوماً ويعود شجرة شامخة، كثيرة الأغصان والفروع..

• ستكتشفُ ذاتَ يومٍ أنّ ما تعلّقتَ به كـ طوقِ نجاة.. ما هو إلا مجرّد وهم..

فالطّوق المستورد مفخّخٌ، والمحليّ مثقوب..

وما عليكَ إلا أن تتعلم السباحة بنفسك، ليس لنجاتكَ وحسب، بل لتصنع أطواق نجاة متينة، تُنقذ الغرقى حولك..

لا شيء هنا سيُغيّر القاعدة، وينتشلك من دمار كل شيء.. إلا أنت.. مستعيناً بمولاك الذي لا ينساك..

• منذ الصّباح وأنا أقلب الصفحات، أتتبع قصص شهداء الأمس، وأقرأ ما كتبوه عبر رحلة حياتهم القصيرة نسبياً.. الثّريّة حقيقة بأغلى وأعظم ما يمكن للمرء أن يقدمه في حياته، وما يشتهي وتطيب به نفسه أن يخدم عبره إسلامه وأمّته..

لا يمكنني وصف مشاعري بين حزن على فقدهم، وفرح لشهادتهم..

لكن شعوري الأعمق هو شعور الفخر بهم، ببطولتهم وتضحياتهم..

لقد استشهدوا وعيونهم على حمص.. يحلمون بفكّ القيد عنها وتحريرها..

رحلوا يحملون هم المظلومين وكيف ينتشلونهم من بؤسهم..
رحلوا بطموحاتهم وأفكارهم، بشموخ رسائلهم وعمقها وصدقها، مما يكفي لشحذ الهمم والكتابة عنهم وتتبع آثارهم، والتعلم في مدرسة قيمهم ومبادئهم أعواماً طويلة..
تقبّلهم الله وأسكنهم فردوس

- « نحن وقود التغيير يا أختي..

المهم القضيّة..»..
يحدثني من الحصار، وأمله بالله معقود، وإيمانه بالله مع المحنة يتجدد..
هكذا عهدناكم يا إخوتنا..
صدقتم وبررتم ووفّيتم..
جزاكم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء..
حفظكم الله بحفظه وفرح عنكم بحوله وقوته..

- طالما فينا أنفاس تتردد..

لا معنى لكلمة نهاية..
لا مكان لليأس..
لا استسلام للفشل..
ما دام في العمر بقية فهنالك دور لابد وأن يؤدى..
هنالك وقت لابد وأن يعطى حقه..
هنالك عمر سنسأل عنه أمام الله..
فلا عشنا إن تركناه لأعدائنا غنيمة..

• أرى قوّتنا وإشراقة شمسنا في عيون عالم يقتله الخوف مما نملك..
ولهذا فإنه يحشد ليجابه ويقاتل أهم وأقوى وأشرس ما يملك..
أرى رعباً حتى من الأطفال والأجنة في بطون أمهاتها..
أرى أمما تتحد، وعقائد تتجانس، لتحوز على شبر من أرض قد لا نعطيها اليوم أهمية..
أراهم يبرعون في قراءة المستقبل أكثر منا..
وأجدنا لازلنا بحاجة لمحو أمية في التاريخ والمستقبل..
لمحو أمية أخرى في فهم القرآن.. وفي إدراك من نكون، وماذا علينا أن نكون..
كم خطوة سرنا إلى الهدف، وماذا حققنا؟!!

• ألم الغياب أشد من ألم اقتلاع شظية من جسدك..
لأنك قد تبرأ بعد اقتلاع الشظية بفعل علاج ما، بناء ما..
عبر محاولة غرس فسيلة جديدة هنا أو هناك..
لكنك لن تجد من يسد فراغ الغائبين..
وهذا حال الوطن المثخن بالجراح..

• الثّبات موقف.. الإرادة موقف.. العزيمة موقف.. الشّجاعة موقف..
الحيَـــاة كلّها موقف..

• دائماً الكلمة التي تخرج من القلب تصل مباشرة إلى القلب..
والكلمة التي تخرج من خلف حواجز الأسمنت، تصل جامدة لا تؤثّر ولا تُغيّر مهما زُخرفت وزُيّنت ولوّنت..
صدق الكلمة مفتاح القلوب..

• وأقسى من جُوع الحصار.. الجّوع للكرامة..
سيظلّ يفتك بالشّعوب، ويهلك أولها وآخرها، ويقلّبها من ذلّ إلى ذل..
حتى تعي تماماً سبيل الخلاص..
وحين تمتلئ يوماً بذلك الشّعور، ستعرف أن القيد كلّه كان محض وهم..

• أكبر قيد يحاصرنا اليوم أننا قد سُلبنا إرادة حرّة..
ورحلة التّغيير المطلوبة لن تتم إن لم نتحرر من هذا القيد..
المشكلة أننا بدأنا نتعايش مع فكرة عدم الاستطاعة المطلقة على فعل شيء في سبيل الفكاك، مع أن هناك خيارات متاحة، وخطوات صغيرة، قد لا نلقي لها بالاً ولا نلتفت لها، تصنع الفرق..
فقط إن اقتنعنا بجدواها، وبدأنا العمل عليها بفاعلية وجد، بدل من تضييع الوقت والعمر والطاقة والجهد في الدوران ضمن دائرة مغلقة.........

• لفرط الجوع ضمن الحصار، تناول عشباً وأكله..
العشب كان سامّاً.. والمعدة فارغة..
في منتصف الليل أخبر أهله أن حالته سيئة..
هم لا يعرفون عنه أية تفاصيل.. لا اسم كتيبة أو مجموعة..
لا شيء بالمطلق يباهي به أمامهم ويفاخر، رغم امتلاكه ثروة من الإيمان والشجاعة وحب الوطن والكرامة والتضحية.. والإيثار وأشياء كثيرة سمع عنها أمثالنا لكن لم يطبقوها..
هو فقط يفهم لغة واحدة..
لغة عقيمة عن الأفهام..
لو تم استيعابها سيتغير الواقع من حال إلى حال..
« ورحمت ربك خير مما يجمعون»........

• ربّ محنة غيّرتك ووهبتك صلة بالله لا تنقطع..
ورب محنة قادتك إلى أعلى درجات الجنة من حيث لا تحتسب!
#رسائل_للثابتين_في_الحصار

• بعض الكلام يضيء للسائرين كالنجم في عالي السماء..
بعض الكلام سلاح ننازل فيه خصومنا ونخوض عبره معاركنا، وندافع فيه عن حقوق المظلومين ونقتص من الظالمين..
بعض الكلام غرس وثمر..
وبعضه يكون مشحوناً بذلك كله..
لكن لقَدَر ما أراده الله.. لحكمة مبهمة..
يغدو الكلاّم عقيماً.. عقيماً.. عقيماً..

• خارجاً عن كل حدود المنطق..
ينتهي الكلام.

• أغلى موقف يمكن أن تقفه وأنت تهنئ أباً في ابنه البطل المجاهد..
لتسمعه يسرد كل أخباره ومعاركه التي خاضها منذ بداية الثورة، ليحدثك عن صموده الرائع ضمن الجوع والحصار.. ليخبرك كم كان أبيّاً شهماً تشهد له الأرض وأهلها بالخير..
كل ذلك ولم يتجاوز عمره عشرين زهرة..
ثم يواري دمعة بإباء.. ويمضي داعياً له بالقبول.. صابراً راضياً محتسباً...

• الحياة ليست مزحة، ولا لعبة، ولا متعة، ولا راحة..
الحياة جدّ وعمل ومشقّة وتعب في سبيل البناء.
الحياة وسيلة ننقش عليها رسالتنا ونرحل..
لا مزيد من الوقت للشتات..
فلا أحد يدري متى تُعلن نهاية الرحلة..

• يكفي أن تتأمل وجه شيخ خارج من الحصار، لتقرأ تاريخ مدينتك منقوشاً في نظرة عينيه، وكبريائه.. في أدق تفاصيله..
وكأنه يأخذك بجولة إلى حيث تشتاق، وتركن نفسك..
وكأنه يسبغ الطمأنينة في قلبك المنكسر، فيجدد إيمانك كلّما بَليَ بأنّ الله معنا..

• يخرجون.. وفي قلب كل واحد منهم غابة من وَجع..
ذكريات الطفولة والصّبا.. روحُ المدينة، عذوبة الذكريات..
الهويّة.. الماضي بجماله الآسر..
الحاضر بروعته رغم مرارته..
المستقبل الذي صمدوا لأجله..
الأرض عندما تكونُ أمّاً..
الطفولة عندما تتحدّى..
الشّباب حين يسطرُ الملحمة..
الحجارة عندما تتحدّث..
الصّمود وهو يسرد سيرته الذّاتية..
عبق الياسمين المخضب بالدّم والرّماد..
مقابر الشّهداء.. ومسكٌ يفرض نفسه -رغم الخَبَث- في الأرجاء..

المساجد وهي تبكي بإباء..
كيف لا ينتاب كلّ منا هذا الشّعور..
وهيَ مَن هي..
لا مكانَ أبداً في الكون يشبهها..
#حمص_القديمة..

• لا شعور يشبه الشعور بالخذلان.. ولا شيء يُمكن أن يُنسيه ويمحوَه..
لأنّه يحفر بعمق..
ومع ذلك.. هو يدفع للبَحث عن حل.. عن طريق آخر..
عن عالم جديد يُبنى..
الحياة فيه ممكنة..

• السّلاح.. الإغاثة.. الطّبي.. التّعليم.. الدّعم النّفسي.. وغيرها..
مجالات في الثّورة يقومُ عليها البرّ والفاجر.. ولكلّ أهدافه فيها..
وهي للمسلم ميادين جهاد حقيقي..
فإذا لم تنطلق من رسالة إيمانيّة واضحة من أعماق القائمين عليها، إن لم تختلط بأخلاقهم وأعمالهم معاني الإسلام المضيئة، وتنتشر بالخير بين النّاس، ستُغيّب القِيم، وتختلط المفاهيم، وتضيع الهويّة..

• رُوح حمص القديمة انتشَرت في كلّ أحياء حمص.. عبر القادمين من هناك..
مهما حاول النّظام أن يغالط ويُقنع الجميع أن الأمور خلاف ذلك.. بتطبيق سياسة القطيع من جديد..

كلمة واحد من شيخ أو امرأة أو طفل قادرة أن تحيي في أعماقك رُوح الثورة القديمة.. مهما أقنعوك باندثارها...

• مقاومة الاستعمار كلّف الجزائر مليون شهيداً..
فكيف بمقاومة نظام مستبد متلون متداخل متشعب في عروق سورية، متمركز في كل نقطة هامة ومحورية، مسيطر على الحكومة والعقول؟
لابد وأن إزالته يتطلب الكثير من التضحيات والدّماء..
العبرة في الاستمرار والمتابعة، لا في الاستسلام والانهزام..
#صمودنا_أساس_النصر

• الشباب الطاهر النّقي الذي آثر البقاء في الحصار..
الشباب الطاهر النّقي الذي لازال يعمل خارج الحصار..
الشباب الذين آثروا الجوع على الرّكوع للطاغية..
ومن آثروا اقتحام الصّعاب والتّضحية بالرّوح والدماء في سبيل إحقاق حق وإزهاق باطل..
قد أعلنوا للعالم كله أنه لا مساومة على الحرّيّة..
حرية الإنسان في أن يعيش مكرّماً في دينه، أن يدافع عن أرضه وعرضه..
أن يحفظ هوية مدينته السّنيّة المسلمة..
أن يرفعها من دَنس الطاغية المستبد.. مهما كلّف ذلك من ثمن..
هذا إعلان مواقف.. إعلان كرامة.. إعلان حرّيّة..
يسطره التّاريخ وإن تغاضت عن سماعه كل وسائل الإعلام في العالم..
#إيماننا_أساس_النصر

- هكذا الطّبع الإنسانيّ مجبولٌ على العَجَلة..

الحكم من النّظرة الأولى..
الموقف الأول..
الكلمات الأولى..
دون الإبحار والتّعمّق في ما وراء الأمور..
دون تكبّد عناء الفهم، والصّبر على ما يُرى ويُسمع..
دون النّظر برؤية شاملة، أو التّحقق من ذلك كلّه..
« قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً »
ولهذا فكثيراً ما نخسر أهم الفُرَص في الحياة، ونودّع أفضل الأشخاص..
فقط لأننا لا ندرّب النّفس على أن تستطيع على ذلك كلّه صبراً..

- إنجاح الثّورة ليست مهمّة الثّوار – حملة السّلاح – فقط..

حتى لا نلقي باللوم عند تراجعها عليهم..
الثورة هي أنتَ.. وأنتِ.. أنا.. نحن...
إن كانت الغالبية تلقي باللوم عليهم في تراجعها..
فلكلّ منا دور أساس في ذلك أيضاً..
أقول ذلك لكل من يقول أنا مغلوبٌ على أمري، ويبرر لنفسه الخروج في مسيرة تأييد..
فشل بعض الثوار وفساد بعضهم الآخر ليس مبرراً لانتكاستنا..
تأييدنا للنظام لأي سبب كان أكبر خيانة..
ولمن يقول، ماذا بوسعي أن أفعل ضمن القيود في الأحياء المُحتلّة أقول..
الامتناع عن فعل الخطأ خطوة إيجابيّة لابد أن تعقبها خطوات..
المهم المبادرة وعدم العودة إلى حياة القطيع مهما كان السبب..

• الرّسالة وأصحابها ليست حكراً على منطقة جغرافية دون سواها، على حيّ محرّر وليس حيّاً محتلاً..

الرّسالة التي تستقرّ في القلوب المؤمنة، تخترق الحواجز، ولا تعترف بالحدود..

تتخذ أساليباً متجددة ومبتكرة لتصل، مهما امتلأت الأحياء بالجنود..

تتوهج باتصالها الدائم بالقرآن، باقترانها بالعمل والتجربة والتضحية والمعاناة..

تنتشر وتُغيّر وتتمرّد على ما قد يُرى من واقع الصّمت والتخاذل الأليم..

تستقرّ.. وتكونُ نُوراً.. على قدر التقوى والإخلاص.. على قدر الصّبر والهمّة..

وقيمتها ضمن القيود أغلى، وللإيمان حلاوة فيها لا تشبهه في سواها..

فلا تظنوا الرسالة تنطفئ بسبب بعد مكاني، أو وحشة نفس بين أفراد غافلين..

وتذكروا أيّها الغرباء ((طوبى)).

• عندما يكونُ المفتــاحُ في يديك..

لكنّك ضعيف إلى درجة لا تستطيعُ فيها حمله، وفتح أبواب كانت تنتظرك..

ببساطة.. هذا تعريف الوهن!

• نحاولُ أن نقتفي أثره..

بأيدينا المُتعبة الكالّة.. نبذل الجُهد لنَرفع القواعد..

على أنقاض أوثانٍ هُدمت..

بدعاء خائف وجل نادي من يرى حالنا ويسمع مناجاتنا..

«رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»

نُدرك أنها لن تُرفع حقاً حتى يُقطع رأس « كبيرها» ...

في نفوسنا.. وفي كلّ نَفس!!

• «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَم مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»..
حزنهُ كان ثقيلاً.. وفاجعته عظيمة..
لقد فهم تماماً أن قلوب البشر لن تتسع لحزنه..
وعقولهم لن تطيق بثّه..
فوجّه ذلك الألم لمن يراه ويسمعه، ويحتويه ويجيب دعاءه..
وجّه ثقته لمن هو أهل الثّقة..
لمن يُدرك تماماً أنه إذا قرع بابه سيفتح له..
لمن يعلم ظاهره وباطنه.. وأعماله وخفاياها.. ونواياه ومقاصدها..
لذلك كان امتناعه عن الشّكوى رغم أنه قد فقد بصره..
مع ثباته على إيمانه، وإصراره على مبادئه ورسالته..
كان الصبر والثقة واليقين بالله.. باباً من أبواب الفرج..
وكان العمل.. « اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» ..
فارتدّ البصر.. وعادَ يُوسُف........

• مجتمعٌ البقاءُ فيه للأقوى؛ يحاولُ الأصلح أن يشقّ طريقه بكثيرٍ من جُهد وعناء..
هو يدركُ تماماً أن الصّلاح وحده غير كافٍ للتّغيير..
ولذلك فهو يضاعِفُ الجهد بالقلّة الذين يؤمنون بالصلاح والإصلاح..
حتى تتشكّل على الأرض تلك القوّة النابعة من الفئة القليلة المؤمنة.. القادرة على الرّسوخ والتّحدّي والمواجهة..
وهكذا تكونُ الغَلَبة.. بالصّبر والعمل والمواجهة..
« كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ».

- من بلاء الأمّة أنّ الحديث عن الإيمان يُصنّفُ في خانة القعود والعزلة للتّعبّد -الدّروشة-

ولا تُؤخذ من معاني الإيمان القيام على الأمر، والنّهوض، والفاعليّة..
وثَورَةُ التّغيير للحقّ في وجه كلّ باطل...

- « ألّا تطغَوا في الميزان»

الميزان..
منهاج حياة..
يعدّل الكفّة مهما حاولوا إثقالها بركامهم..
يقودك إلى جادة الصّواب كلما زلزلتك المحن..
يهمسُ في أذنيك مطمئناً كلما خشيت أن تضيع... بأن من وضع الميزان سوف يحقق عدالته..
يحمّلك قاعدة الميزان لتأخذ على عاتقك مهمّة تقويمه، مهما زعزعه البشر بظلمهم..
يوصيك أن تعدل..
أن تكون مع الحق بكلّ جوارك..
أن تحيا عليه..
وتموت حُرّاً في سبيله..

- الثّورة بحاجة لدماء جديدة..

عبارة كثيراً ما يرددها المنهكون من الثّورة، رغبة بالتّقاعد عنها..
وهم لا يعلمون أن الدماء الجديدة ليس بالضرورة أن تكون تغييراً في الأشخاص، ليأتي آخرون يجددون الثورة ويبثّون فيها الحياة من عالم الغيب...

بقدر ما هي تغييراً في دماء الشخص نفسه.. تغييراً في قناعاته، وأفكاره، وفي رؤيته.. وطريقته في معالجة المشكلات، والتعامل مع الواقع....

الدماء لن تتجدد إلا بالحركة..

حركة الفكر.. ونبض القلب.. والهمّة والفاعلية..

حينها لن تتحرك وحدها، بل ستؤثّر وتغيّر في مَن حولها..

• كلما تلوتُ سورة الضّحى تذكرتُها وبكيت..

يوم زارتني صلّينا بها الفجرَ جماعة..

شرقتُ بدمعي حين وصلت إلى « ما ودّعكَ ربّك وما قلى»..

لستُ أدري لماذا كانت تلك الصّلاة مختلفة..

هل لأنها جمعتنا على صفّ واحد؟!!

أم لأنها كانت لحظة فريدة غامضة!

لازالت كلما تلوتُ السّورة تذكرتها.. وتساءلت..

أتراها كلما رتّلتها في ظلمات السّجنِ تذكرني.. فتبتسم؟!!

• تعلّم الثّبات ولو ارتكزت على هذه الأرض بعكّازين يحملان عنكَ ثقل الجسد..

وطِّن كتفيك على حملِ رأس مُثقلٍ بالهموم، ليقوى على المواصلة وتحويلها من همّ إلى مشروع عمل..

تابع سيركَ على درب أقسمتَ ألا تحيد عنه مهما كثرت العوائق..

ارتبط بالأرض وتعلَّم منها معنى التّجدد والعطاء..

وفي كلّ خطوة...

احرص أن يظلّ قلبكَ معلّقاً بالسّماء...

• تقفُ بفاعلية على أكثر من جبهة.. تبذلُ جهداً مضاعفاً لتنجز أعمالاً قد تكون فوق طاقتها.. تعاني كي تنجح ثورتها على الظلم والجهل والخُرافة.. تتحدّى بأخلاقها وقِيم دينها عالماً يصرّ أن يحجّمها في صورة...
وتأبى إلا أن تكون الرّوح والنّبض والحياة..
تحية..
لمسلمات يكافحن لأجل هويّة تميزهن عن كل نساء الأرض..

• حاولوا إقناعك أنك في معزل عن كل شيء، وأن المعركة خاسرة.. ولا طاقة لأحد بها..
أوهموك أن من مصلحتك القعود.. وعملك منفصل عن إخوتك.. وبأن الجبهات تفرّقكم..
أخبروك أن الوقت انتهى وما عليك سوى الاستسلام..
وجدت نفسك تفقد أفكارك وطموحك.. تفقد قوّتك وقدرتك على الحركة..
تفقد قلمك ولسانك.. تفقد صوتك..
وجدت أنك في النهاية قد فقدت نفسك......
وفي العمر بقيّة لأن تحياه كما تحب..
وفي الأيام متسع كي تعود..
ومكانك ههنا محفوظ..
ودورك ينتظر..
ساعات النهار تترقب من يبثّ فيها الحياة..
وسكون الليل يشتاق قلبك المُسبّح المؤمن..

وجسدك المتقلب على جمر الفراش وقد قاطع النوم وأرّقه أن يهتدي السبيل..يشير عليك..

ويرجوك..

ألا تُنهي رحلتك كعالة...

ألا تختم حياتك إلا وقد أنجزت وأديت الرّسالة..

- الفاتحة... على نيّة الشّفاء ورفع البلاء..

يتفاعل الجميع مع هذه العبارة..

لا إرادياً يرددونها كالمنوّم مغناطيسياً..

وقد لا يعرفون أنّ للشّفاء من أمراضنا المستعصية.. ورفع البلاء لن يحصل بنيّة مجمدة..

لن يحدث أي من ذلك بفاتحة لا تفتح مغاليق القلوب..

لن يحدث إلا إذا رافقها عمل دؤوب لا تنفصل عنه..

- لو وضعوا الشمسَ في يَميني والقَمرَ في يَساري على أن أترُكَ هَذا الأمر ما تركتُه حتى يُظهِرهُ الله سبحانه وتعالى أو أهلِكَ دونَه..

عندما تكون إرادة الفرد لمصلحة الجماعة..

يمكننا أن نلحظ نواة التّغيير..

- السوري الذي قهر الطائرة والدبابة والمدفعية.. لن تقهره جدران الأسمنت..

لو لم يعرفوا أن الثورة تجري في عروقنا.. لو لم يهابوا فينا الطفل قبل الكبير.. لو لم يزلزلهم الرعب ويُفقدهم الأمان..

لما فصلوا الأحياء في حمص بحوائط الأسمنت!
ليتنا ندرك أيّ قوة في أيدينا.. نملكها ولا يملكونها...

- إلى إخوة أوذوا في سبيل الله.. ثمّ اهتزّت فيهم المبادئ التي خرجوا لأجلها...

أسألكم بالله.. هل وُعدتُم أَن تنتصروا لمجرّد أن خرجتم؟
وألا تجوعوا ولا تعطشوا..
وألا يصيبكم تعب ولا وهن..
وأن تكون صفوفكم نقية من المنافقين..
وقاداتكم كسيف الله خالد بن الوليد..
وألا يخذلكم العرب والعجم..
وأن يسارع أهل الأهواء إلى نجدتكم..
وأن يتخلق الجميع بأخلاق النبوة..
وأن ينهزم العدو من الضربة الأولى لتكون القاضية؟
ماذا إن لم يحدث شيء من ذلك كلّه؟
أو تهتز عرى الإسلام في قلوبكم؟
أو يتزعزع إيمانكم الذي أخرجكم.. وميّزكم.. وقادكم إلى رحلة من جهاد واصطفاء؟
أَوَ تدفعكم المحنة للانكفاء؟
أَوَ تصفو الدنيا لكم دون ابتلاء؟
أخبروني إذاً كيف يُصنع الرّجال؟
ومن غير ألم وانتصار على فِتن كيف يحملون الأعياء؟
وكيف تنهض الدنيا على أكتاف من كلما عبروا نهراً أو قطعوا وادياً قالوا..
لا طاقة لنا اليوم ببشّار وجنوده..!!
والله تعالى ابتلاكم ليرفعكم.. ليقربكم منه.. ليُعلي درجاتكم بصبركم وثباتكم..

• لتكونوا وأهلكم الصابرين عنده في أعلى الدرجات.. من المصطفين.. المقرّبين. الأخيار..
لا يغرّنكم الخذلان.. ولا يغرنكم أيضاً انسحاب سواكم من الامتحان..
هي معركتكم.. مواجهتكم.. أرضكم.. عرضكم.. هويّتكم.. رسالتكم.. دينكم.. أمّتكم..
احفظوها وكونوا حرّاس الثغور الأمناء..
عيشوا لأجلها مهما كان العيش صعباً في سبيل هذه الغاية..
وموتوا على الخير أبطالاً .. شرفاء .. مجاهدين .. مؤمنين..

• أخشى أن ما تغيّر فقط هو – الرّقم–
تاريخ السنة الجديدة للثورة..
أخشى أننا لم نتغيّر.. أو ربما تغيرنا للأسوأ..
أخشى أننا خذلنا شهداءنا بشتاتنا.. بانحراف وجهتنا.. بأخطائنا..
بقلوب كان الهدف – لو دُمّر كل شيء – أن تسلم..
أخشى أن نصل إلى نقطة اللاعودة..
حيث لا مجال للتصحيح.. لترميم الصدوع.. للقابلية للبناء..
بنفوس مدمرة.. بأرواح محطمة.. بوعي مستمر في الغياب...
وأن سنة ثالثة للثورة لم تكن نفخة الصور التي توقظ النيام..
ولا أن تكون الحافز ليغيروا من أنفسهم.. قبل أن يُلقوا اللائمة على سواهم..
أخشى من متابعتنا الطريق نحو الاستبدال..
فيما نرفع أيدينا نادي... اللهم استخدمنا...
وأن نعاقب الثورة بالتخلي عنها..

لنُسجن خلف قضبان كثيرة اتضحت أكثر عبرها..
كان مفتاحها الأول الإقدام والصبر.. والثبات على الحق..
مفتاح ابتلعته ظلمات اليأس.. والغياب..
أخشى أن نموت قبل أن نبيّض صحيفتنا بتحقيق خطوة نحو هدفنا المنشود..
أخشى..
والخشية وحدها لا تكفي..
هي صرخة الألم الأخيرة..
قبل أن يتغير التاريخ.. رقماً فقط!!
ويطول الأمد..
ونبقى في غياب!

- الاعتياد... بداية الطّريق إلى الهاوية!

- أقدام كثيرة زلّت في الثّورة..

حتى وإن سترتها أغطية الطاولات الفخمة في الاجتماعات والمؤتمرات..
حتى وإن ادّعت وقوفاً على جبهات..
حتى وإن ظلّ وقع خطواتها مستمراً دؤوباً لا يعرف السّكون..
آن للجسد أن ينفي خبثه..
وأن يعدل سيره.. وأن يعمل على انتشال نفسه من الحضيض..
قبل أن يغلق كاتب التاريخ صفحاته..
ويُعلَن انتهاء الحكاية..
على أمل آخر..
في زمن آخر..

• ليست المشكلة في أن فاقد الشيء لم يُعطه..
المشكلة أن مالك الشيء لا يفكر في أن يعطيه أصلاً مع القدرة!!

• لقد صبرنا عقوداً..
طوال فترة الاستبداد...
على الظّلم.. والقهر والإذلال.. وكل أنواع الحروب وحصار الفكر وجرائم السجون المروّعة..
ولم نصبر على مرحلة يقظة المجتمع من حالة غياب الوعي الكائنة..
وما تحمله هذه المرحلة من تخبطات وأمراض وفوضى ومشكلات..
ربما لأن سُبات العقل أهون من استفاقته..
وموت القلوب لا يُشعرُ بالألم المُنبّه لإجراء عملية أو تناول أدوية..
ربما لأننا ارتضينا الأخذ بحكم النائم أو المريض أو المجنون الذين ليس عليهم حرج..
ولم ندرك أننا أُمرنا بالإيقاظ والمعالجة والصبر على الأذى حتى تحقيق نتيجة..
من يتأمل نسبيّة الصبر ومقاييسه يدرك أننا نخفقُ حتى في تطبيقه!!

• الأم المثالية.. تنجب الأمّة المثالية.. والعكس صحيح..
لنا أن نُقيّم وضع أمّتنا فتكون لنا عين.. وعناية خاصة بحوّاء..
ولنا أن نتفاءل أيضاً.. وقد عرّفتنا الثورة على عشرات من الأمهات المجاهدات المربيات الرائعات..

• علّمنا العالم كله دروساً في التّضحية والشّجاعة والصّمود في أقسى الظروف وأصعبها..
تميزنا في مجالات كثيرة..

تفوقنا على أنفسنا في تصنيع ما لم نتخيل يوماً تصنيعه..
اخترقنا الأرض الصلبة.. تحدينا الجوع والبرد والحصار..
لكننا كنا بحاجة إلى دروس خاصة جداً في الأَمنِيَّات والاستخبارات والإعلام والسّياسة وفنون النقد والحوار وأسس العمل الجماعي... والتي كانت مهمشة دائماً منسوبة للغرب وكأنها لم تكن عناوين واضحة في صميم السيرة النبوية وفي صميم آيات تجاوزناها فلم نتدبرها في القرآن..

• أُمّة أنجبت أحمد ياسين ليست بميّتة.. بل هي ولّادة العظماء..
الغريب أننا لا نعترف بوجودهم بيننا اليوم حتى يكونوا ما بين معتقل أو شهيد..
وعندها نقول.. كان طفرة!
ثائراً أو قائداً أو طبيباً أو مربياً..
والغريب أننا نعتقد أنهم أتوا من غياهب المجهول.
والأغرب من ذلك كله اعتقادنا أنه لن يأتي مثلهم أبداً... ويأتي الواقع فيكذبنا دائماً... وتصدقُ رؤيا الموقنين العاملين...

• توجد نسبة كبيرة من الشباب الأميين ضمن الكتائب والمجموعات.. قد أُهملوا تماماً في بيئاتهم التي خرجوا منها، ولم يحركوا ساكناً في المناطق التي استقرّوا فيها لانشغالهم في الثورة..
كما توجد نسبة فراغ كبيرة في يوميات الشاب منهم.. تؤهله لأن يحمل السلاح ويُحصّل شهادة جامعية – ربما– إن كان جاداً مثابراً..
قد أقول ذلك على سبيل المزاح.. ولكن لابد من محاولات جادة لإحياء تلك النفوس وفتح آفاق جديدة في حياتها الرّتيبة وذلك في الأيام التي لا تشتعل فيها الجبهات..
أن يستطيع أحدهم أن يرتّل صفحة من القرآن ويعي معناها.. بحد ذاته انتصار..

تمهيد الطريق إلى النصر يحتاج جهوداً.. وتذليل الصعاب له جنود..
بقي أن نبادر!!

• المسؤولية أعظم ما تهبه لنا الحياة..
لأنها تُحفزنا للصعود دائماً... وتشدّنا لأعلى كلما شارفنا على السّقوط..
وتذكّرنا أن نشدّ غيرنا أيضاً.. وأن نحميهم من مواطن الزلل..
لأننا منهم.. وهم منّا...

• لا سبيل للهرب من المحنة..
ولكن هنالك ألف سبيل لاجتيازها...

• طالما امتلكت إيماناً عظيماً وهمّة عالية..
آلام الجسد ليست بشيء..
فقط احفظ نفسك من آلام الرّوح!!

• حين أتعب.. حين تضيق عليّ الأرض بما رحبت..
حين أحاول التقاط أنفاسي من طريقي الطويل..
لأجد أمامي طريقاً أطول.. وأكثر وعورة مما مضى..
حين أنادي من يجيب.. فيرتد إليّ صدى صوتي..
أعرف أنك قريب. وبأنك ستصحبني في سفري..
فلا آبه بكل المشقّة ما دمت معي..
يا رب...

• أحياء مكتظّة... لكن للموت فيها ألف تعريف وتعريف..
وأحياء أقفرت من أهلها.. لكن تسكنها أرواح كلّ من عاشوا فيها..
كل من رحلوا ليحفظوها من الضياع..
كل من ظلّوا لآخر لحظة متمسكين بطيبِ حجارتها..
فهي وإن بدت خالية.. إلا أنها... هي الحَيـــاة!!
#حمص_القديمة

• هنيئاً لمن أسدل الليل ستاره عليه.. مطمئن القلب.. مرتاح الضمير.. راضياً بقضاء الله مهما كان.. وقد أدّى ما عليه.....

• أخطاء تربويّة فادحة نحصد نتائجها في الثّورة..
على سبيل المثال لا الحصر..
- ترتيب الأولويّات.. كُل جيّداً.. تدفأ جيداً حتى لا تبرد.. ادرس جيداً... غيّبت مثلاً الحرص على الفجر وصلاة الجماعة وحمل هموم الأمة والتفكير بالآخرين..
- العلامة الكاملة لا تنقص ربع درجة.. علمتنا أن الواقعة تقع لحدوث أية هزيمة أو تراجع.. وأنك مهما بذلت الجهد ولم تحقق نتيجة فجهودك تذهب هباء.. وأنت أحمق وغبي وفاشل...
- في حين تحقيق المُنى بالعلامات العالية، غياب التواضع عند النصر..
« ابني أشطر وأذكى وأميز ولد في المدرسة»!
- غياب الحوار إلا عن طريق الشّجار.. غيّبت مهارات الاستماع وحسن الفهم والشعور بالآخر.. وحرية التعبير عن الرأي..
- التركيز على السلبيات مهما كانت صغيرة، علمتنا أن نقف لبعضنا على الكلمة والهفوة.. وأن تصل الأمور للعداء والكراهية لأسباب واهية..

- تجاهل كثير من الإيجابيات خارج نطاق المدرسة.. أفقدت الجيل مهارات الإبداع وجمدت مواهب كثيرة.. وحصرت التفكير كله في كتاب صُنع في مدرسة آل الأسد..

• بعضُ الحزن يستوطننا بعناد.. مهما حاولنا مجابهته..
يرتاح ويسكن إلينا.. فلا يبرح ولا ينقضي إلا بلقاء الله..
قد يضايقنا حضوره.. وقد نفشل كثيراً في تجاهله..
لكن ميزته الوحيدة تبقى ضمن ما نحتسب أنه في سبيل الله..

• أحتاجُ عمراً كي يُتاح لي البُكاءُ كفايةً على كتفِ الوطن..
لكنني أدّخر كلّ الدموع لأسهِم بها في صناعة الطوفان القادم...
ذلك الطوفان الذي سيُجري الفُلك يوماً إلى أرض السلام..

• ترى.. كيف كانت حرّيتنا قبل أن يعرّش الياسمين في قلوبنا ليتحول بعدها إلى الأرصفة.. بلون أحمر .. ورائحة مسك؟!!

• بين يديك يا الله.. أرض وهبتك فلذات أكبادها..
احفظ كلّ من تبقّى منهم من الصّالحين..
حتى يقيموا دعائمها التي دمّرها عدوّك..
حتى يعبدوك كما تُحبّ أن تُعبد..
حتى يزيحوا جند الظلام بقوّة من عندك..

• الحمد لله.. دائم الفضل والإنعام..
من مَنَّ على عباده بالدلالة على طريق الرشد..

من تفضّل على أصحاب العزائم بالاهتداء إلى سواء السّبيل..
من جعل أهل الهمم يسابقون إلى مرضاته..
من نقّى القلوب من الشّوائب حتى يُسبغ عليها رحماته..
لك الحمد يا رب حمداً يرضيك عنا... فإذا رضيت هيّأت أسباب القبول، وفتحت أبواب الرّحمة، ونشرت في الأرض آثارها..
اللهم فاجعل مفاتيح الأبواب المغلقة التي كانت تحول بيننا وبين ذلك كله بأيدينا..
واجعلنا ممن يفتحونها ليدخلوا بسلام آمنين إلى دار القرار..
اللهم تقبل كل خطوة وكل نَفَس وكل كلمة وكل دمعة وكل حركة.. وكل سكنة.. في سبيلك وحدك..

- قبّلوا أرضها عنّي.. حجراً حجراً..

أوصلوا ياسمينها مني السّلام..
خبّئوا في رحالكم شيئاً من ثَراها..
أخبروها أَنكم لم تخرجوا إلا لِتعودوا..
ولم تصبروا كل زمن الحصار إلا لتُصان...
حدثوها عن حبّ كانت نهايته الوداع..
وداع العازمين على لقاء مهما طال الزمن..
هي لكم وستبقى...
احفظوا أرواحكم التي صَفت تحتَ سمائها من الدنس.. مهما نالكم من الضيم والأذى..
احتفظوا بكبرياء الحزن.. ونُبل التضحية.. وشرف العمل بإخلاص..
لقّنوا كل الدروس التي تعلمتموها التاريخ كي لا ينسى.. واجعلوا العنوان.. حكاية بطولة.....

واتركوها وحدها لتسردها.. لأنها وحدها أصدق الشّهود....

- أن تسكن حياً مُحتلاً محاطاً بجدران الأسمنت..

أن يحيط بك الجنود عند الحواجز.. يحاصرونك بعيونهم وأسلحتهم.. وأسئلتهم..
أن تسمع على الملأ تهديداتهم..
أن تكون محاصراً بمزاج أحدهم يفكر باعتقالك عند أول هفوة..
أن يرافقك الخوف والألم في كل لحظة.. فتتمنى لو كنت في حيّ محرر.. تسير ورأسك مرفوع.. تمارس حريتك كما تشاء.. تستلذ بطعم الكرامة الذي تشتهي...
كل ذلك لا يدعوك أبداً لأن تشعر بالذل أو الهوان...
فكرامتك سراج يُنيرٌ في أعماقك..
كرامتك هي التي تنير لك السبيل طوال سيرك في ظلمة النفق..
وهي البوصلة التي تشير إلى نهايته..
هي التي تخبرك ماذا عليك أن تفعل لمن وهبك إياها.. لمن كرَّمك..
أن تحمل رسالة عظيمة لا تخضع لقوانين الذل مهما بطشت..
أن يكون لديك مشروعك.. هاجسك.. همّك الذي تسعى لتحقيقه بكل ما أوتيت من عقل وإيمان وطاقة وعمل..
أن تستعين بكل من أوتوا قوة داخلية تحفزهم على الصبر الإيجابي.. الصبر الجميل الفاعل.. لتعملوا بنشر النور في الظلمات.. وتُعدّوا للحظة حاسمة.. لحظة اقتلاعها من جذورها..
كل ذلك لا يمتّ لقوانين الذل بقرابة أو صلة..
كل ذلك لابد أن يحييك.. وإن حكم جميع من حولك أن الموت محقق..
تابع حياتك وكأنك تولد هذه اللحظة من جديد..
ارسم قوانين جديدة صائبة هذه المرة..

صحح مسارك.. وابدأ حياتك .. واعلم أنها حياة واحدة. فعشها كما يجب أن تكون.

- في حمص معالم لا نعرفها..

غير قابلة للاحتلال ولا للتدمير..
غير قابلة للخضوع ولا للمذلة..
دافئة تقطرُ هيبة وصفاء...
أتصفحها كل يوم.. ليس من نوافذ غرفتي... ولا عبر شوارع مدينتي..
بل أتوغل فيها إلى الأعمق.. أنقّب عنها.. وأتوق لرؤيتها..
ولا أمل من تأملها..
وكلما تُهتُ وجدتها في ابتسامة الكرامة والرضا لوالد شهيد....

- « يقولُ ياليتني قدَّمتُ لحياتي»..

مرارة الندم لا تنفع عندما يُحسم الأمر وتظهر النتيجة..
تماماً كما أن طمأنينة الرّضا لا يعادلها شيء لمن لم يقدّم لحياته فحسب.. بل قدّم كل حياته!!

- تذكّر دائماً..

أن التّديّن المغشوش ليس مبرراً أبداً للابتعاد عن الدّين...

- امتحان جديد.. بأسئلة مختلفة.. بطريقة مختلفة.. أكثر صعوبة ومفاجأة...

حُضّرت فقط لكل من اجتازوا المراحل السابقة بنجاح..
أو لكل من قرروا أن يعيدوا النظر ودراسة كل مرحلة على حدة لاستيعابها واستكمال الامتحان...

مرحلة تمحيص جديدة...
فيها من ينسحب كلّياً من القاعة..
وفيها من يخربش بجنون على الورقة..
فيها من يتركها خالية لأنه لم يدرس ولم يحضر جيداً..
وفيها من يكتب الإجابة مستعيناً بالله على أن يكون حرف فيه التوفيق والسداد.

- ويحدثُ أن تبتسم كثيراً........
لأنك لا تقوى على البكاء........

- ليس لنا أن نجزع، ولا أن نتمنى على الله الأماني...
بل أن نأخذ بكل الأسباب الممكنة لتحقيق النصر.. ونرضا بحكم الله بعدها...
يريد الله تعالى أن يربينا ويعلمنا.. وإن كانت التضحيات كبيرة، والثمن المدفوع عظيماً...
وإن كانت خسارتنا لأشخاص واحدهم بأمّة لا يمكن تعويضها، فسلامة أشخاص واحدهم بأمة أيضاً ربحٌ لا يعوّض...
اللهم لك الحمد في كل حال.. ولك الحمد في كل حين...
رضينا بقضائك، وسلمنا أمرنا إليك، واستودعناك قلوباً أسلمت لك.. يا من لا تضيع عنده الودائع..

- كَتبَ التّاريخُ أم لم يَكتُب...
هناك واقعٌ سيجسّد أثر كل واحد منّا على هذه الأرض...
والمهم ما كُتب في الصحائف..
لأنها الأصدق..
« ولا يظلمُ ربّك أحداً»...

• هي ليلة نستشعر فيها الخضوع لله تعالى في أجلّ معانيه..
ليلة نقفُ فيها أمامه وكأنما أعمالنا تُعرض عليه في يوم محشر..
فيسألنا ماذا قدمنا..
هي ليلة يُسكن فيها الرضا عن الله قلوبنا من أن تتمزق ألماً وكمداً..
ليلة نتضرع فيها إليه سبحانه فنسأله فقط أن يقبل عملنا ويرضا هو عنا....
اللهم أنت حسبنا ونعم الوكيل.....

• وأقول لمن خرج دفعاً لظلم وتمسكاً بهوية إن الطريق يبدأ دائماً من عزائمكم المؤمنة فلا تهنوا ولا تحزنوا فخطوات المؤمنين على طريق الحق خير في العسر وفي اليسر... وليكن يوم ولادتكم كل يوم تتقربون فيه إلى الله بهمة وعمل جديد.. في كل يوم تشتد فيه سواعدكم لتنهضوا وتتابعوا السعي فيما خرجتم لأجله.. وإن اختلف المكان والكيفية..
حماكم الله وسلمكم..

• إذا كان العزم أكيد.. والنيّة صادقة.. والعهد مع الله وثيق...
فلن يشغلنا الحزن عن وقفة تأمل في البدايات والنهايات..
ومراجعة النفس ومعها مراجعة كل الأوراق... كل الأوراق....
لتكون صفحة بلا غبش. وهمة بلا استثقال عمل.. وصدق يتجلى في واقع.. وحاضر يصنع المستقبل المنشود...

• صدّقني.. لستُ حزينة لترشّحه الجديد.. ولا لصوره التي ملأت الجدران لتُخفي آثار الدم والرصاص والدمار.
لستُ حزينة للرّقص طرباً بمدائحه..
فعبيده هم أنفسهم لم يتغيّروا...

بقدر ما يحزنني أن تدوس على أشلاء إخوانك التي تبعثرت في الشوارع من أجل حرّيتك. وعيون أمهاتهم التي تراقبك تنخلع من هويّتك.. لتوقّع بمحض إرادتك ورغبتك.. بدمك الذي هو براء منك..
كل ما يحزنني أنك لم تعد أنت..
لقد شُوِّهت تماماً وماتت فيك فطرتك النقية.. رُوح الكرامة التي تجعلك إنساناً مميِّزاً..
فما عدتَ تأبه أن تكون حرّاً ولا عبداً.. بشراً أو أداة جامدة.. مسانداً للحق أو مجابهاً للباطل..
لم يعد هنالك ثمة فرق لديك..
آه.. كم أنتَ مسكين... ومُثير للشّفقة يا أنت!

- لا تشترِ وطنيات من أحد
البائعون كُثر!
ولا تسمح لأحد أن يشتريكَ تحت شعار مصلحة الوطن..
تُجّار الدّم والدّين كثر!

- موحشٌ هو العالم الذي يعيش الناس فيه بلا رغبة، بلا رُوحٍ تتجدد، بلا هدفٍ يسمو.. بلا بريق في العيون..
كانت عوالمنا سماء تتألّق بعيون تشعّ همّة وإصراراً وأملاً..
واليوم تنطفئ أفكار وقناعات.. طموحات وأحلام..
يوقنون أنها تنطفئ.. والظّلام يسود..
هم لا يعلمون أنه مع كل نجم يخفت.. من موقعه تكون البداية..
ولادة نجم جديد..

• لابدّ لاستقامة البوصلة من ميزان يُحكم ضبط الأمور، ويغلّب الحق مهما كان ثمن ذلك باهظاً .. من تطويع النّفس كي تمتثل للحق والعدل مهما عارضت وعاندت واحتجّت.. حتى تألفه وتطلبه ولا تهنأ إلا بتحقيقه!
« اعدلوا... هو أقرب للتّقوى..»..

• مهما كنت اليوم تجد نفسك ضعيفاً.. إلا أن العدل الذي تقيمه في ميزان قلبك هو الذي سيمنحك القوّة لتستمر..

• الميزان..
كلمة تأخذك إلى عوالمَ كثيرة..
محاكم الدولة وما يعلق في الذاكرة منها من فساد، واستغلال ضعف، وطلب رشاوى، ونظرات قهر للمستضعفين تُقابلها نظرات استكبار في لحظات انتصار للظالمين تتكرر..
الكرسي الأكبر في الدولة قام من غير ميزان، بل وأنشأ له ميزاناً مُختلاً تقوم عليه كلّ صغيرة وكبيرة فيها..
قانُونُ الغاب هو المسيطر، والقوي أُتخم يأكلُ حقّ الضّعيف، ولا قصاص منه..
والضّعيفُ تعلّق جرائمه مهما كانت صغيرة، على واجهات العناوين في المحاكم ووسائل الإعلام، ليُشاد بجمهوريّة العدل والمساواة بين البشر..
ميزان الدنيا المختل، المطففين في الرأي أو البضاعة..
ميزان الآخرة الذي لا يتجاوز صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها..
الميزان الرباني الذي لا يفرّق بين ملك وعبد، وسُلطة وشعب، وأبيض وأسود، وقوي وضعيف..
الميزان الإلهي الذي خضعت له السموات والأرض وسارت بدقة..

الميزان الذي يسكن في داخلك أنت.. أجل أنت.. وتخشى أن يصدأ...
الميزان الذي يدفعك لأن تقبل أو ترفض، تتنازل أو تترفع، تُقيّم ويُتاح لسواك أن يقيّمك أيضاً..
تقوّم نفسك وتبذل ما بوسعك لتصلح ما حولك..
ذلك الميزان الذي تخشى إن أهملته أن يصدأ، أن تُمحى أرقامه، فلا تكون هنالك فائدة تُرجى من أن يوزن فيه أيّ شيء! ولذلك فأنت لازلت تُخضع نفسك كلّ عثرة له، تُسلم نفسك للنتيجة أيّاً كانت.. تتقبلها، لتتغير.. لتعدل المسار الذي فُطرتَ عليه، فلا يتغير ولا يتبدّل...
ميزان العدل بمفهوم الطّغاة.. أن تأخذ كل شيء، وتمتلك كلّ شيء..
الأرض والأشياء والبشر.. أن تسيطر وتبسط نفوذك على كل شيء.. ثمّ تُعيد التّقسيم كما يحلو لك..
أن ترفع وتخفض من البشر حسب أهوائك، وتُعطي وتمنع حسب رغباتك..
لا تُحاسَب، بل أنتَ المُحاسِب، وأنت من يفرض الرّقابة، ويتعقّب الزّلة والهفوة.. ليحوّل شعبه من أسرى اضطروا للبقاء تحت جبروت طاغية، إلى قطيع يهتفُ باسمه وحياته، يقدّسه ويعبده، ويجعله إلهاً مع الله أو من دونه!
الثّورة وإن رفعت شعارات الحرّيّة، فقد طالبت بالعدالة..
في إعطاء الحقوق، وإنصاف الضعفاء والمظلومين، في السماح بحق القبول أو الرفض لسلطة أو حاكم..
في محاكم لا يُرتشى فيها القُضاة، ولا تقتصر في حكمها على المستضعفين، محاكم لصاحب الحق فيها المقال.. فلا يخشى المظلوم فيها أن يقول للظالم يا ظالم..
لأجل أن يعود الميزان إلى وظيفته..
لأجل ألا يبقى مجرد نحت أمام قصر العدل في كل مدينة..

لأجل أن تقوم الحياة من جديد كما يجب لها أن تقوم...
لابد وأن يراجع الميزان في كلّ نفس، أن يُحصى عدد المظلومين، والمخذولين والمتضررين لقاء موقف ارتكبته.. أو واجب تركته، أو حقّ ضيّعته.. لا يغير الواقع مهما كان مليئاً بالظلم والظلمات من حقيقة إيمانك شيئاً، ولا يخلّ كفتي ميزانك أبداً، لا يجعلك تقبل بأنصاف الحلول، ولا التخلي عن المبادئ، وإن تخلى الناس كلّهم عنها.. لا يجعلك تقبل بمظالم جديدة تُرتكب تحت شعارات جديدة برّاقة- لا يجعلك تقبل بقانون غاب صغير بصمتك ومَن حولك سيتضخم.. ولا يجعلك تسكتُ عن حقك ولا تتجاهل حقوق من حولك، لأن الأقوياء قرروا أن يبسطوا سُلطتهم.. أو لأنك فتحت عينيكَ فوجدت نفسك مع فئة من الأقوياء فبتّ مرتاحاً لأن حقوقك وصلت إليك.. ماذا عن حقوق الآخرين، والأرض التي تئن تحت وطأة الظّلم..
مهما كنت اليوم ضعيفاً إلا أن العدل الذي تقيمه في ميزان قلبك هو الذي سيمنحك القوّة لتستمر..
لأنه قائم على معنى العبودية المطلقة لمالك الملك.. الحَكَم.. العَدل.. الذي لا يظلم أحداَ..
« ولا يظلِمُ ربُّكَ أحَداً».

● طُوبى لفتيات لا يستعملن أحمرَ الشِّفاه إلا لكتابة لافتاتٍ ثائرة ضدّ السّفّاح.. ليقهرن جنده بقوّة عزائمهن.. ليحرقن عنجهيته بطهرهنّ.. في يوم عيده!

● حين قررت كفّ القلم عن الكتابة هنا، احتفظتُ لنفسي بتجربة مشاهدة الحَدَث والواقع من بعيد..
تعلمت أن الصّمت لغة رائعة، قد تكون مفتاحاً ومنطلقاً للحديث بلغاتٍ شتّى، لتُفهم هذه المرّة أشخاصاً مختلفين، بطريقة مختلفة!

شعور خفي انتابني لا أفهم سببه، رغم البعد الشاسع بيني وبينهم.. وبين عالمي وعالمهم.. كشهيد يراقب الحدث من مكانه في الجنة..

لم أكن في الجنة أبداً..

كنت ربما في حال من يشعر وكأنه في الجحيم.. ضمن ظروف مكانية وزمانيّة استثنائيّة.. رغم ذلك.. كان في الجحيم الدنيوي المعاش نفحات قادمة من الجنة، تُسبغ على القلوب السّكينة والرحمة.. تتوافق مع رغبة قوية بعدم التوقف عن أي خطوة بدأت بها عن إيمان وقناعة..

أدرك أن خيبات الأمل فوق الاحتمال..

وأن منسوب الحزن كالموج يعلو ويهبط..

لكن الإرادة لإكمال الطريق مهما كلّف الثّمن في القمة دائماً..

ستتغير الأدوات حتماً.. ستختلف الآليات ربّما.. سنجد أنفسنا نقفز فوق تلال من الأخطاء خلفها لنا الماضي وعززها الحاضر.. وصنعناها بأيدينا أو تعامينا عنها بإرادتنا.. سنجتازها بتعقل.. وليس بغير لا مبالاة..

ستكون مبالاتنا أكبر من أي وقت مضى.. لأن الثمن الضخم الذي دُفع سيظل حافزاً لئلا نخسر المزيد.. ولئلا نخسر إلى الأبد.....

....

لماذا عدت؟ لستُ أدري لماذا؟...

لكنني لم أشعر بنفسي إلا وقد عدت....

عودة إلى واجب.. أو جبهة لاتزال مشتعلة؟

عودة إلى قلم وفكرة؟

عودة إلى نفسي...

ربما...

ستبقى الإجابة حائرة.. والأمل بالله باق..

• مشهد الانتخابات الحاشدة بما فيها من رقص واحتفالات وغناء.. وغيره من مشاهد مُذلة رائجة هذه المرحلة.. ما هي إلا صورة حيّة لنتائج العمل الثوري على الحاضنة الشعبية، وانخراطه في فهم نفسية وعقلية الجماهير التي يعايشها هو نتيجة لأخطاء لم تُعالج، وطاقات لم تكرّس على جميع الأصعدة.. ونفوس انهارت بل وتحولت إلى ناقمة على ثورة البلاء - كما يدعونها- عوضاً عن ثورة الكرامة..

الظلم وحده لا يكفي ليبرر انتفاضة ضد طاغية.. لابد من صوت حق يعلو.. ليهذب نفوساً، ليرمم صدوعاً، ليحشد طاقات، ليعزز الكرامة بمفهومها الحق..

ذلك الصوت مهما انطلق عبر الحدود من الخارج.. ومهما صاغته الأقلام في بيانات قهر واستنكار في الداخل.. فإن الخطب العصماء لا تكفي.. لا تغيّر.. لا تصلح..

لابد من قدوات فاعلين.. وخطط وتنظيم متجدد..

لابد من إلقاء عقلية اللوم والأسف والتمسك المتعنت بالرأي.. إلى عقلية التجدد، وإيجاد آلية عمل واقعية وقابلة للتنفيذ في كل مرحلة..

بالتأكيد أن نسبة كبيرة جداً من المنتخبين صوتت قهراً وإجباراً..

ونسبة أخرى صوتت رغبة وإرادة واختياراً...

الأمر خارج نطاق اللوم للمجبرين.. فالفكرة هي في ترجمة هذا القهر ومآلاته..

هل سيتحول إلى يأس ونفور وانسحاب..

أم سيكون طاقة دافعة للمبادرة والتجدد.. بفهم أعمق.. وعمل أصوب؟!

• مبارك للثوار ولاية ثوريّة جديدة.. في وجه ذات السّفّاح..

والثورة على اللي بتعرفه أحسن من الثورة على اللي ما بتعرفه..

الله أكبر.. والحمد لله على تجديد العهد بالعمل عنده جل جلاله..

الله مولانا ولا مولى لهم...

• صورة السّيّدة الفلسطينية التي تعانق شجرة الزيتون، وتحميها بروحها من جرافات الاحتلال وعدوانه.. من أكثر الصور التي علقت في ذاكرتي منذ أعوام وحتى هذه اللحظة..

لم تُغيّبها مشاهد الدم على الأرض، ورؤية الأشلاء المبعثرة، ولم تبددها نيران القصف وأصوات الأنين في المشافي الميدانية، ولم تبعثرها نظرات كنت أختلسها بين حين وآخر إلى جامع خالد بن الوليد المُحاصر.. ولم تُنسني إياها المواجع والأنين وكم الحزن الهائل الذي كان يتراكم في القلب مع كل فقد، مع كل صدمة، مع كل انتكاسة..

لا شيء من هذا أنساني وجه هذه المرأة المليء بالحب والحزن والكرامة..

مزيج عجيب يصهر كل شيء في وقفة شجاعة لحق أمام باطل..

لقد شاهدت نماذج في سوريّة رسّخت في ذاكرتي صوراً مشابهة، لأشخاص لا يتناقل الإعلام أسماءهم ولا يأبهون أن تُسرد قصصهم.. أشخاص يطبعون في الذاكرة صوراً لا تُمحى لارتباطها بموقف وإيمان ومبدأ..

وقفات كهذه تُغني عن مجلدات في الوعظ والتحفيز، ودورات مكثفة في الإرادة، وفي اكتساب ملكات القيادة، وقوة الشخصية.. لا لشيء، إلا لأنها مرتبطة بإيمان الإنسان بثوابته، باستعداده للتضحية، بقدرته على الوقوف كشجرة عملاقة ثابتة في وجه العاصفة..

لستُ أدري هل اكتسبت هذه السيدة قوتها من الشجرة فكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار..

نُـورٌ على نُـور..

رسالة حياة قد يجسدها موقف، قادر على الثبات طويلاً في ذاكرة الشعوب..

قادر على انتشالها من دائرة اليأس إلى حيّز الفاعلية والعمل..

قادر على مدّها بقوّة كبيرة.. لا فرق في أن يقدّمها شيخٌ مسنّ أو طفل صغير أو امرأة ضعيفة..

المواقفُ الثابتة الصلبة لا يقهرها سلاح، والشّعب الأبيّ هو الذي يفرض بقاءه بنفسه..
ثورة الحق ليست حكراً على سياسي ولا حامل سلاح ولا إعلامي محنّك..
ثورة الحق لا تقوم لها قائمة إلا باجتماع العزائم على كلمة واحدة.. واتحاد القلوب لأجل هدف واحد..
الصّورة تتكلّم!!

• العمل التربوي في زمن الثّورة من أشق المهام، يبدو أشبه بالزراعة وانتظار المحصول النموذجي في البيوت البلاستيكية!
لكنه يبقى مثمراً أكثر وله نتائج أكبر بكثير من شبه العمل القائم قبلها..
التحديات كثيرة.. لكن الإرادة يدفعها الإيمان.. تصنع المستحيل...

• رحم الله الشهيد سيد قطب حين أعلنها في محاكمته أمام الطغاة فقال..
لن أعتذر على العمل عند الله..
فيما نعايش اليوم نماذج حيّة لم تعتذر وحسب عن العمل عند الله، بل وقدمت استقالتها بمجرّد أن لوّح لها الشّيطان بعقد عمل!!

• هي لحظة مفصليّة عصيبة.. ستذكرها يوماً وتبتسم بعمق..
سواء اجتزتها بثبات وتابعت طريق الحق ما مدّ الله لكَ من عمر..
أو اجتزتها بثبات ولحقت بمن ينتظر.. في جنة الفردوس..

• مما يثير الغرابة بعد ثلاثة أعوام من الثورة، الجهود الشبابية الحثيثة في نشر المحاضرات الدعوية والمنشورات ذات الموضوعات التقليدية التي كان أصحاب الهمم قبل الثورة

يبادرون في نشرها بين الناس.. والتي تتضمن بعض الأحكام والرقائق.. فيما نجد اليوم وفي كثير جداً من المناطق المحررة الأفكار والأهداف ذاتها لم تتغير ولم تتطور.. ولم تواكب واقعاً ولم تحرك ساكناً..

فيما ينشر النظام موضوعات فقه الأزمة على المنابر وفي مساجد التحفيظ ويركز على قضايا تحريم الخروج على الحاكم وما شابهها.. ليجد يوماً بعد آخر القناعة والقبول.

أما نحن فتقتصر ردود أفعالنا على ردود فعل واستنكارات عابرة.. ولا نجد من يقوم على أسس السياسة الشرعية إلا النادر والقليل، رغم الخير الكبير والقواعد اللازمة فيها والتي إن وصلت بطريقة وأسلوب صحيحين ستحدث فرقاً في ردات الفعل النخبوية والشعبية لتدفعها إلى التعامل مع المفاهيم الثورية دون وجود هذه الفجوة التي باتت تتسع تدريجياً.. والتي يؤدي السكوت عنها إذا استمر في الأحياء المحتلة إلى جيوش من الهاتفين بحياة الطاغية.. وفي الأحياء المحررة جيوش ممن يفهمون الدين ويطبقونه بعيداً عن السياسة..

وهذا أخطر ما يمكن أن يحدث!

- أيها المسافرُ بين العوالم المختلفة..

من زمن الذل والعبوديّة والطغيان..

إلى صرخة الحرّيّة الأولى...

كطفلٍ وليد... عبر من عالمه الضيق في رحم أمّه إلى عالمه الجديد الفسيح..

كل شيء حوله يبدو مختلفاً وغريباً.. وصعب التصديق..

هو يبكي لأن الاكتشاف صعب. والحقيقة كذلك..

هو يبكي لأن الهم يثقله.. فقد أتى ليحمل الأمانة التي أشفقت السموات والأرض أن يحملنها..

هو يبكي لأن العالم بدا أوسع بكثير من إدراكه، وصعوباته بدت فوق توقعاته..

هو يبكي وإحساس بالثّقل يكبّله..
لكنه في غمرة بكائه يقرر إفراغ أكبر قدر ممكن من الدموع..
لأن المواجهات القادمة ستتطلب القوة حتماً والثّبات..
البحث جارٍ عن ترجمة لما يحدث..
قبل أن يضعَ القلم.. كتب بقلم واثق..
إنه الميلاد الجديد!

● رحم الله جدّاتنا.. وجدّات جدّاتنا.. حين كنّ يدعين لأبنائهن وأحفادهن..
- روح يا ابني ان شا الله بتمسك التراب بيقلب بإيدك ذهب!
كنّ قد فهمن المسألة بشكل صحيح..
.....
لم يحصل الجيل اللاحق على الذّهب..
ليس لأن دعوات الجدّات له كانت خرافيّة.. أو غير مجابة..
بل لأنّه بكل بساطة..
ترفّع عن الإمساك بالتّراب.. والالتحام الحقيقي بالأرض..!!

● ثِق تماماً.. إن قسى العالم كلّه عليك.. وحفّزكَ الواقع بما فيه من ظُلم وسواد وضياع وألم على الرّحيل..
حتى وإن قطعوا غراسك التي تعبتَ تغرسها.. حتى وإن أغلقوا كلّ الطرق التي حاولت فتحها، حتى وإن نعتوكَ بالخيبة والفَشَل، وأكّدوا لك أن لا فائدة من المتابعة مهما حاولت..
فالمعركة محسومة لصالحهم..
هناك شيء واحد سيُبقيك..
ذلك القلب الرّحيم الذي تملك..

رحمة بالأرض التي تحتاج إليك ستبقى..
رحمة بالضّعفاء الذين يستمدون القوة منك ستبقى..
رحمة بأفكار تستحق أن تعيش وتنتشر في الأرض والعقول.. ستبقى...
رحمة بنفسك أن تموت كلّ ليلة قهراً إن أنتَ رحلت وتركتها للغاصبين...
ستبقى.. سيُبقيك قلبٌ جُبلَ على الرحمة والحب والعطف..
ومهما رأى من جور وبطش وخداع ونفاق..
فهو يأبى إلا أن يبقى رحيـــــــماً...

- لا أحد مُطلقاً يمكنه أن يصفعك بقوّة كي يعيدك إلى وعيك، لتكتشف موقعك، لتعرف دورك، لتنطلق إلى غايتك، لتحرز السبق والإنجاز في مهمتك..
مثل الفاروق عمر!

- «أأربابٌ متفرّقون خيرٌ أم الله الواحد القهّار»
في ظلمة السّجن.. في قمّة الخذلان.. عند سيطرة شعور القهر والعجز والألم..
لا سبيل للمواساة أو الطمأنة أو تلمّس أسباب الفرج..
إلا بالتمسّك بحبل الله.. والتّعلق به.. فهو النّجاة وإن غُلّقت دون المرء أبواب وأبواب..

- قدمتَ كل شيء..
تعبتَ وكافحت.. تألمت وأرهقت..
والآن.. على مفترق الطرق...
لا شيء سوى الشعور بالضّياع..
أتذكر تلك الصّرخة في عُتمة الحارات..

صوتُ تكبير.. يعقبه صوتُ رصاص آت من بعيد..
نداء يثبّت وقد أسقط في يد الجميع..
« ليش خايفين الله معنا..»..
من وصل لبرّ الأمان التقط أنفاسه وقد حمد الله على سلامة الوصول..
ومن اعتقلوه ظلّت هذه الكلمة ترنّ في أذنه.. تمده بالقوة.. تثبته.. يسمعها أعلى من صوت المحقق والجلاد...
استشعار معيّة الله هو ما ينهض بك.. هو ما يعيدك للمحاولة مرات ومرات.. بشكل أفضل.. بطريقة أصوب.. بثبات أكبر..
استشعرها مجدداً.. فإن لم تجدها في قلبك.. فاعلم أنّ لك ربّاً يُناديك لتقترب..
فاقترب... واحذر وإن فقدت كل شيء...
أن تفقد هذه المعيّة التي ستحميك في كل أحوالك..

- التقوى ههنا.....

والحديث يطول.....
والفعال انعكاسات التقوى في القلوب...

- في حديث « اجتنبوا السبع الموبقات.. « معادلات رائعة.. وإبحار عميق في مجتمعات الجاهلية التي ظلت بقاياها متأصلة في العقول حتى بعد انتشار الإسلام..

لتكون ((اجتنبوا ..)) لمن آمن النبراس والعلاج..
في الحديث ميزان جدّ حسّاس..
- قتل النفس التي حرّم الله = التولّي يوم الزّحف
وازن: لا تعتدي أو تقتل بغير حق ولا تتنصّل من واجبك وتنهزم وتُذل أمام من اعتدى عليك..

احفظ كرامتك وافهم دورك، ولا تخلط الأوراق فتهلك!..

- أكل الرّبا = أكل مال اليتيم ..

وازن: يمكنك أن تبني اقتصادك دون إخلال بالميزان، ويمكنك أن ترعى الضعفاء دون منّة أو تسلّط.. دون أن تعطي لنفسك حقوقاً غير مشروعة، وفوقها تحظى بوصاية الوهم.

- السّحر= وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات

وازن: هي ذاتها عقلية الخرافة والابتعاد عن الدليل والبرهان والبينة والتثبت، وعقلية تحقيق الانتصارات الوهمية بأقصر الطرق، حتى وإن كانت تعلّقاً بأوهام..

- الشّرك بالله..

وازن: أساس الزيغ والخلل أن تجعل مع الله في قلبك شُركاء..

اجعله وحده في قلبك، يستقيم العدل فيه والميزان..

- لم يعد هنالك أيّ معنى أو قيمة للحزن ولا للرّثاء..

سوى جعله وقوداً لمزيد من العمل..

- واجه مشكلاتك بالتّحدي، بالإصرار على حلّها، بابتكار سُبل جديدة، بالعناد لأقصى حد ممكن.. بالمرونة عند اللزوم، ببذل كل الجهد والطاقة الممكنة لحلها..

الهروب لم يكن يوماً هو الحل، ولا التجاهل والتغاضي..

امتلك شجاعة المواجهة.. تقطع نصف الطريق إلى الحل.

- ومثلما يتغيّر الكون حولك.. تغيَّر..

انتقل معه من مرحلة إلى أخرى..

طوّر ملكاتك، وسابق بها الزّمن بما تحمله من خير وفضيلة وإلهام يمنحك القوة على مواجهة الصّعاب..

تغيَّر.. واحتفظ بثوابتك..
فالرّتابة لا تقودُ إلا إلى العدم!!

• متى ننفك من قيد حمل هموم #**الجماعة** وحدها..
إلى أفق حمل هموم #**المجتمع** ككل؟!!

• كم عدد الختمات التي تُقرأ في رمضان؟!!
لو كنا نقرأ بقلوب واعية لكانت قراءة واحدة للكتاب كفيلة بتشخيص أمراضنا وهدايتنا إلى الحلول.. لكانت كفيلة بتغييرنا من حال إلى حال..
لكنّا قدّمنا بعد كل قراءة مشاريع حياة، ولباشرنا بالتطبيق والتنفيذ.. ولأثمرت عاماً بعد عام..
أزاداد ألماً كلما اكتشفت عدد الختمات التي تنجزها الأمة في رمضان.. وتحفز عليها، وتعلن لأجلها المسابقات..
يؤلمني أننا مع كل هذه القراءة وإعادتها، بل مع حفظها وقراءة تفاسيرها.. لازلنا لم نراوح ساكناً... فقط لأننا نقرأ بعقول مغلقة.. وقلوب عمياء......

• « قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون»
أفكّرُ بشعور موسى عليه السلام بعد أعوام قضاها في الدعوة والتهيئة ثم يُصدم بنتيجة كهذه! يدعوهم للوحدانية ويطلبون أن يجعل لهم آلهة... هكذا ببساطة ودون مقدمات...
ورغم ذلك لم يتوقف!!
« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار...»

استمرت الصدمات وتوالت.. أحاول تخيّل مدى غضبه وقد عاد ومعه الألواح ليجد أمامه صدمة أكبر.. دفعته إلى حد إلقاء الألواح..

صدمة قريبة نوعاً ما بصدمات المخلصين أمام همجية وعنت من حُسبوا على الثّورة لكن تبيّن أنهم من شبيحة الثوار!!

« وألقى الألواح.. وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه..

قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين»

شعوره بالغضب والأسى لا يقل عن شعور أخيه هارون الذي حاول التغيير لكنهم استضعفوه..

استجابة موسى عليه السلام وهو في قمة غضبه جداً رائعة.. إذ باشر بالدعاء:

« قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين»

لم يضع الوقت في شجار ولوم وتناحر..

بعد مرحلة الغضب عاد الهدوء وعادت السكينة والإصرار على الدعوة والعمل بكل وسيلة كانت.. وعادت الألواح..

« ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون»................

- إن الذين آمنو+ وعملوا الصالحات..

يهديهم ربهم ((بإيمانهم)) ..

الهداية إلى الحق وأن يُلهم الإنسان الخير والصواب.. متوقف على عاملي الإيمان والعمل الصالح...

قاعدة: على قدر إيمانك تُضبط بوصلة حياتك لتقودك إلى الاتجاه الصحيح..

● الشّجاعة لتقبّل الإعداد زمناً وطاقة.. والصّبر على مشقّته، ليست أقل من شجاعة اقتحام المعارك.. لابد أن يتوافقا معاً ليشكلا عملاً صواباً..
وإلا.. فما فائدة أن تحاول تسيير العجلة، وأنت لا تملك الوقود الكافي ليوصلك إلى غايتك!

● كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصّلاة..
اليوم إذا حزب أحدهم أمر.. فزع إلى الفيسبوك..
اختلفت قِبلتنا.. فاختلفت صفوفنا.. واختلّت وجهتنا...

● « قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم»..
كم من نار تجد نفسك داخلها، ابتلاءات وفتن، مشكلات وأزمات، همومٌ وآلام، ما كانت لتصيبك لو قررت أن تعيش حياة البهائم والأنعام..
تعرفُ أنها نار.. وتتابعُ طريقك..
تعرفُ أنها مُحرقة.. لكن لا خيار أمامك سوى المتابعة بكل الإيمان واليقين والسّكينة..
تعرف أنها نار... ويصرخ من حولك بك، كي تتخلى عن ثوابتك لئلا تحترق..
يصرخون.. فللنار رهبة.. وخوف.. وأذى..
لكنك تتابع، بعد أن أدّيت ما عليك.. مُسلماً روحك لله، موجهاً وجهك إليه...
وهناك.. ضمن تلك النار العظيمة التي ظنوا أنها قد أهلكتك..
تجد برداً وسلاماً لم تتخيل أن تجده..
تجد شعوراً بالقرب من الله تعالى يغمرُ روحك..
تجد سعادة لم تكن تستشعرها حتى فيما ظننتها أسعد أوقات حياتك..
لم يكن دخول تلك النار التي أوقدوها هدف إبراهيم...

لم يكن هدفه الموت.. بل الحياة العامرة بالخير في سبيل الله..
ولم يكن موعوداً بذلك البرد والسلام..
كان الأمر امتحاناً له، وعلى قدر إيمانه يكون الثبات، وتُجنى عاقبة العمل...

• من أقوى أسباب الفشل على الأرض، الانشغال بمواجهة العدو، وحشد القوة والطاقات لذلك، ونسيان ترتيب البيت الداخلي، مع كثير من الإهمال لأفراده، بما يحتوي ذلك كله من أمراض نفوس وحب سلطة وتمسك بها، واختلافات فكرية تُعامل بالعداوة والتحزب والإقصاء، دون جعلها من أبواب السّعة والإثراء.. إضافة إلى سوء توزيع للأدوار ومركزية.. مما يعطل المواجهة مع العدو ويوهمنا بقوّته التي لا تُجابه..
بينما يكمن الخلل من داخلنا.. متى ما عالجناه استطعنا المواجهة بقوة والتقدم بهمم المخلصين وصواب أعمالهم..

• اللون المختلف محارب ومرفوض دائماً.. ليس لأنه خطأ.. بل لأنه مختلف!
#عقلية_جاهلية

• بمجرّد أن تخطو الخطوة الأولى ساعياً إليه، يحتويك بمحبّته، يهبك من اليقين ما يدفعك لأن تواصل..
يراقبك وأنت تتحدى الصّعاب، يُشعركَ بمعيّته في أقسى اللحظات..
يختبركَ لتزداد وعياً.. وقوّة.. وجَلَداً..
لتصهر تجاربك في بوتقعة إيمانك..
لتنشرها مشعّة نيّرة في أرجاء الأرض...
وهناك.. في البعيد.. حيث لا أحد يرى حالك سواه..
يُسبغ على قلبك من الصّبر ما تعجب له..

فقط... لأنه يريدك أن تصل....

• لمن يحملون أوثانهم في قلوبهم وعقولهم.. والظّاهر الإسلام..
حين تصفّد الشّياطين يتجلى المرض.. لعبدة الأهواء!!
أما آن لهذه الأوثان أن تُهدم؟!!
(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا)..
(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)

• صفات عِباد الرّحمن في القرآن تُعطي علامات ودلائل تربوية واضحة يستدل بها التائه في زمن الفتن ليعرف الطريق الصحيح....
١- يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ..
بسكينة ووقار دون تجبّر وتكبّر.. لا يرفعون الإسلام عبر شعارات بل عبر أفعال..

٢- وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ..
في طريقهم دائماً هناك من يعترضهم ويؤذيهم لكنهم.. لا يضيعون أوقاتهم للرد على كلام الجاهلين فهناك قضايا أكبر تشغلهم..

٣- وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ..
قمة الإخلاص.. هناك حيث لا يراهم أحد سوى ملك الملوك..العليم الخبير..

٤- وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ..

قلوبٌ وجلة ترى نفسها دائماً محل خطأ لا تتصرف وكأنها نالت الجنة بعملها مهما كان عظيماً.. بل تخاف النار.. وتحاسب نفسها لتقوّمها باستمرار.. فلا تتكبر بعمل.. بل تنسب لنفسها التقصير والخلل..

٥- - وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ..
يحققون موازنة تحقيق الكرامة للنفس وللغير في الإنفاق.

٦- - وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ..
يحققون معنا التوحيد الخالص.. مهما كثرت الأوثان وتنوعت وتعددت..

٧- - وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ..
يفهمون معنى الحق ويجعلون الحق قبلتهم.. فلا يأخذهم حمل السيف للتجبر على العباد وانتهاك الحرمات.. ولا يقربون الفواحش ما ظهر منها وما بطن... يحفظون أنفسهم باتباع الحق..

٨- - وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ..
لا ينحازون لباطل مهما مالت قلوبهم لذلك.. ومهما كانت الضغوط كبيرة عليهم ليفعلوا.. فهناك الأعلى عند الله..

٩- - وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ..
يترفعون عن السفاسف وأهلها..

١٠- - وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا...

بصائر حاضرة حيّة وحواس مفتوحة لتقبل الحق، ولتتشبع بنوره، ولتدحر ظلمة الباطل وآثاره..

١١- - وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ.. وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ..

خيريّتهم لأهلهم وهمهم أن يضيء بالنور بيتهم الداخلي ليحققوا فيه التقوى.. لينشروا في الأرض الخير عبر ما غرسوه فيهم.. لتكون ثمارهم بالإيمان يانعة..

.. طموحهم كبير... لا يقبلون إلا بالمراتب الأولى.. بالسّبق.. ليس سبقاً للناس العاديين.. بل لخيارهم .. للمتّقين.....

- داعش متأصّلة وباقية في عقول البعض.. تمتد وتمتد..

حتى وإن لم يحملوا سلاحاً أو يقطعوا رؤوساً.. حتى وإن لم يرفعوا رايات!!

- أرواحكم هنا ما زالت تروي حكايتكم..

وحروفكم على الجدران خُطّت.. تخبرُ إنكم لعائدون....

#حمص_القديمة

- تصل إليها يسابقك الشّوق بعد عبور حواجز أمنية..

تشق لك طريقاً بين الدمار..

تمرّ بمشفى الأمل... التي باتت أنقاضاً.. تمعن التفكير باسمها.. وتمعن التفكير أيضاً بأسباب تهدم البيوت كاملة وبقاء الأبواب..

أهي رسالة من الرحمن لنفكر كيف نفتحها؟!!

تتابع ميمماً وجهك شطر جامع سيف الله المسلول ضمن شوارع فقدت معالمها، وبيوتاً لم يبق منها سوى الدمار.. وعلائم لأبطال عبروا هنا.. وأرواح حلقت في أرجائها...
تتلفت، فتجد أذناب النظام يلملمون بقايا الحديد والخشب...
حطام من الدنيا تركناه لهم، فليأخذوه إذاً إلى قبورهم، فقد قبلنا أن نجتمع في محكمة العدالة الإلهية، ليفصل الحق بيننا...
ركعتان قرب المنبر.. تتذكر خطبة الجمعة الأولى والأخيرة لهم.. تتمعن في تفاصيل القباب التي أحدثت فيها القذائف فتحات سماوية، تسلل منها النور كما يفعل دائماً ليعلن عن حضوره..
قبر ابن الوليد رضي الله عنه في الزاوية.. وقبورُ الشهداء تحيط بالمكان.. تشعر بها وإن لم تستطع رؤيتها... تموت على شفتيك لغة الكلام.. ويتحدث الصمت طويلاً.. طويلاً...
رماد.. كل شيء رماد... هكذا تحدث نفسك وأنت تلملم دمعة سقطت رغماً عنك..
لتجد قرب بيت مهدم شجرة ورد تفتحت.. ورودها نضرة.. ريّانة.. طيّبة الرائحة.. لها أشواك كبيرة تحميها..
تحصل على هدية الرحمن لك بكل رضا وقبول...
تتفكر..
هي غصّة.. هو حزن.. هو غياب.. ولكن...
من يزرع ورداً... لن يقطف إلا ورداً.. مهما حصل..
ستنبت الشجرة.. ويتفتح البرعم.. وتُزهر بإذن الله...
#حمص_القديمة

- مهما تلونت الكلمات وتبهرجت.. مهما كثرت الادعاءات.. المقياس واحد...

« ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً .. ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى – وهو مؤمن – فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ..»

• على سيرة همّشونا.. أقصونا.. ما سمحوا لنا.. ما خلّونا...
ولذلك قررنا ترك واجبنا والرحيل...
علمتني الحياة أن الإنسان العنيد في الحق، المصر على تحقيقه، الثابت عليه، المستعد للتضحية من أجله بأي ثمن، الفاهم لواجبه، المدرك لما عليه... لا يمكن لأحد تهميشه أبداً..
هو فقط رضي بدور المهزوم... وعاش يجترّ ذكرياته الأليمة بكل استسلام وسلبية..

• كلما قابلتُ معشراً من العاجزين.. تذكرتُ شيخ المجاهدين **#أحمد_ياسين قعيداً**.. فأحجمتُ عن العُذر لكل من يقول أنا مضطر.. وكلّ ما وضعه الله بين يديه يقول.. بل أنتَ قادر!!

• « إن يشأ يُذهبكم ويأت بخلقٍ جديد».
لكنه إلى الآن لم يفعل..
لأنه يريدكم أنتم أن تتحرّكوا..
يريدُ أن يجري الخير على أيديكم..
يريد أن يغنيكم من فضله حين يستخدمكم في سبيله..
مع كل يوم تشرق شمسه عليكم وأنتم أحياء.. ينتظر منكم أن تحيوا نفوساً..
أن توجّهوا عقولاً.. أن تسدوا ثغوراً.. أن تصوغوا أحلامكم عملاً.. وألا تتوقفوا يوماً عن الأمل...

• بما أن الشّعب يحتاج لإعادة تربية في كل الميادين.. وبما أن التربية تتطلب وقتاً وزمناً.. وبما أن كل إنسان على نفسه بصيرة..
فلا أحد أقدر على تربية الإنسان من تربيته لنفسه..
ذلك يسهم في اختصار الوقت، ومعرفة العلل، والمبادرة بإيجاد الحلول والتطبيق والعمل...
قبل أن ينتهي #**رمضان** معسكر التربية الأصيل..
لابد وأن نخرج بإعداد كامل يُحدثُ فرقاً.. ويتركُ أثراً...

• « يهدي إلى الرّشد» ..
#الرشد
أمة تعيش مراهقتها اللاواعية لابد وأنها تحتاج إليه... وبشدّة!!
#القرآن_هو_الحل

• ما دمت تعمل بجد، وقد كرست كل طاقتك وجهدك في سبيل تحقيق غايتك..
مادام هدفك واضحاً، وسُبل الوصول تتحقق بتكاتف الهمم.. فالوقت لا ينفد أبداً..
لأنه قد تجمعت في رصيدك مع الوقت نقاط مضيئة..
أعمالك الصالحة نجومٌ معلّقة في سماء حياتك، وحياة الآخرين..
نجم يظهر، وآخر ينطفئ، نجم يصطدم بآخر، فيحترق..
ونجم يتألق للأبد...
لا أعمال تموت بالمطلق، إذا اجتهدت أن تدخرها لمستقبل قادم..
لأنك أردت أن تدوّن في كتاب لا يغادر صغيرة ول ا كبيرة..
وأن تتسلّمها يوماً باليمين...
شبحُ الوقت الذي نفد سيعيق تحركك، سيخبرك ألا جدوى من الانطلاق، سيجعلك

تفكر بخيار واحد.. هو الرحيل أو الفرار..
لا تلتفت لإيحاءاته، لا تدعه يستعبدك، بل افعل العكس..
طوّعه أنت ليغدو المارد الذي يخدمك، ويوظف أفكارك إلى أعمال تعمر الأرض..
اقتبس من النّور مشعلاً..
خُذ وقتك لتتقن عملاً..
واصنع نجومك لتكون علامات بها يهتدون...

• لا تكابروا على أحزانكم.. لا تجمّلوا الواقع.. لا تقولوا إن الأمور بخير.. لا ترسموا ابتسامة لتخفوا براكين الحزن والغضب.. بل اعترفوا بها، أظهروها كما هي، أفسحوا الطريق لمشاعركم كي تعبر بسلام، امنحوا قلوبكم قسطاً من الراحة..
ثم حددوا مواقعكم، افهموا قدراتكم.. ونقاط ضعفكم وقوتكم..
ارسموا أهدافكم ضمن المستطاع.. وتابعوا السير معاً من جديد...
#رسالة_للعاملين

• أيّ أفيون تتناوله الشّعوب لتظلّ تعاني من المشكلات ذاتها بعد مرور قرون، فلا تمتلك القدرة على حلّها، والانتقال بعدها خطوة إلى الأمام؟!!

• هناك فرق شاسع بين القلق الحضاري السّوي الذي يرتقي بالأمة حين يجعلها تشعر بالأزمة ودوافعها وأبعادها ونتائجها، حتى تتدارك مشكلاتها وتعمل على الحلول.. وبين جلد الذات وتعميق الشعور بالذنب بشكل مرضي يورثها الشلل والعجز ويجعلها لا تبرح ساكنا..
#لقوم_يعقلون

- يسألني متى تنتهي؟

وأقول.. ستطول..

ولتتوقّع كل شيء..

حتى لا تحدّق في التقويم كل ليلة.. وترفع حاجبيك وتقول.. مضى زمن طويل ولم نرجع، ولم يتراجعوا.. ولم ننتصر.. ولم ينهزموا..

ولتتوقع أن يحكم اليأس لولايةٍ جديدة..

فلا تجزع...

وسيرحلون..

جماعات وأفراداً من هنا.. أمام عينيك..

وفور وصولهم سيراسلونك، ويسألون:

- عجباً أولازلت على الأرض الجدباء؟ تعال فإن لك عندنا هنا جنات وأنهاراً..

ولن تذهب إليهم..

سترى أماكنهم تتلاشى أمام عينيك.. ومن قلبك..

ولن تسمح لهذا الأمر بالحدوث..

ولذلك.. ستُغلقُ بوابة قلبك منعاً من الهجرة منه أو النزوح..

ولن تضطر أن تفتحه بأكمله للقادمين.. لأنهم لن يحتاجوا اتساعه.. فهم قلّة..

سترى الواقع يزداد سوءاً.. وترى التخبّط والوجوم على وجوه النّاس.. وترى مشاهد للألم ستُعييك عن الكلام أو الكتابة أو الصّمت..

ولكنك..

لن تصمت..

ستخترعُ لنفسكَ لغة جديدة، تفهمها وحدك... تكتبُ فيها كلّ ما يحدث..

ستُنعت بالمجنون، لأنك قررت التحدي..

وستُرشق بسهام عداوات كثيرة..

وسيأتي كلّ من يراكَ تعمل.. ويسأل متعجباً فيقول:
- يا أيّها الأحمق.. أمازلت هنا تحرثُ في هذه الأرض؟
لقد قلنا لكَ مراراً إنه عناء الأغبياء الحالمين..
ولكنك..
ستواصل عملك.. بجدّ أكبر.. بسعي أكثر..
ستواصلُ العمل والإعداد، ستعدّ نفسك من خلالِ العمل..
وسيحملون لك اللافتات ضاحكين، وقد كتبوا عليها..
لكل زمن.. الإعداد والعمل..
يا أيها الرجل الذي أهدر روحه يحاول الإصلاح..
ابتعد الواقع السيء، تحاشى الجهل والأذى والانحراف، ولا تخالط الناس في بيئات قد فسدت..
ابتعد هيّا.. وابدأ الغرس من بعيد...
دعهم يموتون من الشّقاء ومن الجهل.. ومن عراء الأخلاق..
إنه مشروع فناء.. أن تبقى هنا...
انج بنفسك.. فتّش عنها..
مستقبلك.. علمك.. شهاداتك.. أحلامك.. طاقاتك..
ولن تُصغِ..
أيّها المسكَونُ بعشقِ هذه الأرض...
لن تلفتكَ أوهامهم..
ستتابع خيراً بدأته.. لترى حصاده..
ستنجح.. مهما كثر الأعداء حولك.. فستجد أيضاً أصدقاء وملهمين، وعشّاقاً لذات الأرض مثلك.. ستأخذهم معك.. أو ستذهب معهم لترسيخ أفكار وبناء وعي وسط الجاهلية والدمار..

ستواصل السّير على الشّوك وبقايا المباني المهدّمة وستدوس على الجمر الملتهب تحت الرّماد.. لتغرس وردة..

ستحمل مشعل الصّدق مصرّاً أن يضيء في زمن الخداع والمراوغة..

ستبني.. فجر كلّ يوم أسس بناء جديد.. حتى لو استهدفته صواريخهم كل ليلة.. لن تملّ من البناء..

ستقابل الهجوم بابتسامة.. ولن يحول هجومهم بينك وبين تحقيق المراد..

ستقف شامخاً لتعلن ثباتاً.. وستنحني للمستضعفين.. وتكون عوناً لمن ظُلم..

ستصل.. مهما أوّلوا دوافع نفسك وخفاياها..

ستثبتُ.. مستعيناً بالله وحده.. مستضيئاً بنور يهبه إيّاك كلما سألته.. ودون أن تسأل..

تجده دائماً يُعطيك...

ما دمت تسعى...

- كان بوسعكَ أن تستريح..

بوسعكَ أن تلقي الأعباء جانباً وتمارس حياتك العاديّة دون عناء، وترحل في جنح الظلام..

بوسعك أن تصادق جداراً كي تحتمي به، وتسير إلى جانبه، تارك عرض الطّريق للمفسدين..

بوسعك أن تقول.. لا شيء مما يحدث لهم يعني..

أو إنني عانيتُ كفاية.. وقدّمتُ كفاية..

أو إن الجميع – مثلي– لا يأبهون..

بوسعك أن تلملم بقايا روحك المبعثرة وتمضي تاركاً واجباتك..

لتكمل حياة تشبه الآخرين..

حياة بلا وهج، بلا حيوية، بلا روح، بلا شعور..
لكنك اخترت الطريق الأصعب.. اخترت طريق التّعب والعناء..
اخترت درب الآلام لتسلكه.. لأن في داخلك إيمان محفّز..
شلال نُـور يودّ أن يسطع..
فيض عطاء سيُظلم إن أنت سجنته أو حجّمته..
ولذلك فقد اتخذت قرارك وانتهت مرحلة التردد..
اخترت ألا تكتب التاريخ إلا بخط مختلف، ونمط فريد..
تربط حياتك كلها بقرآن تمثّلت معانيه التي وعيتها..
فآليت على نفسك ألا تمرّ بها مرور العابرين..
بل أن تقيمها في نفسك مهما تكبدت من عناء..
واثقاً أنك والفجر يوماً ستلتقيان...
وتتذاكران العهد القديم..

• متاجرُ المدينة أغلقت، وبقي سُوق الصّبر قناديله مضاءة..
فهل من بضاعة فيه لأشتريها وأوزّعها على أهل المدينة ليذوقوا طعمه، وليجرّبوا حُلّته،
ألا ليتَ الفضول يسوقهم للتّجوالِ فيه، ليجدوا أنفسهم التي أضاعوها هناك..
وليجدوا كلّ ما قتلوا الوقت - عبثاً - بانتظاره.. في بضاعتهم..

• لازلنا نتباكى على عداء العالم لنا نحن المستضعفين كوننا مسلمين.. فيما الأفضل أن نوفر دموعنا للبكاء على أنفسنا فما أوصلنا إلى هنا إلا ثقافة التباكي ولعب دور الضحية الذي يسكّن الضمير.. بدل الانطلاق والعمل ولن نجد بعد ذلك وقتاً كافياً للبكاء لأن دورنا اختلف.. وهمّنا .. والطريقة التي ينظر بها العالم إلينا ويقيمنا عبرها...

• قمّة بطر النّعمة.. ودلالة أن رمضان كان مجرد طقوس وشعائر ولم يغيّر من أنفسنا.. أن يأتي العيد فنتباكى فيه ونحزن، ونتذكر كل مصائب الكون، بعد أن كان رمضان مدرسة الصّبر مشحوناً بأسمى معاني الحب والخوف والرّجاء .. التي كانت تُعمل في النفس تهذيباً وإصلاحاً للخلل، وباعثاً على العمل...
وكأننا نجحد كلّ ذلك ونجزع، لأنّ « الحكيم « لم يُجب دعاءنا بعد!

• أنتَ وحدكَ تعلم كم أنها صعبة.. ومتشابكة.. ومعقّدة..
وأنتَ تعلم أننا نبذلُ ما بوسعنا لإيجاد مخرج..
وأنت العليم أن كل الاعتماد عليك..
فألهمنا ما يُرضيك.. واغفر الزلل.. وتجاوز عن الخطأ..
واجعلنا عن طريق الحق والصواب لا نحيد..
#يا_رب

• لو أننا أنفقنا الوقت ذاته الذي نقضيه في جدالات عقيمة ومهاترات خلافية لا طائل منها، لو أننا أنفقناه في حفر أنفاق.. لبلغنا ما بلغته أنفاق غزة.. ولتفوقنا وسبقنا..
#من_فقه_أولويات_المرحلة

• أدري أن الفرح عبارة عن فواصل زمنية قصيرة تهبها لنا يا الله لتعين على الصمود.. غير أننا في عمق الحزن والألم.. نجدك معنا لتهبنا السّكينة.. وتؤنس وحشتنا في الظلمات.. تمدّنا بقوّة.. وتعين على الصبر.. تكفينا بمعيّتك عن كل خلقك.. تجعلنا نؤمن أنك ما دمت معنا فلا أحد.. لا أحد بالمطلق علينا...

• الحبّ وإن كان أجمل ألوان الشعور فإنه لا يصدق ولايتحقق إلا بالأفعال..

تعبت الأرض من عبارات الحب، وظنّت أن العبارات سيعقبها التطبيق.. غير أنها اكتشفت أنه كان مجرّد رسائل تُسكن الضمير من بعيد..
ورغم أنها أمّ الملايين.. فإنها حين سقطت كانت الأيدي التي امتدت إليها لتنتشلها قليلة...
والأيدي التي ساندتها في مصابها قليلة..
والأيدي التي ثبتت معها وقررت ألا تتخلى عنها قليلة..
فيما بقي الآخرون يقنعون أنفسهم بترجمة ذلك عبر كتابة رسائل الحب والاشتياق من بعيد..
هي كسبت حب هؤلاء القلة، ذلك الحب النادر النبيل..
وهم خسروا صدق الشّعور.. وخسروا الثّقة!

- يا صديقة... لا تجزعي.. إنما هو امتحانٌ جديد..

أرى الخوف في عيون الجميع.. يخشون ألا تنجحي فيه..
وأرى الثقة في عينيكِ أنتِ...
أعلم تماماً أن تلك الثقة لم تتشكل من فراغ..
هي مزيج لحظات عمر قضيتِه في العمل..
أعلم أن الصخور الكبيرة كانت دائماً تسدّ طريقك..
وأعلم أيضاً أنكِ بعزيمتكِ وإيمانكِ تلتمسين المخرج..
لا تحزني.. فالله معكِ..

- « واذكر ربّك إذا نسيت..»

اذكره.. ليس بتحريك لسانك بأذكار حفظتها دون وعي..
استحضر كامل وعيك، فستجد وأنت تذكره حقاً مهاماً كثيرة غفلت عنها، وأعمال

قلوب أهملتها، وأرواحاً مُتعَبة تحتاج رعاية قد أُشغلت عنها..
اذكره إذا نسيت، وعُد إليه فطريق العودة والإصلاح والترميم دائماً مفتوح..
ذاك من الرّشد الذي يُوهب للإنسان كي لا يقنع بحاله، ولا يطمئن أنه في مكان مستقر على قمّة ما قد وصل إليها.. فتلك هي الغفلة عن الذكر الحق، والهاوية التي يقع الإنسان بها...
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فُرطاً»..
#الكهف

- أشياء كثيرة تشدّك للخلف، تحفّزك على الفرار منها.. والنجاة بنفسك..

من لوثة عقول أضاعت بوصلة الهداية..
من أفكار دنست لتبرر العجز والخذلان..
من « لا « فقدت هويتها حين ألبسوها قناعاً بمعنى « نعم « .
من قلوب مهما فعلت لا تطمئن..
من دورية أمن وهمية تطاردك في كل شارع تسلكه لتعتقل روحك.. وتهرب منها ولا تجد نجاة.. لتكتشف أخيراً أنها غير موجودة إلا في خيالك وحسب..
وبأن الاعتقال كان بأغلال نفسك.. وكذلك القيد والجلاد والسجان والحاكم..
من أحلام تاهت وشردت وقضت آخر الليل تبكي على الرصيف ثم غادرت حزينة..
من طريق موحل شائك بات الثبات عليه أشق من أي زمن..
ولكن فكرة مغادرته هي الموت المحتم..
من مجد صنعته ثم ألقيت به في صندوق التبرعات وأهديته لكل انتهازي يطلبه..
واكتفيت بجوهرة تشع ولا تُرى.. بنبض يجول أرض المدينة يأخذك أيها العابر في الحياة إلى حيث تريد.. ليخبرك كم أنت سعيد.. ما دامت سماؤها مظلّتك، وأرضها فراشك، وحلمها موسوم على جبينك، وجبين من يحملون معك هموم النجاة..

وتقنع نفسك أنك بخير..
وأن النجاة لنفسك وحدها قد تُفيد..
لكن درب الأنبياء يُغري دائماً بأن تضحي وأن تعود..
ففك القيد أغلى.. وتحرير العبيد..

• ستكتشف ذات يوم أن أكبر الحروب غير المعلنة ظاهرياً، والتي خططت فيها عشوائياً، وكلفتك قدراً هائلاً من الذخيرة، وسببت لك أكبر قدر من الجراح.. وانهزمت فيها مرّات، وعاندت مرّات، وظننت أنك البطل الخارق فأقدمت دون أن تعد العدّة، وشارفت على الموت وأنقذتك معيّة الله ورعايته.. هي تلك الحرب مع نفسك..
ولعلك كل يوم تقابل من الضّحايا والجرحى الذين لا يلحظهم أحد، ولا يأبه بعلاجهم أحد.. ممن خاضوا هذه الحروب وانهزموا فيها لأن أحداً لم يأخذ بأيديهم، ولأنهم قرروا ضمناً أن يستسلموا لفكرة الهزيمة... وتتلمّس جرحك أكثر..
لتكتشف أيضاً أن التّحدي كبير..
وبأنك خُلقت لتكون على قدر التحدي.. لِتفوز.. ولتجعل كل من تحب.. يفوزون أيضاً..
لتكتشف أن فوزك ومن معك في هذه الحرب، هو تمهيد لأيّ نصر آخر تريد...

• الفكرة دائماً موجودة..
المفقود.. هو أولئك الأشخاص العاديين جداً، القادرين على تحويل الفكرة إلى #**عمل** وإنتاج وثمرة..
أولئك الأشخاص الذين يصفهم الناس أنهم #**أبطال**

• هناك لحظات تعيشها تفرض عليك أن تكبر، أن تتخذ قرارك الحاسم لتخطو خطوة إضافية جديدة، هناك لحظات تفرض عليك ألا تكتفي بواقعك، بل أن تتغير أكثر، لتفرض بعض التغيير عليه مهما كان في عينيكَ طفيفاً..

هناك لحظات تشعر فيها أنك لست أنت..

لكنها في الحقيقة هي الأصدق..

لأنها تريك الجانب الذي كنت طوال عمرك تجهله عن نفسك..

تريك حقيقتك التي كنت تنكر وجودها أصلاً..

• لأولئك المنسيين الذين لا يَنسون..

ولا يُنسون من الرحمن الرّحيم...

للنائمين الليلة على وسائد من حجارة..

للمتوسدين هموم أمّتهم في البيوت والأبراج المهجورة يحرسون في سبيل الله..

للمرابطين على ثغورهم فوق الأسطح، وفي الخنادق..

لمن يجتهدون حتى وقت متأخر يحفرون أنفاق الحياة..

لمن لا يجدون وقتاً لتناول طعامهم من الخبز الجاف إن توفّر.. ولا سبيل لموعد مع كوب شاي ساخن مهما اجتهدوا..

للمنهكين من العمل، المغبرة أقدامهم وثيابهم وهم يقومون على إتقانه..

للمقدمين أرواحهم رخيصة من أجل أن تغفو عيون وهي هانئة..

تقبل الله جهادكم.. وبارك لكم في أعماركم وأعمالكم.. ورزقكم القبول وحلاوة إيمان تتلمسونها في قلوبكم وفي كل لحظة من حياتكم..

• على قدر ما أوجعونا ظلماً وقهراً.. سنواجه، ونستمر، وننهض...

وقد ندين لهم يوماً بشكر..

أن دفعونا للتبصّر بعيوبنا، وأمراضنا، وجهلنا... فيما كنا نلقي اللائمة عليهم..
لنعود بعد التبصّر للعمل ولكن..
بشكل مختلف..
بشكل صحيح..

- معركتنا مستمرّة..

سواء ضاقت السّبل أو اتسعت..
فالاتجاه واحد.. وبإذن الله لن نسلك سواه، ولن نحيد عنه..

- الأيام بيننا دُوَل.. ومن معاركنا ومصائبنا ومشكلاتنا نستفيد.. وما نراه اليوم من تشويه للدين سيقودنا للإصرار على دين قويم..

ما نراه من خذلان سيبعث فينا القوة والهمّة لأن ننتصر لكل مخذول..
والظلم الذي تجرعناه سنستميتُ لئلا يتجرعه سوانا..
الجهل الذي عاصرناه قد أعطانا حقنة مناعة ضده، فجعل الإقبال على علم تجريبي يسد احتياجات الواقع هو الهدف...
جمود العقول سيدفعنا لنعلم الجيل كيف يفهم إسلامه، وكيف يترجمه إلى منهاج حياة..
محنتنا أكبر منحة..
على أن نعي أنفسنا ونتعامل بوعي مع كل ما حولنا...

- قد تظن أنك تحتاج لتخلو بنفسك في النّفق العاشر تحت الأرض، فتذهب.. لتستريح هناك من عناء الكون.. فتكتشف أنك هاربٌ من نفسك.. وليس منهم..

فاخلُص إلى مولاك.. لتجدها عنده..
وعُدها.. وأحسن إليها.. لتجدهُ عندها..

لتلقاه..
فتستعيد كل خسائرك..
وتعود محملاً ببضاعة غير مزجاة..
تتصدّق بها عليكَ قبل أن تتصدّق بها عليهم..
فلا تأسف على رحلتك..
وإن كلّت الأقدام من طول السّفر..
ولا تستسلم لألم أو وَهَن..
وإن أسميتها ذات الرّقاع..
فعلى كلّ رقعة منها جزء من تاريخك..
وذكرى هجرتك..
وتاريخ عودتك..
ورحيل من أشهروا سيوفهم ليقاتلوك ويدنّسوا أرضك.
ذكرى التحامك بكل العائدين مثلك..
ذكرى أنفاق لا تُهدم، ولا تُدمّر..
ولا تكتشفها استخباراتهم..
ولا تخترقها طائراتهم..
لأنها دائمة التوسّع والامتداد..
لأنها لا تكلّ عن الارتقاء لأعلى..
قُدُماً نحو السّماء!

• الاستمتاع بحياة الجهاد رغم معوّقاتها، بالعمل على مكافحة الفساد بأشكاله، بتغيير المفاهيم مهما بلغت درجة تشوهها، بخطوة لحلّ مشكلة مهما كانت صعبة ومعقّدة.. أن تسعد وتستمتع بكلّ ذلك، وإن أنهكك جسداً وتفكيراً وشعوراً، فهذا يعني أن

مبادرتك تنبع من أعماقك، وبأنّ جوهرة الإيمان لا تزال تشع في داخلك، فينعكس ذلك على أفعالك.. همَّة وحُبّاً وأملاً..

• علّموا مَن حولكم.. وعوّدوهم أن يتعلّقوا بالأفكار، لا بالأشخاص والأشياء..
فلا شيء يبني النفس، ويربط بالله، ويهب القوة، ويعين على الفقد سوى فكرة تضيء..
يعيشون لأجلها ويموتون في سبيل أن تحيا.

• حينَ أصبحت فكرة النجاة فرديّة..
غَرِقَتْ كلُّ القوَارِب!

• نحن لا نتعايش مع الألم..
لكن الألم هو من يتعايش معنا..
يراجع كلّ صباح قوانينه، يحاول التأكد من نظرياته، يتفقد أسسه وبنيانه..
ثم يعود إلينا ليرمقنا بنظرة غريبة..
وكأنه لا يصدّق.....

• أتعِب نفسك.. لا تَمَل..
دائماً هناك أمل..
كم من المستحيل تبدد تحت قدميك..
أتعب نفسك..
لا تستمع لمن يطالبك بتوفير جهدك وعقلك، واختصار العناء.....

- وتسرّ الياسمينة لأختها..

أوَ نبقى هنا يا أخيّة نحمي حجارتها أو نزول؟
وقد احتوتنا الأرض، فكانت كل بقعة فيها لنا ديار..
وهذا الندى - كما ترين - قد جفّ على الأوراق رغم تساقط الأمطار..
ودموعنا جفت، لكننا هنا بقينا.....
فنيت إرادتهم .. وما فنينا..

- يا أخية..حدقي هنا..

- إذا تساقط الياسمين حولنا؟

- ماذا عنا؟

- أنهوي من العلياء؟

- وكيف يهوي النجم من أعلى السّماء إلا ليحرق شيطاناً تطاوَل في غروره..

- أيرغم الحقدُ الياسمينَ أن يرمي سلاحه؟

- أيقعده الأسى عن العمل؟

- أيا أخيّة أدري أنهم حشدوا لنا، وقلبوا تراب الأرض ليقطعوا منّا الجذور..

- وما تقطعت!

- وأوهمونا أن عطر الياسمين يعبق خارجاً، وبأنهم..

- - أي في الكواكب الأخرى- يقدّسون الياسمين..

- أدري بأن جذورنا امتدت عنيدة في التراب، وتمسكت بطهر أرض لها تاريخ مجدٍ تجاوز ألف عام.. يا أخيّة.. أوَ نقوى على يوم يمرّ فلا نناجي تلك الحجارة، أو تُناجينا؟!

- أولا يتصدع القلب وقد تراءى طيف الغِياب!

- فتجيب الياسمينة أختها.. أن قرّي عيناً.. ولا تَحزني.. إننا باقون..

- سنحمي الحجارة بطهر الياسمين..

- سيعبق في هذه الأرض عطره..

- سيُعلن بين العالمين طُهره..

- سوف نبقى..

- ويرحلون.....

- للصامدين رغم الوجع..

الباسمين رغم الحزن..

الصادقين رغم الزيف..

المحاربين بنبل كل أشكال اليأس..

المتمسكين بقضيتهم بكل ما أوتوا من عزيمة وشجاعة.....

- * للذين لا يتلفّتون.. وعيونهم على خط النهاية..

لأولئك الذين يصنعون الفجر فيضيء من جباههم المؤمنة.. ولأجلهم تضيء الصباحات.. وتشرق النفوس.. وتتبدد غيوم الحزن أقول ..

أعظم الله أجركم.. وتقبل سعيكم..

لكم في كل ليلة حزن.. وصبر.. وعزاء..

لكم نصر مقاومة عداء القريب والغريب..

لكم مجد انتصاركم على نفوسكم قبل صناعتكم لانتصار لا يؤرّخ..

لكم شرف الثبات واحتمال الأذى في سبيل دين تنصروه..

قدر الله أن تحمّلنا الليالي عبء الظلام..

حتى تعلمنا كيف ننسج خيوط الشمس بإصرارنا.. بإيماننا.. وعرق الجبين....

- أدري أنه صعب.. ومُتعب..

ومحفوفٌ بالحُفر.. والمزالق.. والصّخور.. والنّار.. وقُطّاع الطريق..

أدري بأنه طريقُ حزن وقهر وآلام..

لكن في قلبي إيمانٌ يقول لي واثقاً.. أننا سنجتازه لا محالة..

● صباحٌ خريفي يغص بدمعة الفقد لأوراق يابسة، لم يعد لها مكان..
فقد تكسّرت كفاية تحت الأقدام الخريف الماضي، والتحمت بالتربة..
ارتضت أن تختفي في أعماقها على أن ترى أغصانها التي وهبتها الحياة تقطعها الحاجة..
فالهروب من الحزن في بعض الأحيان يكون مسكناً كافياً لعبور مرحلة..
ولقاء التراب من بعد التحليق بين السحاب يهب الحكمة أكثر، ويُشهد على ولادة أخرى لا مثيل لها، تتجسد في بداية الإنبات لشجرة عملاقة.. من تحت التراب... حتى وإن طوانا الغياب............

● عند رحيلهم.. والملائكة تزفّهم إلى السّماء..
والأفراح تُعلن من هناك...
لا شيء يدعو للأسى.. إلا نحن..
نحن الذين تعثرنا كثيراً فقصّرنا عن بلوغ الرّكب...

● زهرة تبَّاع الشّمس التي كان طولها شبرين، والتي رأفتُ بحالها وظننت أنها لن تقاوم الظروف الصّعبة..
أصبحت أطولَ منّي ضعفين..
لست أدري كيف استطاعت أن تصل..
هل لمراقبتها الدائمة حركة الشّمس تعلّمت أن تنهض، وألا تكتفي بدور المُراقب، فلابد لها أن تصعد؟
أم لإيمانها أنها وإن غابت الشّمس وطال غيابها ستُشرق في يوم جديد.. فلا الانتظار الكئيب يشفي، ولا مجرّد اتباع النور يكفي.. ما لم تجد ذلك كلّه قد غيّرها حقيقة، ونزع عنها الوهم، لترى في الظلمة ما لم تكن تراه في النور..

● أنت وحدكَ يا الله تفهم لغتنا الخاصة، ونحن نتوجه إليك بصمتنا.. بحروفنا المتلعثمة.. بأحزاننا.. بـأحلامنا.. برجائنا الذي لا ينقطع من رحمتك..
وأنت وحدكَ يا رب تقرأ أسرار القلوب، وتعلم مفاتيح الغيوب..
فأجب كل سائل منّا.. واكتب لنا القبول والأجر، وارزقنا من بركة الزمان والمكان ما يعيد لنا الهمم المفقودة، ويُنقذ الأرواح المُتعبة، ويلمّ الشعث، ويُحيي الضمير، ويوقظ مكامن الخير في النفوس، ويسوقُ إلى طاعتك.. حتى بلوغ عفوك وغفرانك....

● هو الخريف.. يأبى أن يأتي إلا محملاً بالحزن، وسيل الذكريات..
ليجدد ألم الفقد ومواجعه..
ليجعلنا نخاطبهم بأرواحنا وإن كانوا حتى الآن خلف القضبان..
موقنين أنهم يردّون التحيّة بأحسن منها..
والدّعاء بأطيب منه.....

هو الخريف..

- تتساقط معه مشاعر قد بهتت، واصفرّ لونها.. لتغدو بإرادتنا في مهبّ الرّيح..

- وتبقى ثابتة أوراق خضراء علّقناها بأيدينا على نافذة الأمل..

- كي نتمسك به كلما أطللنا منها إلى العالم..

- لندرك أنها لن تكون خضراء حقاً.. إن لم تكن صُنع أيدينا..

- هو الخريف يحملُ في جعبته ألف معنى ومعنى..

- وعلى حوائط المدينة المُبتلّة بالمطر، يقابل ألف حكاية وحكاية..

- يعترف لها أنه غير قادر أن يمحوها..

- مهما تجدد..

- فهي الأجمل.. وهي الأثبت.. وهي الباقية مهما كتبوا حروفهم عليها فأقاموا أو رحلوا...

- كان طريقنا واضحاً مشرقاً رغم تلال الظلمات الممتدة حوله...

لكننا تغيرنا..

سيقولون..
وما أدراكِ بمعالمه؟
سأخبرهم أنني أعرفه جيداً..... كلنا نعرفه..
ونعرف الوجهة..
كان من بدء الخليقة..
ومنذ ولدنا..
وعيناه محفوراً في صدورنا..
وحين نموت..
لن يغير هذا من واقع وجوده أيّ شيء...
حتى عندما نتغير.. ونحيد.. ونحاول تغيير المعالم بأي شكل..
سندرك أننا عرفنا.. واستكبرنا.. وظننا أننا خَدَعنا..
غير أننا لم نخدع إلا أنفسنا..
حين لم تكن العودة حربنا.. وسلمنا.. تجارتنا.. وبيعنا..
وربحنا الأغلى..

- أمّا هم.. فقد عاشوا حياة الجهاد، وأرخصوا الروح والدم في سبيل الله.. ونسأل الله تعالى أن يتقبلهم عنده من الشهداء وأن يرزقهم الفردوس الأعلى من الجنة..

- وأمّا نحن..

فقد آن لكل من وعى واقعه أن يتحرّك ليقوم بواجبه ودوره، دون تقاعس، ودون أن تجمده لحظة الألم فيتوقف عندها لا يبرح ساكناً يتخبط ما بين يأس وألم..
ثورتنا مستمرّة، وقد رووها بدمائهم التي ستبقى شعلة تضيء على طريق الخلاص..

ثورتنا مستمرّة، بوعي أكبر.. بهمٍّ أثقل، بمبادرات جديدة لكلّ مخلص فيها، وكل صادقٍ عائد إليها ليجدد نيّته، وبوضوح هدفه، وصواب عمله واستمرار تقويمه، وقوة ارتباطه بالله سيتابع..

وثقته تزداد.. لأنه لم يكون يوماً مثله اليوم.. وعياً وإدراكاً وقوّة وفهماً..

- لأولئك المنسيين الذين لا يَنسون..

ولا يُنسون من الرحمن الرّحيم...

للنائمين الليلة على وسائد من حجارة..

للمتوسدين هموم أمّتهم في البيوت والأبراج المهجورة يحرسون في سبيل الله..

للمرابطين على ثغورهم فوق الأسطح، وفي الخنادق..... لمن يجتهدون حتى وقت متأخر يحفرون أنفاق الحياة.. لمن لا يجدون وقتاً لتناول طعامهم من الخبز الجاف إن توفّر.. ولا سبيل لموعد مع كوب شاي ساخن مهما اجتهدوا..

للمنهكين من العمل، المغبرة أقدامهم وثيابهم وهم يقومون على إتقانه..

للمقدمين أرواحهم رخيصة من أجل أن تغفو عيون وهي هانئة..

تقبل الله جهادكم.. وبارك لكم في أعماركم وأعمالكم.. ورزقكم القبول وحلاوة إيمان تتلمسونها في قلوبكم وفي كل لحظة من حياتكم..

- هناك لحظات تعيشها تفرض عليك أن تكبر، أن تتخذ قرارك الحاسم لتخطو خطوة إضافية جديدة، هناك لحظات تفرض عليك ألا تكتفي بواقعك، بل أن تتغير أكثر، لتفرض بعض التغيير عليه مهما كان في عينيكَ طفيفاً....

- هناك لحظات تشعر فيها أنك لست أنت..

لكنها في الحقيقة هي الأصدق..

لأنها تريك الجانب الذي كنت طوال عمرك تجهله عن نفسك..
تريك حقيقتك التي كنت تنكر وجودها أصلاً..

• خائفٌ على نفسك، بعد أن قهرتهم بالخوف، بعد أن بِتّ مارداً عملاقاً يرعبهم وجودك..
يطاردونك، يلاحقونك، يسألون عنك في كل مكان، وينشرون اسمك على الحواجز، يعتقلون كلّ من يشبهك، يرتعدون من سيرتك، يجدونك في كوابيس نومهم ويقظتهم..
هم خائفونَ منك..
وأنتَ خائفٌ على نفسك أن تزل..
الزلل مُرعب بحدّ ذاته..
والتفكيرُ في إمكانيّة حدوثه قاتل..
وإمكانيّة حدوثه كبيرة جداً في ظل جنون الحرب، واختلاط الحق بالباطل، وفي ظل الأعمال العشوائيّة، وضياع الدين، وغياب القيم والمفاهيم الصحيحة..
خائفٌ أن تخطط لمعركة فاشلة، فتضيع أرواح ودماء، أو أن تضعَ قرشاً في غير موضعه فتفسح باباً للمتسلقين والسلطويين أن يكبروا، أو أن تنطق كلمة تورث ضغينة وحقداً، تنفّرُ قلوب يجب أن تلتقي، فتباعد بينها..
عدتما أنتَ والخوف للمواجهة..
أتى الخوف هذه المرّة مسروراً واثق الخطى، وأتيت أيضاً واثقاً، تشوبك غمامة حزن، لكن السّكينة تغمر قلبك..
نداء لم ينقطع لحظة، بينك وبين ربّك، هو يراكَ ويسمعك، يعرف واقعك، ونيّتك، ومقصدك..
ووجه يتقلّبُ في السّماء لا يفتّش عن القِبلة، فهو يعرفها تماماً، لكنه يفتّش عن سبيل يتوجه الناس فيه إلى القبلة، يفتش عن وسيلة يضبط بها البوصلة..

أيّام الحرب طالت، ثلّة من الرائعين قد استشهدوا، وثلّة غابت خلف جدران السّجون الباردة..

أصحاب الصّبر الأقل قد انسحبوا، وتركوك في السّاحة وحدك، مع قلّة اختارت مثلك خيار البقاء..

خوفك عليهم لا يقلّ عن خوفك على نفسك..

كان الهمّ أن تكونوا معاً، وأن تحشروا معاً إلى الجنّة زمراً..

عدت مع الخوف إلى المواجهة..

وأتاك مسروراً يمشي واثق الخطى، وأتيت أنت واثقاً أيضاً، تغشى قلبك غمامة حزن – ربّما– ولكن.. تغمره السّكينة..

لأول مرّة في حياتك تتمكّن من رؤيته بهذا الوضوح..

هو كالقمر..

له جانبٌ مظلم وآخر مضيء...

ووجه المضيء الذي اكتشفته..

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٧].

تريد الخوف إلى جانبك كي تتقي به المخاطر، كي لا تقع في الزلل، كي تتخذ درع وقاية من السّقوط في الشّبهات..

تحاولُ أن تعرض على خوفك صفقة تعاون، أن تتابع.. ولا تتراخى، أن تتحرى الصواب، وألا تتبع غير سبيله، وأن تصرّ عليه، وتقاتل لأجله..

وأن يوقظك قبل كل زلل، وأن يحفّزك باستمرار لخير العمل، أن يدفعك للنهوض، ألا يسمح لك بالتراخي، أن يجعلك تواصل مهما تعبت..

لترتاح عند المحطّة الأخيرة..

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]

• « فتبسّم ضاحكاً من قولها...»

بسمة سليمان تعني الكثير..

تعني التفاؤل بأهل الهمم، حتى وإن كانوا أمما أمثالنا..

بسمته تعني التحفيز على عمل إيجابي، ورغبة في أن ينتشر..

بسمته سعادة في الخير حين تُرى نتائجه في الأزمات، حين يلم الشمل ولا يفرّق..

بسمته تحيّة وشكر لها بعد شكره لله تعالى.. شكر غفلنا عنه، وحرمناه لمن يستحقونه..

بسمتهُ درسٌ للجنود على سائر العصور.. أن تعلموا واعملوا... وأخلصوا..

ودعوا عنكم نفسي.. نفسي..

• فهنا أمّة تواقة لمن ينادي لها وينادي باسمها موقظاً.. مؤذّنا بالحق والخير والصلاح..

إن درجات الوعي التي تمتلكها الأمة في طاقاتها وعقولها كثيرة..

أشخاص كثر يمتلكون المقدرة والرّغبة..

لكن قلة فقط هم الذين يبادرون ويتحركون ويكونون من أسباب النجاة..

• « وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً»

الأمن هنا لا يرتبط معناه بشيء مما نشرته الدول المستبدة حين عكست مفهوم الكلمة في الأذهان، وربطتها بأجهزة القمع والإرهاب الخاصة بالدولة.. والتي تتخصص بالتعذيب وقمع الحريات..

الأمن.. هو السكينة المطلقة للنفس.. روحٌ مستقرّة قادرة على مواجهة الظروف الصّعبة، واجتياز الأزمات القاهرة..

الأمن.. روح من التفاهم تسري بين البشر، لا يطغى فيها أحد على أحد، ولا يظلم فيها أحدٌ أحداً..

ولا حق لأحد أن يبسط سلطته على الأفكار، ولا يُحجّمها، ولا يُرغم الآخرين على الإيمان بها إن كانت تخالف قناعاتهم....

الأمن.. حبٌّ موسوم بصفة الخير، أو لغة فريدة من لغاته، تفتح آفاق العقل ليتبصّر، وينتج، ويُنجز...

مهما كانت العقبات والصّعاب...

الأمن.. صلحٌ مع النّفس، ينعكسُ صلحاً مع الله، وأثراً طيباً بين الناس..

الأمن.. إنسان أقسم أن يتعلّم في مدرسة الحياة إلى الأبد..

الأمن.. طفلة تعانق دميتها بهدوء دون أن تلاحقها كوابيس أسرة مشتتة، أو مشهد وطن منتهك، أو آلام قلب لعاطفة مفقودة..

الأمن.. فكرة تنطلق، لتبني وتنهض وتعمر.. دون أن تلاحقها الدوريات.. دون أن تُستدعى للتحقيق، دون أن تقضي في أقبية التعذيب..

الأمن.. أيد تتكاتف، لأنها تعلمت دروس الماضي أن لا نجاة إلا برصّ الصّفوف وتوحيدها، والتوجه للقبلة..

- إن شجرة غرسناها ورعتها عين الله لابد ستثمر.. مادمنا نسقيها معاً.

ما دمنا نفهم بعضنا، ونتبادل الأفكار والأحلام والمشاعر والطموح.

الأمن.. بيئة صالحة للإنتاج تختفي فيها كل أدوات الظلم..

وقيمة التعامل الرئيسية هي الرّحمة.. « رحماء بينهم » .

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين..» .

• أنتَ وحدكَ تعلم كم أنها صعبة.. ومتشابكة.. ومعقّدة..
وأنتَ تعلم أننا نبذلُ ما بوسعنا لإيجاد مخرج..
وأنت العليم أن كل الاعتماد عليك..
فألهمنا ما يُرضيك.. واغفر الزلل.. وتجاوز عن الخطأ..
واجعلنا عن طريق الحق والصواب لا نحيد..

• صورة السّيّدة الفلسطينية التي تعانق شجرة الزيتون، وتحميها بروحها من جرافات الاحتلال وعدوانه.. من أكثر الصور التي علقت في ذاكرتي منذ أعوام وحتى هذه اللحظة..
لم تُغيّبها مشاهد الدم على الأرض، ورؤية الأشلاء المبعثرة، ولم تبددها نيران القصف وأصوات الأنين في المشافي الميدانية، ولم تبعثرها نظرات كنت أختلسها بين حين وآخر إلى جامع خالد بن الوليد المُحاصر.. ولم تُنسني إياها المواجع والأنين وكم الحزن الهائل الذي كان يتراكم في القلب مع كل فقد، مع كل صدمة، مع كل انتكاسة..
لا شيء من هذا أنساني وجه هذه المرأة المليء بالحب والحزن والكرامة..
مزيج عجيب يصهر كل شيء في وقفة شجاعة لحق أمام باطل..
لقد شاهدت نماذج في سوريّة رسّخت في ذاكرتي صوراً مشابهة، لأشخاص لا يتناقل الإعلام أسماءهم ولا يأبهون أن تُسرد قصصهم.. أشخاص يطبعون في الذاكرة صوراً لا تُمحى لارتباطها بموقف وإيمان ومبدأ..
وقفات كهذه تُغني عن مجلدات في الوعظ والتحفيز، ودورات مكثفة في الإرادة، وفي اكتساب ملكات القيادة، وقوة الشخصية.. لا لشيء، إلا لأنها مرتبطة بإيمان الإنسان بثوابته، باستعداده للتضحية، بقدرته على الوقوف كشجرة عملاقة ثابتة في وجه العاصفة..

لستُ أدري هل اكتسبت هذه السيدة قوتها من الشجرة فكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار..

نُـورٌ على نُــور..

رسالة حياة قد يجسدها موقف، قادر على الثبات طويلاً في ذاكرة الشعوب..

قادر على انتشالها من دائرة اليأس إلى حيّز الفاعلية والعمل..

قادر على مدّها بقوّة كبيرة.. لا فرق في أن يقدّمها شيخٌ مسنّ أو طفل صغير أو امرأة ضعيفة..

المواقفُ الثابتة الصلبة لا يقهرها سلاح، والشّعب الأبيّ هو الذي يفرض بقاءه بنفسه..

ثورة الحق ليست حكراً على سياسي ولا حامل سلاح ولا إعلامي محنّك..

ثورة الحق لا تقوم لها قائمة إلا باجتماع العزائم على كلمة واحدة.. واتحاد القلوب لأجل هدف واحد..

تم بحمد الله